تفسیر سوره حدید

از صدرای شیرازی

تفسیر سورة الحدید بکماله   بسم الله الرحمن الرحیم   صدرا شیرازی بوده

ومنه التوفيق والاعانة   الحمد لله الذي انار على قلوب اوليائه لآلي جواهر القرآن ودلائل كنوزه
واشرق على ضمائر احبائه لوامع اسرار البينات وشواهد رموزه واوضح لهم معرفته وادلتهم بصفاته في ملكوت
السموات حتى احتجب عليهم لباس الحجب الاجسام ليكونوا من الموقنين وكشف عن بصائرهم برياح رحمته اغشية
التعلقات المانعة عن شهود جلال رب العالمين وايد منهم من شاء من عباده لتقوية الدين ونصرة
رجال المعرفة واليقين والصلوة على من انزل عليه التنزيل بلسان جبرئيل المنعوت اسمه في التورية
والانجيل محمد واهل بيته المكرمين العالمين بتاويل الاحاديث العارفين باسرار التاويل المطهرين
عن ارجاس المذاهب الجاهلية للاباطيل القدسيين عن ادناس العقائد الباطلة من التشبيه والتعطيل
اما بعد   فيقول الفقير الى الله واحوجهم المستغني بتاييد مولاه عما عداه والمتكفي بنور هداه
عن من سواه محمد الموسوم بصدر الدين القوامي نور الله بلطفه الاصفياء اوصيكم ايها الاخوان
الباحثين عن دقايق معرفة الله وملكوته بقوة الفكر واتقا اللطف بان تعتقدوا انوار الملكوت
وبطون اسماء قدس الله صوت محاجي الوهم والخيال عليكم بحبل القرآن ان اردتم ان ترتقوا الى الاسباب
فان لم تعتصموا بحبله تهوى في مهاوي الضلالة هزيمة من الاحزاب محذولا عند اولي البصاير والالباب
في جميع الطرايق والابواب فان من كان معتكفا ولا يقول احد ظواهر التنزيل وان كان يدا بامر وكرمه
بالعمل باحكامه واوامره عند سماع اياته حتى اللغة والقراءة والترتيل فهو حري بان لا يبلغ نهاياته
بل عليه ان يقف عند ظواهر الشريعة موجبا حقوقها اذ لم يرزق من لوامع انوار الطريقة شربة فيها
ومن فيها انه لا يقطع الشيطان طريقه بيد قاطع كيده وحبال تلبيسه الا بالله ان اتى واد فهلكه او تصيبه
فتنة وعجايب ثم اقول لطائفة اخرى من اخوان الايمان الذين رزقهم الله فطنة يمكن لهم بها
الارتقاء الى مدارج العلم والعرفان اذا سلكوا طريق الصدق والايمان الحكم يرغبون عن
لباب القرآن الذي هو شفاء ورحمة للقلوب التي في الصدور والى التين والقشور والذي هو مصالح لكم
لا انعامكم واجسامكم التي هي الالات الغيبية ويشتغلون بالقرطاس المنقوش عن ارقام النقوش ويحومون
تطوفون على سواحل ظواهر التنزيل ويعرضون عن غوص التاويل اما آن لكم ان تستنبطوا المعنى عن
عمق نيل التنزيل لنيل جواهره ما اودعه الله على لسان جبرئيل الى كم تقتصرون عن الوصول الى غورها

ودواهرها باوطان النظر والفكر الى مواطنها وظواهرها المرتاب للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
وان بعد مواهبهم في التقرب الجد والابتغاء لوجهه دون ما سواه فهذه اخلاق في الكشف واليقين لعلكم الله الى انفسهم
ما مكرو في معرفة الذين طائفة من قواعد اسرار القران المجيد وجملة من لطائف نكات ودلائل معجزات
لآيات بينات من الكتاب العزيز الحميد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
متعلقة بتفسير سورة الحديد ذكرت فيه لب التفاسير المذكورة في معانيها ولخصت كلام المفسرين
الناظرين في مبانيها ثم اتبعته بروابط الحكمة يقتضيها الحال والمقام ووارد تقتضي اليه شريعة يقتضيها الفضل
المنعام ومستعين بركات مبلغ الرسالة للانام وبما عليه الله وبراز في الاختتام فاعلم ان هذه
السورة شملت على المقصد الاقصى والالباب الاصفى من كيفية ارتقاء العباد من حضيض النقصان و الخسران
الى اوج الكمال والعرفان وبيان السفر الى الله طلبا للفناء ثم والارتحال من اسفل السافلين وتحت
الثرى الى البعد والحرمان من مجاورة الرحمن الى اوج الكمال عوالي العليين وفوق سموات العلى من قرب
رب الانس والجان وخالق القران والجنان فان تخلا منه دعوة العباد ونقاوة سياحتهم الى الملك
الجبار منحصرة في اقسام ستة منها كالدعائم والاصول المتقدمة وهي تعريف الحق المشوق اليه المقصود لمريديه ان
الصراط المستقيم الذي يجب سلوكه للوصول اليه وبيان الحال عند الوصول فالاول هو معرفة المبدا والاخر هو
معرفة المعاد والاوسط هو معرفة الطريق واما الثلثة الاخيرة فهي كالمتممة التي هي كالنوافل و
التقرب الحاصل للعبد من الحق هو قرب الفرايض لما ورد في الحديث المشهور فاحدها تعريف الناكبين
الى الحق المجيبون دعوة العزيز الوهاب ولطايفه تربية الرب المحمود ودقايق صنعه فيهم لصفا جواهرهم
وطهارة اعيانهم عن الخبث الشين ونقاوة سرايرهم عن الطبع والرين وتقويمهم واستعدادهم لقبول
صورة الحق وتوصيف الناكبين عن الطريق الغالين وكيفية حلول الغضب عليهم وكيفية تنكيلهم لسو استعدادهم
وخبث جواهرهم وذواتهم وتراكب الرين والطبع على مرائيهم والمقصود فيه اما التشوق والترغيب كما في
احوال المحبوبين والاقتداء والترهيب كما في احوال المغضوب عليهم وثانيها حكاية افتضاح حال الجاحدين
وكشف عوارهم وتسفيه عقولهم وتجهيلهم في تحيرهم طريق الضلال والبطلان بالجدال والمحاجة على
طريق الحق والمقصود فيه في جنبة الباطل الافضاح للتحذير والتنفير وفي جنبة الحق الايضاح للتثبيت
التقريب وثالثها تعليم عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية اخذ الزاد والاهبة والاستعداد والمقصود فيه

ميزان معاملة الانسان مع اعيان هذه الدنيا بحيث يكون مثل معاملة المسافر مع اعيان مرحلة من مراحل
سفره البعيد الذي يطلب به تجارة لن تبور فهذه هي المقاصد الستة المشتمل عليها المنحصر فيها سور القرآن
وآياته وهذه السورة الواحدة لغاية فضلها وشرفها عقلا ونقلا حيث روي عن النبي ص ان في المسبحات
آية افضل من الف آية تشتمل على المقاصد الستة كما يشتمل عليها وينحصر فيها جميع القران فلنشرع في استنباط
هذه النفائس الثمينة من هذا البحر العظيم بقوة العزيز الحكيم ولنسم كل واحد من المعارف الثلثة
القرانية التي هي الاصول باسم ما يناسبه كما فعله بعض اكابر العلماء وقد وجدنا في بعض مصطلحات
العرفاء وذلك للدلالة على ان هذه المعارف ذو درجات متفاوتة في الشرف والفضيلة مع اشتراك
الجميع في الخير والمنفعة فان معرفة ذات الحق وصفاته وافعاله من معرفة علما الذاتية وسبها في طريق
السفر اليه فشرح المعارف الالهية المشتمل على معرفة ذات الحق الاول ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله
هو المصطلح عليه بالكبريت الاحمر الحاصل من الخوض في لجة بحر القران وانقاصه والخوض في اعماقها
وشرح طريق السلوك الى الله تعالى وتعريف التبتل اليه والانقطاع عن الدنيا هو المسمى بالعنبر الاشهب
والعود الاعطر الحاصلين من السباحة في سواحل هذا البحر المحيط المتشعب عنه علوم الاولين والاخرين
كما يتشعب من البحر الانهار والجداول وشرح احوال المسافرين عند الوصول الى المهيمن المتعالي هو الملقب
بالترياق الاكبر والمسك الاذفر الحاصلين من التغلغل في جزائره عند استرداده من حواليه
ولنسم الثلثة الاخيرة بالروادف واقسام كل قسم منها باسم يناسبه ولا يخفى على الذكي اللبيب مناسبة كل
قسم بما وضعنا التسمية بحصلته واياك ان تحمل هذه الاسامي على الاستعارات الرسمية والتكلفات
المجازية فانها معقولة عند ذوي الجد من ابناء الحقيقة بل يجعلها رموزا واشارات الى معان خفية
يعرفها من يعرف الموازنة والمماثلة بين عالمي الملك والملكوت والشهادة والغيب لو وصلنا الى تحقيق
الموازنة بين هذه الامثلة الحسية ومطابقتها الغيبية لادى الاطناب فلنعرض عنه الى الخوض في
الكتاب مستمدا من العزيز الوهاب قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم .... لما لاح لك ان المعارف الالهية المشتمل عليها القسم الاول الذي يرجع
الى معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال هو الكبريت الاحمر فان هذه الثلثة ليست على
رتبة واحدة كما ان حقيقة الكبريت هو الياقوت الاحمر لا انها حجرية واعز وجودا لا يقع الا

منه بها الملوك والسلاطين وربما نظفر بادونه بالكبرية تلك معرفة الذات لكونها اجل رتبة واعظم رفعة
لا يظفر لتبتني منها الا ملوك الاخرة وسلاطينها مثل الانبياء والاولياء عليهم الصلوة والثنا جل جناب الحق
عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولكون معرفة الذات اصعب المعا
الالهية سلكا وبها الادا صعبها على الغير اعتقادا ومقالا اذا اعتضاها على الروية والفكر اذ عا ما والنفر
عن المحيط والذكر ضبطا لعله لا لا يشتمل القران منها الا على اشارات وتلويحات يرجع اكثرها الى
السلوب والتقاديس كقوله تعالى بعد ما ختم سورة الواقعة بالامر بالتسبيح سبح لله اي نزهه وقدسه
عما لا يليق بشانه مما يوجب الكثرة والتغير وبرأه من كل نقص ما في السموات والارض وهو العزيز في
ذاته الحكيم في افعاله لكونها على احكم ترتيب واتقن نظام والصيغة تدل بهما على ان ما اسند اليه
الفعل في تلك مجيرا ودايما ويوكده قوله تعالى يسبح على صيغة المضارع ايضا في بعض الفواتح وهذا الفعل
يتعدى باللام تارة وبنفسه اخرى واصل الثاني لانه منقول من سبح اذا ذهب وبعد فمعنى سبحه بعده
عن السوء فاللام فيه اما ان يكون كاللام في نصحته ونصحت له او يكون معنى الكلام احدث التسبيح
ابتغاء لوجه الله خالصا فيها قال مقاتل يعني كل شي من ذي الروح وغيره وكل خلق بناه ولعل الغرض
ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقادا وما ليس بعاقل من ساير الحيوانات والجمادات يسبحه بما فيه من الادلة
الدالة على وحدانيته سبحانه وصفاته التي تخصه تعبيرا مجازيا عن هذه الدلالة بالتسبيح كانها اقرار
منهم بلسان الحال من حيث امكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ويجوز ان يحمل التسبيح
على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه ولا الى ما يتصور منه وعليها عند من
جوز اطلاق اللفظ على معنييه ويجوز بعضهم ان يكون ما ضمنها بنطق ويويده ما حكى ابو زيد ان
الحجازيين كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيقال الرعد منه كلما يأتي منه التسبيح وهذا
كلام للاعلام في هذا المقام ولا يخفى عدم ملايمته لكل من التاويل والتخصيص المستفاد من كلامهم لكثير
من الايات القرانية والاحاديث النبوية الدالة على تسبيح جميع الموجودات حقيقة حتى الشجر والجماد والناس ف
منها قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه ومنها قوله تعالى
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب و
كثير من الناس وفي هاتين الايتين اشعار بان هذا التسبيح فطري وجودي ذاتي تجلي فناء عن تجلي الحق

مثل

ممن خلق الله له وانطقه الذي انطق كل شيء فاحتجوا وتواضعه لمن هو تكليف بل اقتضاء ذاتي طباعي
والذي يمنع من هذه العبارة الذاتية الافكار الوهمية والتقيدات الشيطانية التي يكون لاكثر الناس
التي بها يستحق كثير منهم العقوبة والعذاب كقوله تعالى ثم وكثير حق عليه العذاب والنكتة في ان الم تر اتى
فيها بصيغة الخطاب للعزم على النبي عم ليشهد ذلك شهود عيان ولنا ايمان ومنها قوله تعالى اولم يروا
الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين وعن الشمايل سجدا لله وهم داخرون وكذا امثالها
ونظايرها من الايات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة على وجه يستلزم الشعور
والادراك كما لك في هذا التعميم والشمول قوله تعالى تسبح له ما في السموات والارض ومن فيهن وان
من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وحكاية تسبيح الحصى في كف النبي عم وسماعه واسماعه امر
مشهور وفي السنة الرواة مذكور وبالايمان والتصديق مقرون عند الجمهور وبعضهم انبيا
روى عن ابن مسعود انه قال كنا مع رسول الله بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا
ويقول السلام عليك يا رسول الله ومثلها كثير في الروايات فلا وجه للعدول عن الظاهر المنقول المتلقى با
لقبول عند ارباب الكشف والشهود واصحاب الايمان والتسليم فان قلت التسبيح بالمعنى الظاهر منتف
عن الجماد لعدم الادراك فيه قطعا الاتم ذلك لعدم ما يدل على نفي الشعور عنه سوى تطبيق الدليل في بم
في بعض من العلوم العقلية على ان الطبايع النوعية لها غايات مترتبة على افاعيلها وفيها علل غائية
واسباب صناعية لوقوع الفعل المخصوص منها الا ان عند اهل الكشف والحال الذين قنعوا بمجرد التقليد
في العقليات والاقوال النادرة بحصولهم عن الايمان بهذا التسبيح قصرت عن دركه افكارهم الى ان فتح
الله لهم بالفتح او مرتبة مكاشفة واعلم ان اثبات الشعور والادراك لجميع ما في العناصر والافلاك مما
عليها المباحث البرهانية ويشهد به العلوم الذوقية ودراية المقامات الكشفية كما اشرنا اليه وقد
هو مذهب جم غفير من الراسخين في العلم واليقين ورأي طائفة عظيمة من الكاشفين منهم الشيخ العارف
والمحقق الكاشف محي الدين بن العربي واتباعه وتلامذته فانه قال قد سرى ان التسبيح في الجماد والنبات
لهم ارواح بطنت عن ادراك غير اهل الكشف ايضا في العادة فلا يحس بها مثل ما يحس من الحيوان
فالكل عند اهل الكشف حيوان بل ناطق غير ان هذا المزاج الخاص يسمى انسانا لا غير ونحن زدنا مع
الايمان بالاخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار يذكرون الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه اذاننا منها تخاطبنا

خاطبة العارفين بجلال الله تعالى بعد كرمه كل انسان انتهى وتحقيق هذا التسبيح وتسبيح وبسط الكلام المتعلق به
هذا المقام وربما يؤدي ذلك الى تسفيه الجهال واللئام عند سماعهم شيئا يخالف المفهوم من احد دا
منه تعصبا وتقليدا ولذا التقى باب ذكره ههنا هو ان لكل نوع من الانواع الجسمانية ملكا موكلا عليه مدبرا
لاماره وعيانا بربيها ازاده كما ذهب اليه اهل الحق وحكماء الاشراقيين طباقا للشريعة الحقة من تسمية بعض
ملائكة الله المدبرة لانواع الاجسام بالاضافة الى نوع ما يتعلق به تعلق التدبير والتاثير باذن الله
العليم الخبير كملك الجبال وملك البحار وملك الرياح وملك الامطار فهذا ضرب من الملائكة موكلة
بجنس الاجسام ونسبة كل منها الى افراده مظهره الذي يقال له في عرف بعض العرفاء الحكماء الطلسم ارباب
المتعلق لنسبة النفوس الى الابدان فانها نسبة الانسانية حقيقة الشيء وذاته المطلقة عن العوارض الخارجية
الى ذلك الشيء وكما ان الافعال الصادرة عن الانسان بالاختيار انما تصدر عن هويته وذاته الباطنة
عن ادراك الحس وهو نفسه المدبرة والبدن في ذاته من حيث هو بدن لا شعور له بل لا وجود له
كما حققنا ذلك في موضعه فكذا هذه الاجسام الطبيعية انما تصدر منها ما يليق بها من الحركة والسكون
والتغذية والتنمية والتوليد وغيرها من ملكوتها وباطنها التي هي صور حقيقتها ومقومة ذاتها الا من
جسمها وموادها ثم انه قد ثبت في المعارف الربوبية ان كل ما تصدر عن المبادي الذاتية فهو انما تصدر
عنها تضرعا ورجوعا الى باريها تعالى لا انقيادا الى السافل فحقيقة التسبيح الا انما يستلزم الخضوع و
التمجيد سواء كان باللسان او بالاثر الاخر خاشعا ظاهر العالم بأسرها في هذه العبادة الذاتية وهذا السجود
الفطري متدينة بهذا الدين الالهي الذي قام بروداته عليه الجميع الا كل مخلوق لقوة الفكر والرؤية
وليس الا النفوس الناطقة الانسانية والحيوانية خاصة من حيث اعيان نفوسهم لا من حيث هياكلهم فان
هياكلهم كسائر العالم في التسبيح والسجود له ان تجاهد تشهد على النفوس الجزئية لها يوم القيامة من الجلود والايدي
والارجل والالسنة والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلي الكبير فان قلت فما تقول في الاستثناء
الواقع في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين فان السجدة المامور
بها لادم هو نوع الحقيقة سجدة الله تعالى وطاعة لامره فاباء ابليس من سجدة ادم عين اباءه من سجدة ربه
ولهذا كان من الكافرين فينافي ذلك ما يجب الله عموم الايات المنقولة وكلية الحكم بعبادة كل موجود
من حيث هو موجود عبادة جبلية قلنا ان اباء ابليس عن السجود واستكباره وعصيانه بحسب ظاهر الامر

عين

عين سجوده وطاعته وخدمته وتواضعه لربه باعتبار القضاء الازلي فان العزيز الجليل انما مد في
العزة والجلال ذيل لا يجري بان يكون ابليس مطرودا ملعونا محترقا بنار البعد والضلال في الدنيا ومعذبا
بنار الجحيم والنكال في الاخرة فحيث ما جرى عليه القضاء فلم يكن له بد من موافقة علمه تعالى الذي هو عين
ارادته ولذلك اقسم بعزته تبارك وتعالى للاغواء لان الاغواء من مقتضيات العزة والاحتجاب بحجب
الجلال ولعل في قوله تعالى وهو العزيز الحكيم في هذه الاية ايماء بان طاعة الموجودات وتسبيحها الحق
تعالى على نحو الطاعة الشوقي التي جرى عليه القضاء الازلي لا يمكن لاحد التقصي عنه والعدول
الحجرة فعصيان العصاة وتمردهم عن الطاعة والانقياد لحكم الاسماء فاهل الحجاب وعباد الكثرة
لا يجيبون دعوة التوحيد ومن كان في رتبة الجمع يطلع على مراتبهم وعبد الكل بتمام عليه و
يعلم ان انكارهم عين الاقرار واقرارهم عين الاجابة لدعوة العزيز الجبار كما نقل عن سيد الاولياء
امير المؤمنين عليه السلام قال يشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود قوله تعالى وهو له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير لما كان الشيء هو المتصرف فيه باقي وجوده ارادها من
المتصرف وهذا بالحقيقة لا يكون الا لمن له ذات ذلك الشيء بحيث يحييه ويميته اذا اراد و
الا لكان تصرفه موقوفا على امر سببا بل فلا يكون له التصرف باي وجه شاء بل ببعض وجوه التصرف
فالمالك بالحقيقة من له ذات كل شيء فعبر عن الجميع بالاجسام العظام لانها الجليلة المكشوفة الواضحة
في عالم الشهادة وفي قوله وهو على كل شيء قدير اشعار لطيف بما ذكرنا من برهان شريف على ان
الموجودات مرتبطة بعضها ببعض متوقفة بعضها على بعض كاعضاء بدن واحد فلو لم يكن الباري
موجدا للكل لم يكن مالكا للبعض حقيقة مكاشفة واعلم ان الوجود قد يكون وجوده لنفسه وقد
لشيء اخر كالاعراض والصور فان وجودها لغيره لا نعوتا واوصافا لغيرها الا الذاتها كالات
الاعيان الجوهرية لان ماهياتها ليست نعوتا لغيرها والتحقيق ان وجود الموجودات في انفسها ليس الا
وجودها له تعالى لان جميعها فعل الحق والفعل من حيث هو فعل لا قوام له في نفسه الا بالفاعل وكذا
من الافعال والاثار مستقلة دون ما صدرت عنه فليست هي بالحقيقة اثار الفاعل تعلق بها على نوع
اخر من التعلق وموضع يحيي ويميت اما عطف على اما مرفوع على انه خبر بعد خبر او منصوب على انه حال من
الضمير المجرور في له ويحتمل عدم تعلق هذه الجملة بشيء فلا يكون لها موضع من الاعراب كقوله له ملك

السموات ومعناه يحيي الخلق بالبعث في الدنيا والموتى يوم القيمة ويميت الاحيا في الاخرة وعن ابن الوسنى يحيي
بالطاعة ويميت بالمعصية وعن ابى بكر الوراق يحيي بالعلم ويميت بالجهل وعن ابن عباس يحيي هذا للبعث
ويميت في الدنيا وهذه الاقوال الثلثة متقاربة في المعنى فان حيوة العلم والطاعة من قبيل حيوة الاخرة
في الاخرة وموت الجهل والمعصية من قبيل موت الاحيا في الدنيا كما ستقرا ان نوع الاحيا يختلف
في الاثنا بين كان في الاول نعد يحيى وفي الاخرة دعى يا ايها على ذلك قوله تعالى وهو على كل شى قدير مع
كونه على كل شى قدير بنسبة واحدة من حيث انه لا يتناهى عن علمه مثقال ذرة شى من المقدورات كما لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فان قلت ما وجه صدور الاماتة منه تعالى مع كونه محض
الرحمة ومنبع الجود والعطية قلنا فعل الاماتة منه تعالى لكونها مستلزمة للاحيا على وجه اكمل واحسن
او نقول ان موت البدن مع عدم ... بات في ... الروح بذاتها حية موجودة بالفعل وان كانت
ارواح الاشقياء المردودين ومن ثانية الموت عن كل مكان ما هو بيت ومما يوبيان الحيوة
الاخرة نوع اقوى من الحيوة الدنيا قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اذ حدة
البصر البصيرة ... على قوة الحيوة والوجود قوله عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن لانه من
كان هنا اولا لا يكون باطنا وهذا يلزم القول بان اوليته عين اخريته وظاهريته عين باطنيته
وعن ابن عباس الاول قبل كل شى بلا ابتدا والاخر بعد فنا كل شى بلا انتها فهو الكاين لم يزل
والباقي لا يزال والظاهر الغالب العالي على كل شى فكل شى دونه والباطن العالم بكل شى فلا
احد اعلم منه وتوجيه هذا القول وان كان فيه عدول عن الظاهر المفهوم انه ماخوذ من
بطن الشى بمعنى علم باطنه ولهذا اردف بقوله وهو بكل شى عليم لان العالم بوجوه الشى عالم بما
سواه وعن الضحاك انه هو الذى اول الاوايل واخر الاواخر واظهر الظاهر وابطن الباطن
وقال البلخي هو كقول القايل فلان اول هذا الامر واخره وظاهره وباطنه اى عليه يدور وعليه الامر
وبه يتم وقيل هو المستمر الوجود في جميع الازمنة الماضية والاتية الظاهر في جميعها بالادلة والشواهد
الباطن عن ادراك الحواس والمشاعر الجلية فيكون حجة على من جوز رؤيته تعالى في الاخرة بهذه
الحاسة وقيل ان الاول والاخر صفة الزمان بالذات والظاهر والباطن صفة المكان كذلك
والحق تعالى موسع المكان ظاهرا وباطنا ومع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان

[illegible]

والزمان

والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان مكاشفة الاولية فقد يكون معنى كون الشى اولا واخرا
معنى كونه غاية مرتبة في وجود الفعل في العين وان كانت الغاية متقدمة في العلم متقدمة
ايضا فانه سبحانه اول كل شى بمعنى ان وجوده حصل منه ومعنى انه الغرض في حصول ذلك الشى
منه هو علمه بالمصلحة وكونه عاما في الوجود والرحمة فيضا على الاشيا بلا عوض واخر كل شى بمعنى
انه الغاية التى يطلبه الاشيا ويقصده طبعا وارادة والعرفا المتالهون حكموا بسريان نور المحبة
والشوق اليه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم فالكاينات السفلية كالمبدعات العلوية
على اعراضهن من هذا البحر الخضم واعراف مشاهد معترفون بوحدانية الحق العليم فلكل وجهة هو موليها
فهو الحق الاول الذى منه ابتدا امر العالم وهو الاخر الذى اليه ينساق وجود الاشيا سيما ادم
اذ منه صدر الوجود ولاجله وقع الكون وهو الاخر ايضا بالاضافة الى اهل السافرين اليه فانهم
لا يزالون مترقين من رتبة الى رتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفنايهم عن ذواتهم وهو تعالى
ولذلك الجبل وجوده وابتهم فهو اول في الوجود واخر في المشاهدة وقد اشار حيثيات ما هو
غاية وجود العالم قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فدلنا على ان الغاية القصوى لوجود العالم معرفة كما ان الغاية
لوجود ادم دلنا ايضا على بعض الغايات المتوسطة القريبة بقوله لولاك لما خلقت الافلاك
فالمبدا والغاية لوجود العالم وبقاه الاخرة هو الله سبحانه لان لب العالم ولاجله نظم النظام
قال بعض الحكما ولو ان لاحد من الخلق معرفة كمال الذى هو الجز الاقصى لكان ينظم الامور
التى صدرت منه على الوجه الذى صدرت هو عليه وعلى هذا الوجه كانت الامور على غاية
من النظام والتمام كان عرضه بالحقيقة هو ذاته الذى هو الاول والاخر وهذا المعنى ايضا
سمى ... انكشفا لو ... الغالبة كلها تحت ... التى فطرها الله عليها متوجهة نحو غايات
حقة او اعراض صحيحة من الغاية في الجميع امر واحد هو الجز الاقصى الان ههنا غايات وهمية ذكرت
لطايفة من المتكلمين فيما سالكون ... والعبث وعماية ... لاعج ...
ولها الوجود ومنبع الرحمة والجود ومتسقات فهم ليبوا عباد الله الحقيقية بل لا الله مولى الحق
حيث ما يتولونه فلهم لا غاية ... من الطواغيت وما كان فعل الشيطان الوسوسة

والاضلال ولا يطيع الانسان الا بقوة الوهمية التي هي من جنود الشيطان فان شئت سمهم عبدة الطاغوت
فقد نزل بكل ذلك القران من قوله الحق واجب لقائه دجرى على ما اجرى عليه النظام فقد تولاهم و
مولهم الحق وهو يتولى الصالحين من كان لله كان الله له ومن كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله
لات ومن تعدى عن ذلك وطغى وتولى الطواغيت واتبع الهوى فلكل نوع من الهوى طاغوت
مختص وكل الى معبود ووجه اليه كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وانك لتعلم ان النظام اما
او وهمية والغايات الجزئية متعددة ولا تبقى فكل من كان الهه هواه ووليه الطاغوت فالطاغوت
من جوهرة هذه النشاة الدنياوية التي هي دار الغرور وموطن التزوير فكلما امعنت هذه النشا
الدنياوية التي هي دار الغرور في العدم ازداد الطاغوت اضمحلالا وينذهب بمصاقه دروده
العدم منقلبا به في الدركات حتى يحله دار البوار عصمنا الله واخواننا في اليقين من متابعة ا
لهوى والركون الى زخارف الدنيا وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتولاهم برحمته يوم الدين
واما كونه ظاهرا فلكونه نور السموات والارض والنور حقيقة الظهور لان ما ليست حقيقته النور
فانما يظهر بالنور والنور بنفسه ظاهر وبذاته متجل واما كونه باطنا اي مختفيا فلشدة ظهوره و
غاية وضوحه ولاجل ذلك يخفى على البصائر والانظار ويحتجب عن العقول والابصار فذاته بذاته
متجل للاشياء ولاجل قصور بعض الذات عن قبول التجلي محتجب فالحقيقة لا حجاب الا في المحجوبين
والحجاب هو القصور والضعف والنقص وليس تجليه الا حقيقة ذاته ولا معول له بلا ثنه الا صريح
ذاته لان صفاته ليست زائدة على ذاته كما اوضحناه في موضعه ولا ترى الشمس التي هي اشد انوار
الحسية واقوى الاضواء البصرية حتى لا يمكن للبصر لاجل ضعف قوته ملاحظتها الا من وراء حجاب
كالمراة والماء والسحاب الرقيق كما قال الشاعر كالشمس يمنعك اجتلاؤك وجهها فاذا اكتست برقيق
غيم امكنا فكذلك الحق سبحانه فانه وان احتجب بحقيقته عن العقول والافكار ولم يدرك ذاته البصائر
والابصار الا انه ليس لوجهه نقاب الا النور ولا لذاته حجاب الا الظهور ولم يمنع القلوب من
الاستنارة والاستجلاء بعيدة كنهها عن كدورات الشهوات الا شدة الاشراق وضعف الاحداق
فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق نوره واحتجب عن عقولهم لفرط الوضوح ظهوره وهو بكل شيء عليم
لان نور ذاته يظهر جميع الاشياء على ذاته اذ العلم بالشيء ليس الا ظهوره عنده شي اخر وهو لدين
يديه

بين يديه والله تعالى على كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اذ بيده ملكوت الاشياء ومنه
منشاء حقائق الاشياء قوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش اصل الخلق التقدير والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والعرش
السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله تعالى
فهي خاوية على عروشها والمعنى انه لما ذكر ان جميع الموجودات مخلوقة له ومنه وينتهي اليه ويعطونه كل منها
على قدر وسعها وجوده وظهوره وهو على ادراكه وسعه لعظمته ومجده وجماله وجلاله وبين
ذلك بان له التصرف في الجميع بالمالكية والافادة والاحياء والاماتة وانه اول كل شيء واخره
وظاهره وباطنه والملوك لا محالة ان يكون خاضعا ساجدا لربه ومطيعا لخالقه فلا بد ان يشعر بان
كونه بحيث يخضعه ويسجد له الجميع لجلال اجزائها وانقيادها وحكم اجبارها بامره استحقاق
بالهوام بما يليق بشانه واضح ومقابلة اللطف واحسانه وكرمه وامتنانه حيث نظم امور العالم
على ابدع نظام واتاه وجوده كليات الجواهر وعظام الاجرام على اشرف وضع وانتظام اذا
انشاء اعيان السموات وابدعها الا من شيء يتقدمه ولا على مثال يحتذيه ثم امسكها بلا اعماد بعدما
وانشاء الارض واوجد فيها الا اقواتا كل ذلك في ستة ايام ولم يخلقها في لحظة واحدة وان كان مقتدرا
لم تعم لان خلقها في هذه المدة اصلح وابلغ بجلال الكائنات وانسب بنظام المخلوقات ودربها على
ايام الاسبوع فابتدأ بالاحد وختم بالجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك تسمى جمعة عجبا
وقيل ان ايجاد الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على التدريج والترتيب ادل على كونه فاعلا عالما
مدبرا يقدر على اختيار ويكيف شيا اخر بان يعيد ويسجد له ويطيع امره جميع عباده ومن كان
في ملكه وملكوته وقوله ثم استوى على العرش اي استوى امره الى ملكه لان الامور والتدابير تنزل
منه وعن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما
اخرج هذا على التعارف في كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا
اختل امر مملكته قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير اصلا ولا جلس على السرير ابدا
قال الشاعر اذا ما بنو المروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقيل معناه ثم قصد الى
خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي ابو بكر وقيل ان يكون خلق العرش بعد خلق السموا

والارض وليس بين للتربيع بعيد عن اللفظ وروي عن مالك بن انس انه قال الاستوا غير مجهول والكيفية غير معلومة والسؤال عنه بدعة وعن ابي حنيفة انه قال اقروا كما جاء ولا تفسروه ومكاشفة اعلم انه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير محكم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب مع نفوسها المجردة المحركة اياها فامرها بالطاعة وحملها عليها وشوقها الانجذاب اليها كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وعمد الى ايجاد الاجزاء السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة من الجهات المختلفة ثم خصها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتمزيج القوى والكيفيات بما يلج في الارض وما يخرج منها وامدادها بما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو اقرب الى كل شيء من هذه الوسائط لان له التاثير والايجاد ومنها التهيئة والاعداد فهو مع كل شيء اينما كان وهو القائم على كل شيء بما كسب ومكاشفة اعلم ان المكشوف عند ذوي الابصار ان الحق سبحانه خلق السموات والارض في ستة ايام من الايام الالهية كل يوم منها الف سنة مما تعدون وهي من زمان ادم الى زمان محمد صلعم جميع دور خفاء الذات واحتجابها بالاسماء وظهور الاسماء في مظاهر الاشياء كل يوم منها مبادي واحد من الانبياء العظام من ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد اجمعين ثم استوى على عرش القلب وهو الروح الاعظم باسم الرحمن في يوم السابع وهو يوم الجمعة لجمع الخلايق فيه وجمعهم وحسابهم وجزائهم لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وقد اشتهر فيما بين الناس ان جميع الامصار انه الدنيا سبعة الاف سنة على عدد الكواكب السبعة وسلطانها لكل الف سنة يوم من ايام الله لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فالستة منها هي التي خلق الله فيها السموات والارض وما بينهما لان حجاب الحق فيها خلق احتجب بها فاظهر وابطن ويوم السابع هو يوم الجمعة وزمان الاستوا على العرش والظهور بالاسما وهذا الظهور يبتدي

في السابع مع ظهور محمد صلعم كما روي انه قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى ويزداد الى تمام سبعة الاف سنة من لدن ادم اول الانبياء الى المهدي خاتم الاولياء المهدي وصاحب الزمان وينقضي الخفاء بالظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيمة الكبرى وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب والميزان ويتميز اهل الجنة واهل النار ويرجع الى الله بالذات كما حكى بعض العرفاء عن شهوده وتمام ظهور هذه الامور في الاخرة وان كان العارفون يشاهدونها في مراة الدنيا فابتدا يوم القيمة الذي هو طلوع فجر مبعث نبينا محمد صلعم والمهدي يكون في اخره اعني الجمعة ومحمد صلعم صاحبها وخاتم النبيين واتفق اهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ان الله فرغ عن خلق السموات والارض في يوم السابع الا ان اليهود قالوا انه السبت وابتداء الخلق من الاحد وعلى ما يكون الجمعة وان جعلنا الاحد اول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء في السادس لابتداء الظهور وان دادي الخواص كما ذكر انه يوم خلق ادم اي الحقيقي ويوم الساعة وليوم المزيد حتى ينتهي الى تمام الظهور بدار تقلع الخفاء في اخر عند خروج المهدي صلعم وتمام الظهور في السابع الذي هو السبت ولزيادة توضيح هذا المقام نمهد مقدمة من الكلام فنقول ان ما اوجد الله تعالى بحكمته البالغة ونظمه بنظامه البديع لا يخرج عن قسمين اما امور طبيعية بحسبها تبدوا واما امور الهية دون الطبيعية حادثة اما الامور الطبيعية الجسمانية فتحدث بحالها وانشائها لا يكون الا على سبيل التدريج ومرور الدهور والازمان اذ المعني الطبيعي هو ما يصدر عن الطبيعة بمعد الله تعم والطبيعة بما هي طبيعة لسبب حقيقتها الامتناء الحركة اما التكون في العالم الطبيعي وهما زمانيان كما حقق في مكانه فالطبيعي اذا تدريجي لا محالة فوجود العالم الجسماني فلكيا كان او عنصريا تدريجي لان حقيقتها متقومة بالتغير وكل عاقل لبيب اذا فكر في كيفية ايجاد الاجسام الطبيعي وعوارضها وصفاتها الكلية يعلم ويتحقق انها وقعت في مقدار الزمان ويتحقق ان هيولى الكل قد اتى عليه دهر طويل وامد مديد الى ان تحصص بتمام الطف مراتب الكيف والعالي منها من الثانل والفلكي منها من العنصري والتزمن الظلم وتقبل الكرات الفلكية والانوار الكوكبية ويحيط بعضها ببعض والى ان استدارت الاجرام الكلية والكرات الكوكبية ودوكرت على مراكزها والى ان تميزت الاركان الاربعة وترتيب مراتبها وترجيح منون ترتيبها انتظم الكل بها نظم واحد متعاون بعضها ببعض وينتفع بعضها من بعض كاعضاء بدن واحد انسانين منه من

والدليل على ذلك قول الله ثم خلق السموات والارض في ستة ايام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
واما الامور الربانية والاشعة الالهية كلها من مراتب علمه الازلي وعالم قضائه وامره السرمدي وحجب
ربوبيته وسرادقات عزته لا يبلغ عقول البشر كنهها وقد عبر عنها في لسان الشريعة بعبارات ورموز لا
يفهم معناها الا من ايد بتوفيق خاص وهو لشارة البهاء في قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر تنبيها على عدم
تجددها وتغيرها وارتفاعها عن عالم الزمان والتغير وقد وقع في بعض شرايع السابقين وملل الاقدمين
اشارة الى كيفية حدوث الافلاك السموات من جوهر خاص من امر الله سبحانه على حسب الرمز ان فاض دهر طويل
على النفس الكلي اي الملك الاعظم الحامل للعرش الذي هو على جلة الحملة والمدبرات السماويات قبل
تعلقها بالجسم ذي الابعاد وكانت في عالمها الروحاني ومحلها النوراني مقبلة على مفيضها ومبدعها
وكلما اتصل عنه الفيض والفضايل الكثيرة وكانت سعيدة متلذذة مسرورة بهجة وفرحانة من تلك الفضايل
والخيرات فاخذتها شبه الحاضر فاحتبت نظلبا ان يفيض عليه من تلك الخيرات وكان الجسم محجب
هيولية فاودع فيه ذلك من الاشكال والصور والنقوش فاقبلت النفس على الهيولى الجسم الكثيف من
اللطيف ويفيض عليه الفضايل والخيرات فلما راى الباري ذلك جل ذكره ذلك منها دون الجسم وتعلقها به
لما تخلق من ذلك الجسم عالم الافلاك والجبال السموات من لدن العرش الى قرار الارضين على احسن
نظام وترتيب كما هي عليه الان هو كذا يفيض تلك الفضايل والخيرات من الصور والكيفيات متجددة
متعاقبة في ازمنة متطاولة لتردد هو كثرة الاستحالة الجمع بين الصورتين في زمان واحد فيها
استوت فاضة الصور والكيفيات المقدرة في قضاء الله وقدره على المواد الفلكية والعنصرية
سكنت الافلاك عن الدوران والكواكب عن السير والاركان عن الاختلاط والامتزاج وكلت القوى
الجسمانية والالات وبلي الحيوان والمعادن والنبات وخلع الجسم والصور والاشكال والنقوش
وانفطرت السماوات وانشقت وهدت الجبال ودكت حتى فارغة كما كانت بدا بدء ورجعت النفس
المدبرة الكلية الى عالمها الروحاني ومحلها النوراني وحالتها الاولى واعرضت عن شغلها الذي كان
واقبلت نحو علتها المفيضة لحقيقتها الان مثل النفس في اقبالها على الجسم واشتغالها بتدبيره واصلاحه
بعدما كانت مقبلة على مبدعها مستفيدة منه الفيض كمثل الرجل الحر العاقل الفاضل الاهلي انشا
الحب للعلم الحريص في تعلمه للعلوم والحكم والمعارف المتحلي بالاخلاق الجميلة والاداب الصحيحة برهة من الزمان

حتى

حتى امتلا من الخيرات والفضايل والعلوم والحكم اخذه عنده شبه الحاضر واشتهى وتوق وطلب من يفيض
عليه من تلك الخيرات والفضايل ويعنيه اياها فاذا وجد تلميذا يعلم انه يقبل منه ويفهم عنه علمه
وحكمه اقبل عليه بالفيض والارشاد والافادة طمعا في اصلاحه وحريصا على تعليمه
وتاديبه تشبها باستاذه الاول فاذا فرغ من تعليمه وتاديبه اقبل عند ذلك على عبادة ربه
وطلب الخلوات بما جلت رتبته وتمنى اللحوق باسلافه واقاربه والدخول في زمرة الملائكة وهكذا
كانت سيرة الانبياء وهكذا كانت سيرة الحكماء المتقدمين الذين اخذوا الحكمة من مشكوة النبوة كل
ذلك تشبها بالله في اظهار حكمته وبفيض فضائله على بريته واعطاء نعمته على خليقته كلا ارمن الحكما
ذكروا ان ملكا عظيم الشأن عزيز السلطان واسع المملكة كثير الجنود والعبيد ولد له من
بعض ولدا ذكرا كان ارتب الخلق به شبيها الى والده طبعا وخلقا فلما ترعرع وبلغ وكمل ولاه ابوه
بعض مملكته وامر اجناده وعبيده بطاعته واوصاه بحسن سياستهم واباحه جميع النعم عزابه عطاه
عن مرتبة فمكث ذلك الابن بها الطويل لاقله نصف يوم من ايام تلك الايام كان شاهد مخلصا
بعض عبيد الملك ممن كان متبتلا جاهل فقال الملك لست تعرف نعمة ولا تجد لذة الا ملك فنوع من ابلغ
نعمة منهو عن الشهوة فاغتر بقوله وطلب الى التبرا ان تياوا [illegible] حتى سقط من مرتبته وانحط درجته
عند ابيه ورد [illegible] وحسنوا شانت خطيئته فخرج من عند ابيه ذاهبا في مملكته
المستر [illegible] بالعنا ولقيه الباساء والفقر والجهد والبلاء فتذكر يوما كان فيه من نعم ابيه فحزن
على ما فاته وبكى اسفا ثم نعس فنام فحمل الى ابيه فقال ادعونا ابا الى يوم الجمعة ثم انه تولد في اليوم الثاني
ابن اخر اشبه الناس طاعة به فربا ودنا وكمل ودنا وكان حكيما [illegible] واستخراصهم ولاه بعض مملكته
وامرهم بطاعته واوصاه بسياستهم ففعل ما امرهم به فلم يسمعوا ولم يطيعوا الامر لاسر كان شبه
رحل بالذوة [illegible] ثم شكى الى ابيه فغضب عليهم ودعى اكرمهم في الناس فلما راى ما اصابهم اغتم وحزن
ونعس فنام وحمل الى ابيه فقال الركوة نما الى يوم الجمعة ثم ولد في اليوم الثالث ابن اخر وكان اشبه
باخويه اللذين تقدم ذكرهما وكان خيرا فاضلا محجاجا فولاه ابوه مكان اخويه وامرهم بطاعته و
اوصاهم به ما اوصى لاخويه من قبل ففعل ما امرهم به فلم يسمعوا ولم يطيعوا الا انه شبه المنزه
وخرجوا بالنار [illegible] وبالرهبة [illegible] الناس تعالى

لزيارة وسمعوا ما لم يسمعوا ثم نام وحمل الى ابيه فقيل اتركوه نائما الى يوم الجمعة وبقى هذا ذو مع ساير النفوس
يتوادون من جيران سمعوا وينصبوا له لحكمهم فرين ظاهرين مرتاء مما الابصرين ويفعلون شبه
مناسكهم ولكن اكثرهم لا يفقهون لانهم صم بكم لا يعقلون فاذا رزق في اليوم الرابع ابن اخ منا فكل
وما فكان حبله ابوه باصعد لما يولد ابوه مكان اخوته وامرهم بطاعته فغمهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا
ولم يطيعوا لانه كان يشبه المريخ بارد وباردهم ونادوا شوهم وكان مؤيدا بقوة ابيه
فغلبهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وشتتهم ودمرهم في البر والبحر ثم بقي وحيدا كالغريب يدعو
فلا يجاب ويامر فلا يجاب فاغتم وحزن ونعس فنام الى ابيه فقيل دعوه نائما الى يوم الجمعة فاذا رزق
في اليوم الخامس ابن اخ اشبه الناس باخيه الاول فربيناه وكل يوما وكان هاديا رشيدا
طبيبا نفاعا فولاه ابوه مكان اخوته فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا له الا قليلا ولم يطيعوا له الا
يسيرا لانه كان يشبه المشترى فوثبوا عليه فاخذ واتبعه الذين اتبعه امه فذهب الى ابيه فاستتر
عنهم بجنوده ويأتيهم بروح منه فشرح نفوسهم ويحكمون لاهويتهم بلا اذ [illegible] فاتوه
وارادوا ان ينزلوا من الراس فقال ابوه اصبر الى يوم الجمعة ثم قال الملك يوم السادس للنجيين اختاروا
الابن الذي يشبه عطارد يوما لينزل الى عالم الكون والفساد فينبه اخوته النيام ينادبهم الى ربهم
فقد رضيت عنهم وبايعهم بالاستعداد للصلوة فان غدا يوم العيد يوم الجمعة يوم القضاء يحكم
بينهم فيما كانوا فيه يختلفون فاجتمعت سادة النجوم ورؤسا الكواكب بيت المريخ وتشاوروا بينهم
فقال زحل الكواكب ملكها انا اختار لمن نوى وازيده من فضايل العظمة والجلالة والرياسة
والسلطان والعزة والرفعة والبهجة والبهاء والسنا والبذل والعطاء وقال نجم كيوان انا اختار
لمن قوى وازيده من فضايل الحلم والوقار والصبر والثبات وبعد الغور وعلو الهمة والحفظ
والامانة والفكر والروية وقال برجيس القاضي العادل انا اختار لمن فضايل وازيده من نوى
الدين والورع والخير والصلاح والانصاف والصدق والصيانة والرقة وقال بهرام صاحب الجيوش
انا اختار لمن نوى وازيده من فضايل العزم والشهامة والنجدة والشجاعة والجهد والنشاط والظفر
والغلبة والبذل والسخا والتيقظ والانفة وقالت ناهيد صاحبة النجوم انا اختار لمن نوى وازيده
من فضايل الحسن والجمال والكمال والتمام والزانة والزهرة والزينة والنظافة والحب والمودة والرقد

واللذة

واللذة وقال المهتدى الاصغر وهو اخفاهم منظرا واحلمهم مخبرا الذي صنعته اظهر وعلومه اكثر وعجايبه
اشهر انا اختار لمن نوى وازيده من فضايل واوبه من معانى المنطق والفصاحة والتعبير والفطنة
والقراءة والعلوم والحكمة وقالت ام النجوم كثيرة صنعته وارديه واختار لمن نوى وازيده من فضايل
النمو والنماء والزيادة والنماء والحركة في الاقطار والتنقل في الاسفار وبلوغ الامال والبريد والاخبار
وعلوم مواقيت الاجال ثم استدارت الافلاك وتحسنت وجعل الروحانيات اهل السموات نزلوا الى عالم
الكون والفساد في ليلة القدر قبل طلوع الفجر صاحب الشور لينفخ في الصور فتكون هذا المولود في
الرحم اربعين يوما من ايام الشمس وعشرين يوما في الرضاع حتى تربى ودنا وكل يوما وكان اشبه
الناس باخيه الثالث لانه كان يشبه العطارد الذي هو اخو المشتري فصار هذا المولود من بين
اخوته انهم بنية واكملهم صورة فكان اديبا عاقلا حكيما ملكا عزيزا رحيما اماما عالما نبيا مرسلا
فولاه ملكه اخوته كلها فظهر وقهر من خالفه ودفع واعز من وافقه وحكم في مملكته يوما الى ثلثين
يوما من ايام الشمس ثم اصابه العين فاعتل وبقى على الفراش نحو يوم من ايام القمر بعض العرش عليل
النفس ثم تحول الى دار الحزن وحفص قليلا ومشى ونشط وانبسط ودخل الى كهف ابيه ونام مع اخوته
فكلوا من ما ناقلى القفص ودار الرقاد وتقارب الميعاد نادا هم الملك المنادي انكم ان تنهوا من
نومكم واستيقظوا وتذكروا ما نسيتم من من قبل ولكم ورجعوا معادكم من اسفاركم وتادوا في الى
مقامكم عن قريب بكم فقد تم خلق السموات السبع في ستة ايام وعند الجمعة واستوى يحكم على العرش ويحلم
يوم بعد ما انبثت لعل لان الاخوة الذين قبل الخمسة وناموا كلهم بعد ما بقم احكام والبعير
وعشرين يوما من ايام الشمس بحساب العرب يتذاكرون كم لبثتم كم مكثتم فقال يوم او بعض يوم فلا تمار فيهم الا
مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فاختفى امرهم وكتم اسرارهم لانه لا يكون من نجوى ثلثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الى قوله وهو معكم اينما كنتم ثم ينبيهم بما عملوا يوم القيمة وهو يوم
جمع الخلايق كلهم اجمعين وكان للملك مدينة بها جنود ومما لكه ولا احد مثله [illegible] صانع
وعمال لهم اجرة وارزاق وبها تجار وبياع يتعاملون بموازين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات
لهم فيها قضاة وعدول ولهم نقد واحكام وفصول واقامة سنة القضاة الرجوع والحلو [illegible] كل ستة
ايام يوم واحد فهكذا يجري حكم النفوس الكلية وملائكة الله تعالى [illegible] الانفس الجزئية

وكل سبعة ايام كل يوم الف سنة لعرض الخلائق لدى العزيز الجبار الواحد القهار لفصل القضاء بينها
باستخدام ملائكته الفعالة باذنه فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
وروى عن النبي صلعم انه قال عمر الدنيا سبعة الاف سنة بعثت في اخرها الف قال صلعم لا نبي على عهده
الا من يقوم وهو يوم العرض الثاني كما ان يوم العرض الاول لما اشار اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من
بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين وبين اليومين مدة سبعة الاف وكما ان في المدينة لاهلها جنان وميادين
وانهار وبساتين وفيها مجالس ومصابن ومساجن فالاولى لراحة النفوس وبهجتها وسرورها
ولذاتها ونعيمها والثانية لعقوبتها وعذابها على قدر ابتهاجها وذنوبها فهكذا في جنان الوجود
ورابنا الكون فسحة وسعة لاهلها وجنات ونعيم وروح وريحان ونعيم ورضوان ومحابس و
دركات لاهلها في عذاب اليم وعقاب شديد ومحنة عظيمة كما ذكره الله تعالى في التورية والانجيل والفرقان
في مواضع كثيرة من نعت الجنان ولذاتها ووصف النيران وذكرنا هذا البعض مما وجدنا من كلام الاكابر
العظام فما وردناه توضيحا للمقام ولتعذر عن بعض الاعلام الانام من ولي الهداية والافهام في
الخروج عن طورهم لبعد المرام واهدوا الصدا بغير في البداية والنهاية قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير اي يعلم ما يدخل
في جوف الارض ويغيب فيها من البذور وغيرها وما يبرز من الارض ويكون منها او يعلم ما يتجلى في
الارض من المعادن والنبات والحيوان وما يخرج منها ويكون على ظهرها من هذه فيعلم اعيانها
واحوالها وتقلباتها واحوالها من القوة والفعل والكمون والبروز ومدة بقائها ووقت فنائها
ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وملك وغير ذلك حتى القوى والكيفيات ومبادئها وفواعلها
ارزاق الخلق اذ الجميع ما ينزل من السماء لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها
اي يصعد اليها من الملكة الحفظة وما يكتبون من اعمال الخلائق كلها وهو معكم اي عالم بكم اينما كنتم وفي
اي احوال من احوالكم وصفاتكم التي انتم عليها واعمالكم واقوالكم التي تعملون بها وتلفظون بها والله بما تعملون
من خير وشر بصير اي شهيد فيجازيكم على وفق اعمالكم مكاشفة يعلم ما يلج في ارض العالم الجسماني
التي هي تحت عوالم الارض لقوة الموضعية لا فهامن صور ومعلومات وما يخرج من الارواح التي

يفارقها

يفارقها والصور التي يراها عند الفنا والفساد وغير ذلك وما ينزل من سماء عالم الغيب الى ارض عالم الشهادة
وما يعرج فيها بعد الاستكمال ويطير اليها بجناحي العلم والعمل وما ينزل من سماء الروح الكلي من العلوم
الكلية والانوار العقلية الفائضة على القلب ثم ينزل منه الى ارض النفس حتى تتنور وما يعرج فيها من
الكليات المنتزعة من الجزئيات المحسوسة وهيات الاعمال المركبة والاول اشارة الى العلوم الموهبية
التي تهبط اولا على القلب فيتمثل في الخيال الحكاية حتى ينزل اليه مثاله والثاني اشارة الى العلوم الكسبية
التي ترتقي الى العقل بعد ان يقع الاحساس بالجزئيات الجسمانية وينتزع منها الكليات لاجل المشاكلة
بينها والمباينات والاول طريق الابرار والثاني مسلك النظار وهو معكم اينما كنتم الان موجودة
اعيانكم الثابتة بظهوره في مظاهرها فتحقق في مراتبها والله بما تعملون بصير لكونه مشهودا له فيها
حال منقوشا في الالواح الغالية ومكونا بحضرته لمعة الهية ان معية الحق للاشياء
ليست كمعية جسم لجسم او جسم لعرض او عرض لعرض وبالجملة ليست تلك المعية معية في الوضع والمكان
ولا في الزمان والان ولا في المحل والحال ولا في الفعل والانفعال ولا في الحركة والانتقال تعالى
عن هذه الاوصاف والاشباه والامثال علوا كبيرا بل انما معيته في الوجود لكونه قبل كل موجود وفي مرتبته
لا بنائه لا يقبل الحلول في المعية التي يعقلها الجاهل بمعيته فيتوهم من المعية معية ليست كنه وانما يعرف في الكون
هذا العلم العقه منها ويجوز ما يجد من كيفيتها فاذا ارادوا ان يفيضوا على غيرهم من المستعدين
شيئا منها مثلوا لهم مثال المراة وقالوا ان الله تعالى يتجلى للاشياء كما يتجلى صورة الشخص في المرايا المتعددة
المختلفة صغرا وكبرا واستقامة واعوجاجا وصفاء وكدورة وضيقا وخلا منها وان التجلي من جملة ما حصل بها
لجميع الاشياء الا انه نور والنور من حقيقته التجلي والظهور وعلى الجلال والظاهر لكن عدم ظهور هذا
التجلي اما لضعف فيها او صغر في مراتها كما لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا تطيق من الشمس ابصار
الخفافيش وعيون العشاق الا ظلا ضعيفا منه وهذا مثال الاجسام والنفوس الناطقة كالجماد والنبات
وغير الناطق من الحيوان والناقص من الانسان واما الكدورة في المراة كالابصار التي عليها غشاوة
وهذا مثال النفوس العصاة من الناس الذين على قلوبهم وابصارهم غشاوة اي على عقولهم وعلى بصائرهم
التي بها تحصيل معرفة الله وملكوته غشاوة المعاصي والشهوات التي بها يقع الحجاب عن شهود معرفته
ثم واما الاعوجاج والانكسار في المراة فيقع الصورة فيها على خلاف ما هو الواقع كما في الاحول وغيره من الاراء

العينية التي تقع بسببها الغلط في رؤية ما يتنور بنور الشمس من حقائق الاجسام وهذا لما للنفوس الحاجبة
للحق المتعصبين لمذاهب تقليدية ترسخت في نفوسهم من اول الامر بحيث لا يكون دونها اصلا لا ينفك عنه
لبعيدتهم الحولاء وفطنتهم العوجاء صور الحقائق المستنيرة بنور الله على خلاف ما هي عليها والا فالحق متجلي على
كل شيء كقوله وهو اصدق القائلين ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وفي الحديث النبوي انه تعالى فوق
كل شيء وتحت كل شيء وقد ملا كل شيء عظمته فلم يخل منه ارض ولا سماء ولا بحر ولا بر ولا هواء
هو الاول لم يكن قبله شيء وهو الاخر ليس بعده شيء وهو الظاهر ليس فوقه شيء وهو الباطن ليس دونه
شيء فلو دليتم على الارض السفلى لهبطتم على الله وفي طريق اهل البيت عليهم السلام احاديث كثيرة متقاربة المعنى في تأدية هذا
معنى هذا وكذا حديث قرب النوافل وقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب انت قريب فاناجيك ام بعيد فاناديك
فاني احس حسن صوتك ولا اراك فاين انت فقال الله تعالى انا خلفك وامامك وعن يمينك وشمالك
انا جليس عند من ذكرني وانا معه اذا دعاني فعليك الا ان المتقي عن المعاصي البدنية والقلبية
الان تنقي عن عين عقلك كدورة بالتخلي عن الرذايل وتقوى حدقته بتحصيل الطاعات وا
لعبادات والقيام في الليالي والاوقات مع استقامة الفهم والتدبر في المعاني العقلية والايات فاذا
صوبته الى ليس هناك ما ينافيه فاذا اغمضته تجليه ولم تنشبه هناك جنادرت وقلت انه فيه كما
نقل عن الجنيد بن محمد من رابته مظاهر الالهية ولوازم الاسماء ما قالوا الان يثبت الله بالقول
الثابت فنقول ان الصورة ليست في المراة ولا المعية بينهما كمعية الحال للمحل ولا المتمكن للمكان ولا
جزء من اجزاء المعية بل تجلت لها وظهرت بها ولو جعلنا تصورنا ان تحل صورة واحدة في مراة كثيرة
مختلفة وحالة واحدة بل كانت اذا حلت في واحدة ارتحلت عن الاخرى وجهات فانه يتجلى
لجملة من الحاضرين دفعة واحدة نعم يتجلى في بعض المرايا اصح واظهر واقوم واوضح وفي بعضها
اخفى وامثل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذلك بحسب صفاء المرايا وصفائها وصحتها وصحة استدارتها
واستقامة بسيط وجهها وكما يتجلى حقيقة الحق لجملة الحاضرين من الملائكة المقربين وعباد الله الصالحين
كذلك يتجلى بوجه ما للاشياء جميعها على تفاوت درجاتهم في الضعف والقصور وبهذا المعنى قال
واحد من الحكماء والمقربين ان المحسوسات كلها تشبه بالحق الا انها الكدرة قشورها وقلة نورها
لا يبقى ليحكي حكاية الحق من وصفها وبالجملة لا يخلو ذرة من ذرات الكائنات من نوره وتجليه له

وظهوره معه لكن يحصل هذه المعرفة والوصول الى مشاهدة هذه التجلي هو الاكسير الاحمر المستفاد من بحر عميق
من بحار القران قوله عز وجل له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور اي ينصرف بها كيف
يشاء الان مشيته تعلقت بحركات الافلاك ودوران الكواكب وسط الكل فنزول الاثار النازلة
عليها من السماء من الانوار والامطار التي تولد منها المركبات ويتكون منها الكائنات من المواليد الثلثة
وغيرها الحاصلة من الاسباب الفعلية والانفعالية السماوية والارضية ثم يرجع اليه الامور بعود
النفس الجزئي كل نفس واحدة باعمال وتسليم جميع من ملكه شيا في الدنيا بزوال ملكه وينفرد هو سبحانه
بالملك كما كان كذلك قبل ان يخلق الخلق مكاشفة اعلم ان كل ما يصدر عن فاعل فهو في اخر الامر
يرجع اليه كما يكشف لنا من تتبع الامثلة الجزئية فان من بنى بيتا ليسكن فيه فالداعي له في بنائه
هو الراحة التي يتصورها عند تمام البيت فهو مع هذا التصور فاعل الفعل الذي يحصل صورته منه
ثانيا اليه فكل من فعل شيا فانما يفعل لنفسه فلما افادنا النظر في خلق السموات والارض وما
بينهما اثبات فاعلها موجدا له مالكهما كما افادنا اثبات غاية يرجع اليه الجميع ويجب ان يكون تلك الغاية
هي بعينها هو الفاعل لوجودها الا انا لو جعلنا الغاية امرا معلولا لكان وجودها غاية غيرها كان
لها فاعلا فيتسلسل او يدور وايضا لا يكون ما فرض غاية لان الكلام في الغاية القصوى لكان
الباري محتاجا في فعله الى داع يستولي عليه ويجبره في فعله ثم وايضا لو لم يكن تاما في فاعليته
مستكملا بغيره بما فرض غاية والتوالي باسرها باطلة فكذا المقدم ثم انا لو وصفنا كلا من الفاعل و
الغاية بالمباينة الكلية تقتضي ذلك تعدد الباري ويقتضي ايضا سلب الماهية منهما وتحقق وجود في
شيئين كل منهما لا ماهية له فالله هو الاول الذي يتبدى منه الامور والاخر الذي يرجع اليه
الامور فبه يحصل الاشياء في الابتداء واليه ينتهي الموجودات في الانتهاء وهو الفاعل الموجد
والغاية المقصودة فان قلت كيف ما هو العلة الفاعلية علة غائية والفاعل قبل الشيء ليتبعث
منه الشيء والغاية بعد الشيء ليسوقها الشيء قلنا ان العلة الغائية ان تاملت فهي في الحقيقة هي
العلة الفاعلية دايما لا في هذه المادة خاصة فان الجايع اذا اكل ليشبع فانما اكل لانه تخيل الشبع
فاولا ان يتخيل لوجود الشبع بضرب من هذا التخيل وهو وجود ضعيف في حد العين وهو وجود قوي
فهو من حيث انه شبعان تخيلا هو الذي ياكل ليصير شبعان وجودا فالشبعان تخيلا هو العلة الفاعلية

والشبعان وجودا هو العلة الغائية فالاكل الصادر من الشبع ومصدر للشبع فالشبع هو الذي كان
علة فاعلية للاكل وعلة غائية له ولكن باعتبارين فهو باعتبار العلم فاعل وعلة غائية وباعتبار
الوجود العيني غاية لكن يجب للعارف البصير ان يعرف بين الفاعل الناقص الواقع تحت الكون وبين
الفاعل التام المرتفع عن الكون المقدس عن الاثنينية والتركيب فلا في الذات ولا في الاعتبار لان
فاعليته تامة ليست له غاية زائدة على ذاته وعلمه بالاشياء كسائر صفاته عين ذاته فافاضة
الخيرات في النظام منشأ منه الاشياء على احسن الانحاء وافضلها في التمام قوله عز وجل يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور اي يدخل ما نقص من كل منهما في الاخر
حسب ما دبره منه من مصالح العباد والبلاد كما نقل عن عكرمة وابراهيم وهو عليم بمكنونات اسرار
خلقه ومخفيات ضمائر عباده كما يعلم وجوه الخير في النظام الفائق ولو لم يكن عليما بخفيات الاسرار
لم يصدر عنه المخلوقات على افضل ترتيب واحسن نظام فانظر ايها المتفكر في حكمة البارى جل مجده
انه لو لم يخلق الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع منها التفاوت بين الليالي والايام والتفاوت
حصل بين النور والظلام بان يلج احدهما في الاخر بامر تارة وبالعكس تارة اخرى كذلك على
نسق مضبوط ونظام محكم من غير اختلال ولا قصور لما انتظم حال الخلائق والانام على هذه الكيفية
والتمام فكيف خلق الله النيرات العلوية على هيئات واوضاع ينتفع منها الكائنات السفلية من افضالها
لو بثت انوارها في الارض دائرة واحدة لاثرت بافراطها فيما حاذتها وتفريطها فيما وراء ذلك ولو لم
يكن لها حركة الفعل لما يفعله اللزوم والسكون ولو لم يكن للانوار الكوكبية ذات حركة سريعة
مشتركة ولجزئي بطيئة مختصة ولم يجعل مدار الحركات البطيئة وسوقها مائلة عن سمت الحركة السريعة
لما نالت تلك الانوار الى النواحي سيما الاوجوية ولم ينتشر منافعها على بقاع الارض ولولا ان حركة
الشمس على هذا المنوال من مخالفة سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي يتم
بها الكون والفساد ويصلح منها امزجة البقاع والبلاد قوله تعالى امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير خاطب سبحانه كافة ذوي العقول من
الادميين دون الملائكة لكونهم مفطورين على العلم بالله ورسوله ومقدسين عن مزاولة الجنايات
لعدم احتياجهم الى التزكية بالانفاق دون سائر الحيوانات ما سواه دون منها من الجماد والنبات لا لخطاب

مرجعها من استماع هذا الخطاب فيقال معاشر العقلاء المكلفين امنوا بالله اي اعتقدوا بوجود الحق الازلي
وكونه اله الخلق والامر وايقنوا بتنزيهه وتحميده وبرسوله اي بكونه مرسلا اياه وصدقوا رسوله
واعترفوا برسالته الالهية لاتصافه بخصايص الانبياء من خوارق العادات والعلم بالمغيبات وانفقوا تقربا
الى الله وطاعته وتخلصا مما يلهيكم عن معرفته ويبعدكم عن جواره مما جعلكم مستخلفين فيه اي
من مال الله وعزه الذي خلقه لمصالح عباده وانما خولكم اياه لتكونوا خلفاء من قبل الحق في صرفه
لوجوه المنافع والحوايج وخولكم الاستمتاع والانتفاع بها فليست الاموال في الحقيقة الا لمن خلقها
الا لمن كان متصرفا فيها بنقلها من موضع الى موضع او مضافة من اليه فانتم بمنزلة الامانة التي
لا يوجب التسلط الا انفاق صحيح منه المتعلق وانما يكون التعلق القوي والتسلط التام على شيء با
لقدرة على ايجاده واعدامه والقادر على ما ذكرنا انما كان هو الله دون غيره فالاموال كلها عارية
في ايدي المتولين بها الا انه جعلهم الله برهة من الزمان بمنزلة وكلاء مستخلفين وانما اوضح الله تعالى
كون المال عارية بيد صاحبه ليهون على الناس الانفاق منه كما يهون عليهم النفقة من مال
غيرهم اذا كانوا ماذونين فيه مامورين به وعن الحسن انفقوا من المال الذي استخلفكم الله
فيه بوراثتكم اياه عمن قبلكم وفي هذا تنبيه على ان المال ينتقل وصار اليكم ممن قبلكم و
سيصير منكم الى من خلفكم فينبغي ان تعتبروا بحال من سبقكم وعدم انتفاعه به فخشية ان تنفقوا
انفسكم بالانفاق منها وان تستوفوا حظوظكم البدنية والعقلية الدنيوية والدينية منها
قبل ان يخرج الامر من يدكم وينتقل المال الى غيركم مكاشفة واعلم ان هذا الحكم كما يشمل النعم
الخارجية كذلك يشمل النعم الداخلية من الاعضاء والجوارح والقوى التي انعمها الله ابانا وخولنا
الاستمتاع بها في الدنيا للانتفاع بها لاجل الاخرة بان تصرفها في عبادة الرب ومعرفته
عناء ترتيب بل النعم الداخلية البدنية كالنعم الخارجية المالية في كونها امانة لا رواحا
عن ذواتنا عارية في تصرفنا الا ان بعضها نعمة طبيعية متصلة بالبدن موجودة له وبعضها نعمة
خارجة عن البدن مباينة له كالروح وسلطان البدن وبقي كلها علية وفيه من القوى والالات
والمشاعر وبقي الروح وحيدا منفردا عنها عائدا الى ربه اما شاكرا واما كفورا فالذين امنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير اي جزاء عظيم ومثوبة جسيمة لا يكيفه افهامه ولا ينقصه نوال وانما يكون كذلك لان

كمال الانسان سوى العلم والعمل المتزين ذاته العقلية بالمعارف الحقة والاخلاق والاعمال وتخلى نفسه العملية
عن التعلق بالشهوات الموذيات باقتناء الفضايل والاجتناب عن الرذايل وكلا منها اشتان بافضل المعارف
معرفة الحق وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر وهو المعنية بالايمان وافضل الاعمال الكسبية
للقلب هو الانفاق بالمال الذى هو الوسيلة الى جميع اللذات الحيوانية والشهوات البهيمية ويمكن
ان يكون الايمان كناية عن العلوم الحقيقية مطلقا والانفاق عن الزهد فى الدنيا مطلقا اذ يحصل من
الامرين تطهير القلب بجناحيه الى حظاير القدس ولعل فى قوله لهم اجر كبير ايماء الى ان اجر الاخرة
جزاء لازم وثمرة ضرورية مترتبة على اقتناء الملكات العلمية والعملية بحيث لا يحتاج حصوله الى
جعل جاعل وتاثير مؤثر كما اشير اليه بقولنا اللذات الدينية لوازم يعنى ان الجزاء لازم كما ان الالام
والعقوبات الاخروية لوازم ضرورية لفعل المعاصى والشهوات الموجبة لرداءة الاخلاق و
الملكات كما يدل عليه قوله تعالى سيجزيهم وصفهم وان جهنم لمحيطة بالكافرين قوله عز وجل وما
لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين قرأ ابو عمرو
اخذ بضم الهمزة وميثاقكم بالرفع والباقون بصيغة المعلوم ونصب ميثاقكم على المفعولية و
الضمير يعود الى الله ثم جملة لا تؤمنون حال من معنى الفعل فى مالكم فاصله وما تصنعون
كافرا بالله مع وضوح البراهين على وحدانيته والحال ان الرسول يدعوكم الى الايمان بقواطع
الحجج والبينات ويتلو عليكم الكتاب الناطق والايات البينات ففى الكلام حالات متداخلان
وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم اى واى عذر لكم فى ترككم الاعتقاد
بوحدانية المعبود وما اتى به النبى وقد تمت البراهين على ما تؤمرون به سمعا وعقلا اما الاول فلان
الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم والعقل السليم عن الامراض والافات النفسانية مجبول على الاعتقاد بصدق
قوله بما اظهره الله على يديه من المعجزات التى هى خارجة عن طوق البشر واما الثانى فلوجود البراهين القاطعة الدالة
على الايمان بالله والرسول وكون الغريزة الانسانية مركوزة فيها التصديق بحقايق الايمان مفطورة عليها كما
اشار اليه بقوله وقد اخذ ميثاقكم والحاصل اى عذر لكم فى ترك الايمان بعد ما ازيحت عنكم العلل و
اوضحت لكم السبل بما ركب فيكم من غرايز العقول ونصب لكم من دعوة الرسول المؤيد بالدلايل والايات التى
ينبهكم بها على الايمان بمن هو ربكم دون من هو مربوب مثلكم ان كنتم مؤمنين اى ممن يحكم التصديق بما

يقوم

يقوم البرهان الواضح على صحته فقد تم لكم ذلك عقلا وسمعا بمقاطرة العقل ودعوة الرسول هذا اذا جعل
الخطاب للكفرة لكن ان جعل خطابا للمؤمنين فمعناه اى شيء يمنعكم عن الايمان والرسول بين اظهركم يدعوكم الى
الثبات عليه وقد اخذ هو عليه ميثاقكم ان كنتم مؤمنين موقنين بشرايط الايمان وهو كقوله يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
ايات الله وفيكم رسوله وعلى التاويل الاول اخذ الميثاق من الله على عباده وهو ميثاق الخلقة وقيل هو خلق
ميثاق الذرية مكاشفة ويحتمل ان يكون معنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم ممن يجتبى منه المعرفة والايمان
لا من الذين انطبعت بهم عن هذا وقيل فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا او لا من الذين طبع الله
على قلوبهم فهم لا يفقهون فالبراهين والدلايل العقلية والسمعية لا تنفع فى حق الاشقياء الناقصين
بحسب الفطرة لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم لها ولا لاهل الجحود والانكار لزوال الاستعداد عنهم
ونقصهم وطبعهم بالكلية لفساد اعتقادهم فهم اهل الخلود فى النار الا ما شاء الله فالخطاب فى هذه الاية
انما هو لاهل الفضل والثواب سواء كانوا من المقربين والسابقين او من اصحاب اليمين على تفاوت طبقاتهم او
كانوا من اهل الرحمة الباقين على صفاء قلوبهم وسلامة نفوسهم المتوسطين درجات الجنة على حسب استعدادهم
من فضل ربهم لا على حسب كمالاتهم من جزاء اعمالهم او كانوا من اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا واخر
سيئا سواء كان العفو عنهم لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم او لمكان توبتهم عنها ان تابوا الى الله ثم
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او لاجل نجاتهم من الجحيم بعد ان زال عنهم درن ما كسبوا من السيئات كما
لسبك من الذهب التى تخرج من النار خالصة وهم اهل العدل والعقاب الذين لم يخلوا من صلوا سيحييهم
سيئات ما كسبوا لكن الرحمة الالهية تتداركهم وتنالهم بالاخرة قوله عز وجل هو الذى ينزل على عبده ايات
بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم وقرئ لرؤف لما حث سبحانه المكلفين على المعرفة
الايمان بالله وملكوته من جهة ما ركب فيهم من فطرة العقول ودرع استماعهم من دعوة الرسول اخبر بانه لرافته بعث
ونبوكم ابا لما ايده الله به من المعجزات البينة التى اظهرها على يديه او الايات الفرقانية خاصة ليخرجكم
الله سبحانه بواسطة تلك الايات من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة او ليخرجكم الرسول بدعوته
او ليخرجكم المنزل بما فيه من الحجج النيرة والبراهين الواضحة وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث بعث الرسول ونصب
الادلة وهذا يدل على كمال الكرم والرحمة ولا اشعار باقترانه الكلام بوجوه من التاكيد فيها الجمع بين الفطن

مزاد فيه وتقبل الرأفة على المضرور والرحمة على المحتاج وتلك صفة الابرار لا الفعلى بطلان قول الجبرية فانه
يبين ان العرض من انزال القرآن الايات انواع تحقيق هذا المقام يحتاج الى تمهيد اخر من اقسام المعارف
عرفنا اكتب عليه على الكل انه لكن يجب على كل عاقل متفكر ان يعرف بين الغاية الاخيرة والمتوسطة وكذا
بين الغاية بمعنى الداعي وما ينتهي اليه من ضرورتها الذي يلزم الفعل من غير ان يكون داعيا عليه كقوله تعالى فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا مكاشفة اعلم ان الله تعالى كما نزل على الرسول بسط محمد ايات بينات
ليخرج الناس من ظلمة الغباوة والغواية الى نور الهداية والدراية فما من عبد من عباده المهتدين الا
ويأتيه من قبله تعالى اشارات وتنبيهات وينزل منه على قلبه انوار بمثابة الايات ليخرجه بها من ظلمة الحجب الدنيوية
الى نور المعارف الاخروية لكن الناس اكثرهم غافلون عنها لاشتغالهم خاطرهم بغير ذكر الله ونسيانهم امر الاخرة
فلا يعلمون بكون هذه الانزال الاخذ الميثاق المذكور في الاية المتقدمة فان الله سبحانه خلق عباده
على فطرة التجرد والنقاء عن علائق الاجرام والتقدس والصفاء عن كدورات الاثام والتهيؤ والقبول دعوة
الحق والالهام واستعداد الترقي بواسطة العلم والعمل الى ارفع المنازل في دار السلام ثم ان الناس في
هذه الاجرام الحيوانية الدنيا باسم و[illegible] واعظمهم العقل والتمييز وبعث اليهم الرسول مؤيدا بالمعجزات فلا يزال ينزل
على قلوبهم ايات بينات من انوار معرفته ويفتح عليهم ابوابا من فنون رحمته وهدايته ليهديهم الى صراط
مستقيم ويخرجهم من ظلمات الجهل الى انوار النعيم وان امتنع الناس وكدروا بعيثهم الجبلية مع الحق وعهودهم الازلية
مع مكان ملكوتية وسائر بدنها كانوا مفطورين عليها الطهارة ودوام الحضور بين العقدة [illegible]
واستعدادهم للمعرفة واليقين وتعلقا شاغل الكون لعرضة حجوبهم الدنيوية وشيعتهم [illegible] على قلوبهم
من انوار المعارف [illegible] بالحذاء [illegible] عن لطائف الحق الواصلة اليهم [illegible] الركاكة بهم الحطب
واثر اهم التبعات المعبدة لهم عن جوار الله [illegible] لان المعاصي تعمي ابصارهم وتصم اسماعهم عن ادراك انوار
الحق والهامات فاعرضوا بها عن ذكر الله وسماع ايات البينات واستعلوا بها يلقيهم الشيطان عما يلهمهم
الرحمن لقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وتمام التحقيق في هذا المرام ان
قلب الانسان ذو وجهين وجه الى عالم الملكوت وهو عالم المعرفة وعالم الاخرة وعالم الالهام
ووجه الى عالم الخلق وهو عالم الجهل وعالم الدنيا وعالم الوسواس ثم ان الخواطر التي ترد على قلبه وتبعثه
على الافعال والحركات اما ان تنبعث من الجنبة العالية وتدعو الى الخير كالعبادة والمعرفة او تنبعث من
الجنبة

الجنبة السافلة وتدعو الى الشر كالمعصية والغفلة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين
وهما ايضا حادثان فاحتاجا الى سببين مختلفين لان اختلاف المعاليل الحادثة يدل على اختلاف
عللها القريبة وان كان الموثر في جميع الوجود بسط هو الله لبراءته عن شوب الامكان والتدرج فسبب
الخاطر الداعي الى الخير يسمى في عرف الشريعة ملكا وذلك الخاطر الهاما وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا
والخاطر وسوسة وان الله تعالى خالق كل شيء خلق الملائكة لصفة رحمته ولطفه وخلق الشياطين
لصفة قهره وغضبه وكما ان الجنة اثر من اثار رحمته ونور من انوار لطفه ورأفته فكذلك النار اثر من
اثار غضبه وشعلة من شعل قهره فالانسان متى اشتغل بعبادة ربه ومعرفة خالقه انفتح طرق [illegible]
رحمته ودخل في زمرة الملكوتيين ومهما اشتغل بالمعاصي والشهوات ومتابعة الهوى والشيطان
استعد لمقته وغضبه وعد من جملة الشياطين فالالهامات من جانب الحق بواسطة الملك لعباده
الصالحين في مقابلة الوسوسة من جانب الشيطان وانما سلط الشيطان على قلب ابن ادم بواسطة الغفلة
الحاصلة من مخالفة الحق والعصيان والانهماك في ذاته هذا التسلط على الانسان وانما يدفع كيده
عنه بواسطة التوفيق الذي يحليه الانسان بفعل الطاعة والعبادة فاذا ازال كيده ودفع شره
عن القلب استعد لقبول الالهامات الداعية الى الخير والنور الصارفة له عن الشر ومن الظلمات فاهل
الرحمة مالهم الى الجنة والنعيم واهل السخط مالهم الى النار والجحيم وكل ميسر لما خلق له وكل ما يرتبط
الوحشة الاصلي ومعدنه الفطري اما من جهة التوفيق والهداية او من جهة السخط والخذلان وفي
الكل مشيته وقدره فقوله سبحانه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات يمكن ان يكون اشارة الى
الواردات التي ترد من جانب الرحمن على قلوب السالكين من عباده بواسطة ملائكة الرحمن من الالهامات
والمعارف الحقة الواضحة لديهم انها من جانب الحق وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور اشارة الى غمرة
هذه الالطاف والانعام في حقهم ودفع عنهم انه بها تنتقل النفوس الانسانية من القوة الهيولانية
الظلمانية الى العقل بالفعل النوري بانوار المعرفة والايمان بالله واياته واليوم الاخر ومن ظلمات
الصفات الشيطانية الى انوار اخلاق الملكية او الجمع فيها ليكون بها للعبد الخروج من القوة الى الفعل
في كلتا قوتيه العلمية والعملية وكما ان الانسان بالتامل في اسرار معرفة الله وسماع ايات ملكوته
والتفكر في امر الاخرة يخرج من ظلمات الجهل والنقصان الى نور المعرفة والكمال فكذلك في ارتكاب شهوات

الدنيا وما بعد الهوى والشيطان يخرج من نور الادراكات الحقة الى ظلمات العمى والحرمان عن شهوات
الدنيا الفضل الا الان عند الفساد والبطلان ويدل عليه قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والله اعلم باسرار كلامه قوله تعالى وما
لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون بصير قرأ القراء
سوى ابن عامر وكلا وعد الله بالنصب على المفعولية لانه مقدم على وعد وقرأ ابن عامر وكل
وعد الله بالرفع محتجا بان الفعل اذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله فيه قوته اذا تأخر والدليل ان من
قال زيدا ضربت وزيد ضربت فالمعنى مفعول ضربت فاذا تأخر للفعول موقع بعد الفاعل تعين اعرابه نصبا
فكذلك قوله تعالى وكل وعد الله الحسنى يكون على ارادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات
وانما معناه والله اعلم حث سبحانه على الانفاق الذي هو من الاعمال الحسنة الجامعة لتكميل الشخص وتهذيبه
عن ذمائم الاخلاق المؤدية بمحبة الامر الفاني ومع مصلحة النوع اذ بالانفاق ينتشر ما به ينتفع
الناس ويصيرون من جملة المصالح كما هيئة المجاهدين وعزهم المحيطة بالشريعة فقال وما لكم الا تنفقوا
اي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله اي شيء لكم في ترك الانفاق في طريق الحق والجهاد مع رسوله
مع كونه خيرا نافعا لكم ولغيركم والحال ان المال في معرض الزوال عن يدي من بيده عن قريب اما بهلاك
احدهما او كليهما في نفسه او على الاخر ولله ميراث السموات والارض اذ الكل يفنى وهو يبقى فالله يرث كل
شيء فيها من مال وغيره فالاحق للعاقل ان يجعل بالكون عارية في يده من غيره وسيقل البدء ويامره
بالانفاق الذي فيه صلاح له ولغيره فالاية من اعظم الحث وابلغ البعث على الانفاق ثم بين مراتب
المنفقين في الفضيلة والاجر وتفاوت درجاتهم بحسب الانفاق في سبيله فقال لا يستوي منكم من انفق
من قبل فتح مكة وشوكة الاسلام وكثرة اهله وقوتهم وقلة الحاجة الى القتال ونفقة المقاتلين ومن انفق
من بعد الفتح وحذف لوضوح دلالة الكلام عليه وقبل الفتح اولئك السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين انفقوا قبل الفتح وجاهدوا في سبيل الله اعظم درجة من الذين انفقوا بعد الفتح
ثم سوى بين الجميع في الوعد ومطلق الجزاء والمثوبة الحسنى وهي الجنة مع التفاضل في ترتب الدرجات فان
الله سبحانه لكونه عالما لا يخفى عليه شيء من الدقيق والجليل يجزيكم بما تعملون من نفقتكم وجهادكم بصير بموازين

الاعمال

الاعمال والاحوال ومراتب تفاضلها بحسب الصعوبة والشدة ودرجات شرفها بحسب الهمة والبصيرة والاخلاص
والتربية ومكاشفة واعلم انه كما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب اعمالهم البدنية وانفاقهم الظاهرية
قبل انتشار نور الاسلام وظهور عزه وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وبعده كذلك تتفاوت
درجات اهل الله واوليائه معرفته بحسب سلوكهم الباطني وسيرهم الاخروي الى شهود معرفة الله و
مهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء لوجه الله ومجاهدتهم مع اعداء الله واولياء الطاغوت تقربا الى
الحق بحسب معارفهم وعلومهم الاعتقادية الحاصلة قبل المكاشفة فان من كان اعتقاده انه حقه مطابقا
لنفس الامر وعمل بموجباتها من الانفاق والزهد والجهاد في سبيل الله قبل كشف الغطاء ومعاينة
الحقائق الدينية بالموت الارادي والطبيعي فهو اعظم جلالة واجل مرتبة من الذين زهدوا في
الدنيا وجاهدوا مع النفس والهوى بعد ذلك لان الانسان لو لم يكن مؤيدا من قبل الله تعالى بتاييد تام
وعهد سماوي لما كان خالف ترك الشهوات ومصادمة قوى النفسانية ومجاهدة الوساوس
الشيطانية قبل كشف الغطاء وفتح مملكة البدن من يد القوى الامارة بخلاف ما بعد ذلك لان الزهد الحقيقي
والورع عن محارم الله صعب على الانسان وقت الاحتجاب واما عند حضور الحقائق معاينة فليس كذلك
ويحتمل ان يكون معنى الاية اشارة الى تفاوت درجات القوى التي للانسان وتفاضل بعضها على بعض
بحسب الصفاء والكدورة والقرب من عالم القدس والبعد عنه فان في عالم الصغير الانساني جنودا
مختلفة وقوى متعددة فبعضها ملكية شبيهة بجوهر من الملائكة وبعضها شيطانية شبيهة بجوهر من
الشياطين وبعضها شهوية كالبهائم وبعضها غضبية كالسباع والجميع خلقت لتكون مطيعة لامر الله
مسخرة للقوة العاقلة وهي مكلفة بالمجاهدة مع هذه القوى الحسية الشهوية والغضبية والوهمية
الفاسقة والظالمة والكافرة ودفع معارضتها ومنازعتها مع القوة العقلية التي هي من اولياء
الله اذا كملت بالعلم والعمل وانما انبعث من جانب الله لتسخيرها وارجاعها من متابعة الطاغوت
الى متابعة الحق وعودها بالمجاهدة من عالم الغرور الى عالم النور ومن معدن الكذب الى مقعد الصدق
فالقوة العقلية التي ارسلت وجاءت من عالم الملكوت مبعوثة على عالم البدن وجنوده وقواه ما
ربه من قبل الله ثم معاداة الشيطان ومطاردة حزبه وجنوده لقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله
حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه

ليكونوا من اصحاب السعير فالانسان بقوته العقلية مامور باتخاذ الشيطان وحزبه عدوا والرد بالمبادرة عن معها
والمغالبة عليها اذ لا يمكن الغلبة عليها الا بتسخير القوى وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فكل ذا
مامور به وتوابعها فالقوة العقلية مامورة بتسخير القوى البدنية وتصفية هذه البلدة الحرمية التي هي فيها بجنود
لم تزل بعضها من الاخلاق الرذيلة والصفات الملكية الحاصلة بتاييده سبحانه وامداده في بعض
الادميين بجنود منقادة لها من عالم الغيب والبدن وهي ليست مزاحمة للقوة العقلية بعناية
من الله ولطفه لتسلط على المملكة والجنود فتصير القوى في جميع اوامرها ونواهيها تابعات و
لسلوك سبيل الله مشيعات بعد ما كانت عاصيات وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الذكاء و
سرعة التفكر والجود والكرم والعزم والصبر الجميل والتوكل وغيرها مما يتفاوت فيها مثل في التربة
بحسب انواعها المختلفة بالحقيقة واشخاصها المختلفة بالحالات المتنازعة والمتابعة لربها خليفة
الله في ارض البدن ملائمة الطاردة والمقاتلة بين جنود الملائكة وجنود الشيطان قائمة في معركة
النفس الانسانية الى ان يفتح المملكة الادمية لاحدهما فيتوطن فيها ويطرد الاخرى ويخرجها عن
البلدة بحيث لا يكون له الدخول فيها الا اجتيازا واكثر النفوس ما تفتح ملكها البدنية وغيرها جنود الشيطان
وسلكوها فامتلأت بالوسواس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة وقليل منها ما غلبت سلطنة فيها
القوة العاقلة على القوة الشيطانية وغيرها فاسلمت واطاعت كلمة الله وامرها واجابت دعوة الحق واعرضت
مع سائر القوى المسلمة المطيعة فصارت طاعتها ربها المطلق ومعاندتها امر الحق والنفس الانسانية لصفائها
ولطافتها صالحة بحسب اصل الفطرة لقبول اثار الملكية والشيطانية لتقلبها في النشات وتطورها بالاطوار
وتلونها بالالوان المختلفة كالاناء الزجاجي اللطيف الذي يتلون بلون ما فيه كيف ولو لم يكن لها
من اللطافة وقبول الاثر ما تقبل كل صورة وتنقش بكل نقش لم تقبل اثار الملكية لم يحصل لها نقش بها صور
الحقائق الالهية ومع اتفاق الفطرة تصلح للاثار الحسنة والباطلة صلوحا متساويا وانما يترجح احد الجانبين
على الاخر باتباع الهوى والشهوات والاعراض عنها فان اتبع الانسان مقتضى شهوته وغضبه ظهر
تسلط الشيطان بواسطة اتباع الهوى والشهوات بالاوهام والخيالات الفاسدة الكاذبة وصار
المملكة اقطاع الشيطان وصار القلب عشه ومسكنه والقوى رعيته ومرعاه لمناسبة ما لها دارها
الشهوات وارتباطها على نفسه فقاتل بعضهم جنود الملائكة بعض جنود الشيطان فتقابل الصفات

وتقابل

وتقابل الحسنات وتدافع الجريان فيدفع كل من جنود الله ما يقابله من حزب الشيطان فبقوة البرهان اليقيني
بوجود النشاة الباقية عارض الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة الداعية الى الشهوات والركون
الى زخارف الدنيا والاخلاد الى ارض البدن والاقتصار على هذه النشاة الزائلة وبقوة الصبر
عارض الهوى وبقوة الخوف من سوء العاقبة عارض الامن مكر الله وبقوة الرجاء عارض القنوط
من رحمة الله وبالعظة طرد الكسل وهكذا يدفع بكل جند من جنود الرحمن جندا يقابله من جنود
الشيطان حتى يفتح للقوة العاقلة اول بيت وضع للناس الذي بمكة الصدر واول مسجد
مسجد يضع للقلب الحقيقي بمكة الصدر بالقوى الذي هو حرم للقوى والمسجد الحرام هو هذا المسجد
الحرام وحوله على القوى المشركة الطبيعية الدهرية لقوله يا ايها الذين امنوا خطابا للقوى الادراكية
انما المشركون من القوى الطبيعية نجس لمباشرتها الارجاس البدنية والقاذورات بالاحالة
والهضم والنقل من موضع الى موضع فلا يقربوا المسجد الحرام وهو مسجد القلب المتنور بنور المعرفة
والاخلاص بعد عامهم هذا اي غاية القصود منا به وان خفتم من منعها عن الدخول فيه عيلة
من عدم فعل الغاذية وعجزها فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بان يحصل لكم القوت بطريقة
والاستغراق في شهوده بحيث لا يبقى لكم كثير حاجة الى فعل هذه القوى كما يحصل لاهل القوم
ثم ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر لكونهم جسمانية والتجرد شرط
الايمان والمعرفة اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله بالمعرفة و
العبودية من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة اي ذكر الله واتى الزكوة اي من الاحساد الحق
في تصرفه فركبها خلعها اما الرياضات والعبادات في سبيل المعرفة ولم يخش الا الله لكونه عالما به
وانما يخشى الله من عباده العلماء فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين الى طريق الاخرة وعالم
القدس اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام التي هي افضل الغاذية وحسبته هذا المسجد
انما هو بفعل النامية كمن امن بالله واليوم الاخر وهو القوى العقلية وجاهد في سبيل الله بمعاونتها
ومصادتها للواهمة وما دونها الشيطانية لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين امنوا وهاجروا من مواطن الجسمانية الى العالم المجرد والملكوت وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم من المواد البدنية والقوى الحيوانية لها اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون

يشهد بهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم وكما انه
قد يستعين المجاهد في دين الله بمجاهدة طائفة من الكفار بطائفة اخرى منهم كذلك في مجاهدة النفس يقع
نظيره كما يدفع الانسان سورة الشهوة بالغضب فان بالغضب يكسر الشهوة كما يزجر الخنزير من التمر بالكلب
تارة يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ومرة يدفع ضراوة هذا الكلب بتسليط الخنزير عليه فيجعل الكل
مقهورا تحت سياسة من طاق سلك عباد الله الصالحين ويظهر العدل في مملكة البدن ويجري الكل
على صراط المستقيم اذا تحقق ما ذكرناه فنقول ان القوة العاقلة التي هي خليفة الله في مملكة البدن اذا غلب
بجنودها التي هي من حزب الله كالمعرفة والتقوى والذكاء والصبر وغيرها على القوة الوهمية وجنودها
وجواسيسها التي هي من جنود الشيطان في اول الامر زمان الجاهلية الاولى وصارت مسلمة
بيدها مقهورة تحتها اذا جاء نصر الله والفتح اياها ودخلت سائر القوى في دين الله الذي هو طريق
معرفة الحق والعمل بمقتضاها افواجا عند هذا الفتح المعنوي الذي هو عبارة عن مشاهدة حقائق الاشياء
كما هي فبعض هذه القوى منذ صحبت القوة العاقلة قبل حصول الكشف والشهود كانت مطيعة
لامر الله خادمة للقوة العاقلة مؤتمرة باوامرها منتهية بنواهيها منتفعة لمادتها البدنية ومحللة لما حرمه
الله تابعة الحاملة لها في طريق التفكر في آيات الله وسبيل ملكوته والمجاهدة مع كفرة الاوهام الكاذبة
الفاسدة وبعضها كانت عاصية اياها بعيدة متمردة من اوامرها ونواهيها فكل قوة اسلمت واطاعت
امر الله واتفقت في طريق المعرفة ما يحملها من مواد الحسية وجاهدت في سبيل الله وحاربت مع
الكفرة والظلمة والفسقة تقربا الى طاعة الحق قبل الولادة المعنوية والولاية الحقيقية فهي اعظم اجرا
واجل رتبة من سائر القوى واقربها الى افق المجردات النورانية وكل من هذه الجنود والقوى لها
استحقاق الحسنى من عند الله والمؤمنة اذا اسلمت وصارت مسخرة للقوة العاقلة ثابتة في طاعة امر
الله وتابعيها اياها في السلوك اليه تعالى واستنارتها بنور المعرفة واهتدائها بهداها فان كانت هذه
القوى الجسمانية قائمة بهذه المادة العنصرية فهي داثرة هالكة غير باقية بعد خراب البدن فانى
يكون المؤمنة والسعادة قلت هذه القوة البدنية الداثرة ادراكية كانت كالحواس او تحريكية كالشهوة
والغضب كلها ظلال وآثار للقوى والمشاعر التي هي في ذات القوة العاقلة فان لها في ذاتها بصرا و
سمعا وذوقا وشما ولمسا من دون الحاجة الى البدن وكذلك لها في ذاتها محبة وقهرا وقبضا وبسطا

وبلا

وبلا مقهورة تحتها اذا جاء نصر الله والفتح اياها ودخلت سائر القوى في دين الله الذي هو طريق
معرفة الحق والعمل بمقتضاها افواجا عند هذا الفتح المعنوي الذي هو عبارة عن مشاهدة حقائق
الاشياء كما هي فبعض هذه القوى منذ صحبت القوة العاقلة قبل حصول الكشف والشهود كانت
مطيعة لامر الله خادمة للقوة العاقلة مؤتمرة باوامرها منتهية بنواهيها منتفعة لمادتها البدنية
ومحللة لما حرمه الله تابعة الحاملة لها في طريق التفكر في آيات الله وسبيل ملكوته والمجاهدة مع
كفرة الاوهام الكاذبة الفاسدة وبعضها كانت عاصية اياها بعيدة متمردة من اوامرها ونواهيها
فكل قوة اسلمت واطاعت امر الله واتفقت في طريق المعرفة ما يحملها من مواد الحسية وجاهدت
في سبيل الله وحاربت مع الكفرة والظلمة والفسقة تقربا الى طاعة الحق قبل الولادة المعنوية
والولاية الحقيقية فهي اعظم اجرا واجل رتبة من سائر القوى واقربها الى افق المجردات النورانية
وكل من هذه الجنود والقوى لها استحقاق الحسنى من عند الله والمؤمنة اذا اسلمت وصارت مسخرة
للقوة العاقلة ثابتة في طاعة امر الله وتابعيها اياها في السلوك اليه تعالى واستنارتها بنور المعرفة
واهتدائها بهداها فان كانت هذه القوى الجسمانية قائمة بهذه المادة العنصرية فهي داثرة هالكة
غير باقية بعد خراب البدن فانى يكون المؤمنة والسعادة قلت هذه القوة البدنية الداثرة
ادراكية كانت كالحواس او تحريكية كالشهوة والغضب كلها ظلال وآثار للقوى والمشاعر التي هي في ذات
القوة العاقلة فان لها في ذاتها بصرا وسمعا وذوقا وشما ولمسا من دون الحاجة الى البدن وكذلك
لها في ذاتها محبة وقهرا وقبضا وبسطا ايضا وجارحة روحانية وهذه بمنزلة العلولات والآثار لتلك
وكما ان الحواس البدنية كلها ترجع الى حاسة واحدة هي الحس المشترك فجميع حواس النفس ترجع الى حقيقة واحدة
هي عين القوة النظرية التي بها يشاهد المعقولات ويتصرف فيها ويحيط بها عند العقل بعقيدتها التي لها
في ذاتها من دون البدن الا ان الانسان في حالة النوم التي هي شبيهة بحالة الموت في تعطل
الحواس البدنية مبصر ويسمع ويذوق ويلمس ويتحرك مع ان حواسه الظاهرة وكثيرا من قواها العقلية
معطلة عن الادراكات والافاعيل فللنفس الانسانية قوى وخوادم في ذاتها وجنود معنوية والات
روحانية باقية معها في النشأة الآخرة وكما ان لها في الدنيا صورا واشكالا وهيئات يناسبها فكذلك
يحشر يوم القيمة في ظهور صور وهيئات مناسبة لصفاتها واعمالها حتى يشهد عليهم سمعهم وابصارهم

وعلو هم والسنتهم وارجلهم بما كانوا يعملون قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له وله اجر كريم قرئ فيضعفه وفى بالنصب على جواب الاستفهام وبالرفع عطفا على يقرض او على الخبر
اى فهو يضاعفه قد شبه تقديم الانفاق فى سبيله بالقرض الحسن فاطلق هذا اللفظ عليه بمجاز العلاقة
المشابهة من اعطاء شئ واحد واعطاء شئ لعوض الاحسان فيضاعفه له اى يعطيه الله اجره على انفاقه
مضاعفا باضعاف من رحمته وجوده وله اجر كريم فى نفسه وقد ضم اليه الاضعاف مكاشفة القرض
الحسن عند اهل الله والعرفان ان ينفق الانسان فى طريق معرفة الله وسبيل ملكوته والفكر فى آيات
جبروته مواده الدماغية وارواحه الانسانية وقواه الطبيعية التى هى اعز نفوسه هذه البلدة لاجنا
لعوض عنها ما يحصل فى قلبه من نفايس الانوار المعنوية وشرايف نقود المعارف الالهية التى بها
يصير الانسان من اكابر الاخرة واغنيائها فايقا على الاشباه والاقران متخلصا من سجن الحرمة والحرمان
وفاقة الجهل والنقصان فالله تعالى حيث هيأ اسباب المعرفة والعبادة للناس سيما ذوى البصائر
والاكياس تكاثر اراد منهم هذا القرض الحسن ووعد اياهم تضعيفا جزيلا واجزل هذا الاجر كريم
فى نفسه لان المعارف الربانية جليلة عظيمة لان شرف العلم وكرامته بحسب شرف المعلوم وكرامته
وليس فى الوجود ما هو اكرم واشرف من ذات المعبود وصفاته واسمائه وافعاله والغرض طريق وصوله
والانفاق فى ابتغاء وجهه يكون شريفا كريما ايضا لانه وسيلة الشئ تنال به قوله يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم الظرف متعلق بقوله وله اجر كريم او منصوب بمقدر واذكر تعظيما لذلك اليوم
فعلى الاول معناه يحصل هذا الاجر الكريم اليهم يوم القيمة وهو يوم يسعى للمؤمنين نورهم بين
ايديهم وبايمانهم الى الجنة فان الطريق الى الجنة المقربين انما يكون على الوجه الاول لانها عقلية
واقعة فى سلسلة الاسباب المؤدية الى وجوب الانسان بسلوكها العالم الربانى مرتقيا اليها بانوار
المعارف العقلية والجنة السفلى على الوجه الثانى لانها جسمانية واقعة فى السلسلة العرضية
معلولية فيتوجه اليها اهل البنات والصلاح واصحاب اليمين منعطفا اليها بنور [illegible] الاعمال
الحسنة ولهذا المعنى قيل اليمين طريق الجنة وقد صرح بعض اهل الكشف والعرفان بان البرزخ الذى
يكون الارواح فيها بعد المفارقة من النشأة الدنيا يه غير البرزخ الذى بين الارواح المجردة

الهام

والاجسام لان تنزلات الوجود ومعارجه متعددة لكنهما برزخان فى كونهما عالما متوسطا بينهما وموطنا
ملكوتيا فالسعداء منطوقون بصحائف اعمالهم من جانبى اليمين كالاشقياء فوقهم من
شمالهم ووراء ظهورهم وقوله بشريكم اليوم منزله الحال اى يسعى نورهم حتى تقول لهم الملائكة الذين
تتلقيهم بشريكم اليوم وهذه الملائكة المبشرين بالجنات مختلفة الدرجات فى القرب اليه تعالى حسب
تفاوت منازل اهل الجنات فى التقدس والخلوص مع اتفاقهم فى اصول الحقايق وصورها العيان
فالجميع جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم اى الخلاص من كل مرهوب والظفر
بكل محبوب فان لكل واحد من اهل الجنان له ما يشتهيه ويصل اليه همته الا ان الهمم متفاوتة
حسب تفاوت الاحوال فالاشر عندنا ان هذا النور يكون على القدر المتحمل فى عرصات القيمة ولا نور
هنالك الا نور الايمان والطاعة وكل يعطى نوره على قدر علمه مكاشفة هذا النور المنبث والنجم
هذه الاية هو نور المعرفة واليقين فان النفس الانسانية من عالم النور والمعرفة لكنها بسبب التعلق بعالم
الاجسام الكثيفة صارت ظلمانية محجوبة عن الادراكات فاذا ارتاضت ذاتها بالرياضات البدنية
والاعمال الشرعية من الافكار والاذكار والعبادات خرجت من مرتبة القوة الهيولانية الى مرتبة
الفعلية حصل لها العقل المستفاد وهو نور يتنفى ويضيئ فى المعاد فصارت نورا على نور وهذا
النور العارض لها يقذف فى قلب المؤمن من عالم الملكوت بسبب اكتساب العقليات واليقينيات المرتبطة
بصورة الخير الحقيقى او بسبب اكتساب الاعتقادات المحمودة والظنون الحسنة فمثال صورة الخير المظنون
فالاول نور عقلى يختص بالمقربين يسعى بين ايديهم ويصعد بهم الى جوار الله وجنات المعارف الحقة
العقلية التى قيل فى وصفها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثانى نور الاخر يختص
بغيرهم من السعداء يسعى بايمانهم ويتبعهم بصور الجنات الجسمانية صورة غاية ما يتصور بها لهم وقت حصولهم
من الصفاء والنور بعد النقاء والاثار فى كل احد بحسب قوة معرفته وايمانه ولهذا وقع فى الاخبار
ان انوار الاخيار والابرار مختلفة فى الاضاءة والانارة قال قتادة ان المؤمن يضيئ له نوره كما بين
عدن الى صنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيئ له نوره الا موضع قدميه وقال
عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وادناهم نورا من نوره على
ابهامه يطفى مرة ويتقد اخرى فاذا اضاء قدم قدميه واذا طفى قام وهكذا كان الحركة و

الحركة والادراك مثلا زينين لقوله تعالى كل نفس معها سائق وشهيد فالاول اشارة الى القوة المحركة و
الثاني اشارة الى القوة كان مرهود على قدر قصرهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض
الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه
تجر يد وتعلق اخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وهذا قياس تفاوت الناس
في المعارف ومن ذلك ما جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من ايمان
ونصف مثقال وشعيرة وذرة فكل ذلك مبنية على تفاوت درجات الايمان بحسب قوة اليقين وآثاره
ومرتبة التفطن والتحرز عما يقابله والمراد ان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار وقال
بعض العلماء في مفهوم هذا الخبر مرايا انه يزيد على مثقال ذرة لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراج
الا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وقوله تعالى وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين تفضيل المؤمن العارف على المسلم وهو المقلد مع سلامة عقيدته عن النفاق واما
قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد منها بالذين امنوا الذين
صدقوا تقليدا من غير علم برهاني وكشفي وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل على ذلك ان اسم المؤمن
يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه على بصيرة وكشف وقال ابن عباس في قوله تعالى والذين اوتوا العلم
درجات قال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين ما بين السماء والارض وقال
ع اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال ع فضل العالم على العابد كفضلي على رجل من اصحابي
وفي كتاب الكافي عن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر
النجوم ليلة البدر فهذه الشواهد تعرفك تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم في
الاشراق والكدورة ومحصل القول ان التشبث بالعلوم الحقة وفعل الحسنات في الدنيا ينتج نقوش الاخلاق
والملكات ورسوخ المعارف والاعتقادات والمعرفة اذا اشتدت صارت مشاهدة عند رفع الحجب
بالموت فمشاهدة كل احد بقدر معرفته وهو المراد من النور الا ان المعارف اليقينية الدائمة البرهانية
يورثها المشاهدات والمكاشفات العقلية وجنة الكاملين في العلم والمعارف الظنية الخيالية
تورث المشاهدات الخيالية وجنة اصحاب اليمين والصور الحسانية التي فيها انما هي منزلة تمثالات و
حكايات لما في الجنات العقلية لان العوالم متطابقة والنشآت متوافقة مع تفاضلها في الشرف

الارس

والرتبة لقوله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وقوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم و
ارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين
كفروا ماويكم النار هي موليكم وبئس المصير قرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء من
النظرة وهي الامهال اطلق على الاتيان على التعليق المتمنى الى ان يدركه الناس للتقدم وقرأ الباقون
انظرونا بهمزة الوصل المضمومة اي انتظرونا لانهم كالبرق الخاطف سرعة بهم على ركاب يذرف
وهؤلاء مشاة فخاضة بطيئة البطء وانظروا الينا لنستقبلكم بوجوهكم فتستضيء بكم لان النور بين ايديهم
فتحصل الاقتباس من نورهم عند المواجهة وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا يؤخذ منكم بالتاء
لتانيث الفاعل وقرأ الباقون بالياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولان التانيث غير حقيقي
وقرأ الغرور بضم الغين معناه الاغترار ويتعلق بالمنافقين معنى وغركم بالله سلامة الاغترار اي سلامتكم
حالكم مع اغتراركم وقال الزجاج الغرور ما غر من متاع الدنيا وقوله يقول بدل من يوم ترى
ذلك اليوم يوم يقول اهل النفاق للذين امنوا ظاهرا وباطنا انظرونا وانظرونا نستضيء بنوركم
وسط الطريق فنتخلص من هذه الظلمات لان المنافقين لما خرجوا من قبورهم اختلطوا بالمؤمنين
في نورهم فيسرع المؤمنون بقوة ايمانهم فتباعد المنافقون منهم بالتخلف فينقطع انوارهم عنهم
قيل ارجعوا وراءكم القائل لهم المؤمنون او الملائكة المنادون لهم ارجعوا الى الموقف خلفكم فالتمسوا
هنالك النور حيث اعطيناه فمن ثم يقتبس ويجعل يرجعون فلا يجدون نورا فظنهم انهم احدثوا
النور من موضع هنالك ولا يعلمون ان هذا النور يكتسب في الدنيا فيحصل بسببه وهو الايمان
بل هذا النور هو نفس الايمان والمعرفة تظهر اشراقه عند القيمة وقولهم ارجعوا توبيخ في صورة
الامر لاستحالة هذا النوع والتاخر وارجعوا تحولا عنا خائبين فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى
هذا النور وهو انما الهو وتخييل لهم لانهم يعلمون ان لا نور وراءهم ويحتمل ان يكون للمنافقين مرتبة
ضعيفة من النور كانه للقوى الى الجنة وهم يبغون الزيادة فوقع المنع لهم من المؤمنين ان ليس لكم
الا ما اكتسبتم من خلفكم اي الدنيا فارجعوا من هذا الاطلاع الى ما وراءكم فالتمسوا نورا من عملكم

والتعنوا بحرذرة فيكون لامرا حقيقيا فضرب بينهم اى بين الفريقين بسور اى بناء مرتفع اى حجاب
حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو الاعراف له باب اى لذلك السور باب قيل اى طريق
لاهل الجنة يدخلون منه اليها باطنه اى السور او الباب الذى يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره الذى
يلي اهل النار من قبله اى من عنده ومن جهته العذاب هو الظلمة والنار ينادونهم اى ينادى
المنافقون المؤمنين الم نكن معكم فى الدنيا فى المنازل والمساجد نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون
بناء على الظاهر واتفقوا المؤمنين فى الاعمال الظاهرة من الصلوة والصيام ونحو ذلك قالوا بلى كنتم معنا
فى ظواهر الاعمال دون بواطن النيات والمعارف ولكنكم فتنتم انفسكم اى محقتموها بالنفاق
واهلكتموها وقيل اثمتم وتربصتم اى انتظرتم بالمؤمنين الدوائر او بالنبى صلى الله عليه وسلم كما قالوا نتربص به ريب المنون
وقيل داومتم الاوقات بالايمان بالله ورسله على الاخلاص وقيل اخرتم التوبة وارتبتم اى
شككتم فى حقية الاسلام او فى البعث وغرتكم الامانى الكاذبة والامال الطويلة حتى جاء
امر الله وهو الموت وما بعده وغركم بالله الغرور اى الشيطان بان الله لا يعذبكم لانه غفور
كريم ولم يفقهوا ان منشاء العذاب جنة جوهرهم وفتح سرير نفسهم او الاعراض والطمع فى الدرجات
الاخروية من غير سبق عمل كما حكى الله عن بعضهم ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اى ما تفتدى به ولا من المعلنين بالكفر هى مولكم اى اولى بكم كما فى قول
لبيد شعر فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها ادعى امركم اى لا ناصر لكم سواها
والمراد نفى الناصر على القطع ومن هذا القبيل قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ونحو قول العلماء [illegible]
للنار بلا نه فى ذاتها اى لا لغيره ولا بغيره ولا لذاته وقيل متولاكم كما توليتم فى الدنيا اعمال اهل
النار مكاشفة اعلم ان الله جعل الاخرة وبنى درجاتها بتوزيع على الحسنات والسيات فان مبادى
الاحوال الاخروية احوال الدنيوية لان الدنيا عبارة عن حالتكم قبل الموت والاخرة عبارة عن حالتك بعد الموت
وقد وصلت الى الله تعالى بعد ذلك واحوالك صفاتك واحوالك يسمى العاجل منها دنيا والمتاخر اخرة وهما
من جنس الصفات يعرف معنى كل منهما مع الاخرة الانتقال من الاولى الى الاخرى كالانتقال من المحسوس
الى المعلوم ولهذا المعنى قيل من فهم الصفات علما ما لاخرة نشاة على حدة كما ان هذا اليوم المعلوم
غائب المحسوس حاضر فى يوم الاخرة على عكس ذلك يتجلى الغائب ويختفى الحاضر لا انا نومن على السرائر ونحن الان

سلم

يتحقق هذه النشاة العلمية لمن هو فى عالم المحسوس من حيث هو فى عالم المحسوس الا بالامثال فان من فطن
بالعقليات فهو لا يعقلها من حيث كونه فى العالم المعقول كما قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون وهذا لان هذا العالم نوم بالاضافة الى ذلك العالم كما قال عليه السلام الناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا وما سيكون فى اليقظة لا يتبين فى النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير وكذا ما سيكون
فى يقظة الاخرة لا يتبين فى نوم الدنيا الا فى كسوة الامثال على طريق ما ثبت فى علم التعبير من اوله الى
اخره امثال معروفة تعارفه ذلك العلم طريق ضرب الامثال ولذلك الانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا
بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم لانهم فى النوم والنائم لا يكشف له شى الا
بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذا ينبغى المثل ابدا ... صورة ان نظر الى معناه
وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فان تقرر هذا فنقول هذه الاية مثال يوضح به سوء
عاقبة حال الاشقياء من اهل النفاق وخاتمة حال المغرورين من الجهال المتشبهين باصحاب الكمال
فانهم لاشتغالهم بظواهر الاعمال الحسنة المحمودة عند الجمهور كمدارسة العلوم وفعل الطاعات
ظنوا انفسهم على الخير وهم مع ذلك من الحمقاء الاشرار وهم عند انفسهم من المقربين وفى نفس
الامر من الفجار المنافقين والله يشهد انهم لكاذبون وذلك انهم لم يطهروا قلوبهم ولم يهذبوا علمهم
من الاغراض الدنياوية والشهوانية فاذا انكشف الغطاء وارتفع الاشتباه والغلظ الحجاب عن قلوبهم
من انوار المعرفة خلا وايديهم من آثار الهداية صفر وهم فى ظلمة الحجاب والاغترار معتزون وفى مفازة
عالم الجهل محبوسون لا ينكشف لهم من طريق الحق موضع قدم لفقد نور البصيرة عنهم اصلا فلا
يتاتى بالمنتهى قوة السلوك اليه ولا ساد ذلك لعدم وصله منه وتوجههم شطر الخيرات اما الادراك
فلم يدركوا الا اعتقادات موروثة تقليدية مبنية على اغراض نفسانية تبعث على الغرض فى قلوبهم
وصارت ضمائرهم وكل لان طبايعهم كانت البيئة البهائم مبادى الشهوانية بها وقد اخذ وقادهم
معلمهم بحسن الظن فى والتعاليم فصارت بعيدا بالعلم عن ادراك الحقائق الحقة منعرقا فى ظلمة شديدة لا
اوحش منها واما العمل فانه فرع للعلم فمتى لم يكن العبد فى الحق معبودا حقا لم يكن العبادة مرضيا
للحق ينتج وصالا اليه وقربا منه فنقول قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم مثال حال بعض
المتشبهين بالعلماء من اهل الظلمة الباطنية واحتراقهم بحر حرارة الشهوات والاغراض الدنياوية

انطفا انوار الحس وفتور القوى على فقدان نور المعرفة وبرد اليقين في قلبه ومع ذلك معزور ومن حجز
امر نظرا لراد في اشتغال الى التعلم وطلب استفاضة انوار المعارف من عامليها من المعلمين على الحقيقة
بصيرة اعلم ومعرفة ونور عقلي فيتوجه نحو المومنين حقيقة والعلما حقا فيخاطبهم ويامرهم بالتوجه
الىه والالتفات نحوه قايلا انظرونا نقتبس من نوركم ظنا منه ان ذلك منة عليهم لا نزمن جملة
المعبرين عند نفسه وعند بعض الحمقا الجاهلين في العلما فحق الحق ارشادهم وغاية اشفاقهم
على الناصحين بعيد ونهم الى طريق السلوك الى الحق ويرشدونهم الى كيفية استفاضة المعارف
قايلين بان لكل مسلة من المسايل الالهية والاسرار الناموسية مبادي ومقدمات لا يمكن التفطن
الى تلك المسلة الا بعد التفطن بها سوا كان بحدس وحركة سريعة كما هو طريقة الانبيا والنظار
ما ولي الاعتبار وقيل الخوض في العقليات واستحصل ما يجب الاشتغال بعلم اللغة والنحو والصرف
وعلم الاخلاق وعلم الحلال والحرام ومن لم يحصل شيا منها على وجهه مع نية صادقة واخلاص
في العمل لا يمكنه الدخول في نفسه الاسرار وعلم الانوار العقلية ثم فاتوا البيوت من ابوابها فقوله ثم
قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا اشارة الى هذا الحال ومن هذا القبيل حكاه الله تعالى عن حال الجاهلين
المعزورين من اصحاب النار وامتناع استفاضتهم المعارف من المعلمين والروسا الذين من اصحاب
الجنة بقوله سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله اي من
ماء المعارف الالهية التي بها يكون الحيوة الاخروية العقلية او شي من ساير العلوم العقلية التي
رزقها الله للعلما زهدا لكلامهم وتعلمهم قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا
ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقا يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون و
مثال هذه الحكاية ان رجلا من جملة الجهال الذي كان مبتليا في اصل الفطرة فما اشتغل في ايام عمره
بشي من العلوم التي لا ينبغي ولا يتبغي فرقصد تحصيل الامور الدنياوية كالقضا وتولية الاوقاف
وغيره من الاعمال التي يتقلدها المتشبهون باهل العلم في اكثر الزمان من غير استيهال وهذا الشيخ الجاهل
البليد لم يتعلم ايضا من المقدمات شيا يعول عليه في اكتساب العلوم اليقينية ولم يمارس المقاصد
الالهية اصلا فيقول للعالم الرباني الذي رياضت نفسه بفنون من العلم اليقينية العقلية وعرضها بعض
علي لعلي من دقايق علومك الالهية فيقول ان الله حرمهما على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله
انما

انما يكتسب بعد كمال الاصل وممارسته طويلة بعد تعلم ما يتوقف عليه من العلوم الادبية وعرضها مع الخلاص
في النيات ونزهها عن الفحشا والمكر والبغي من الاغراض الشهوية والغضبية والشيطانية فاذا بطل
الاستعداد وفاتت المناسبة الاصلية فاستحالت الاستفاضة وحرمت كما يستحيل افاضة العلوم
العقلية على اجسام البهايم والسباع التي لا شغل لها سوى طاعة الشهوة والغضب التي امرتها نفوسها
لان النا الحقة التي جعلت للقوة الشهوية منزلتها منزلة ابدان البهايم المطيعة لنفوسها بل انزل منها
رتبة كما يبناه في تفسير قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وانما قوله تعالى فضرب بينهم بسور له
باب الاية فهو مثال الصورة الشرعية الحقة التي ظاهرها حصن يحرس الناس من المفاسد والاعمال
القبيحة والعقايد الباطلة ومن نظر في احوال الضالين والتابعين من اهل البدع والمذاهب الجاهلية
وباطنه اسرار رحمته وانوار مخفية فيها اصل العبد الى رحمة الله ورضوانه فالشريعة سور الله فيها يسوق
عباده الى رضوانه فمن نظر الى صورة السور الذي لاجل تاديب المستعدين لم يرجعه الا عذاب اليم ومن
نظر الى الغرض المكنون في باطنه نعيم ان يحصل الشفقة كذلك عن ظواهر الشريعة من عبادة يبقى اسرارها
وبواطنها من ريضها الا تعب الجوارح ورياضة الجسد الموجب لظلمة الاعضا الا بتر الفكر الموجب لزيادة
النور في قلوب العقلاء فيثقل عليها حملها والعمل بها لعدم الاطلاع على المقصود منها الا ترى الى
الصلوة والاكبيرة على الخاشعين فانها قرة عيونهم كما قال رسول الله قرة عيني في الصلوة بحيث ظاهر
ربح النيات بدء بالمنفس دل حكيمان بنية قوله ثم ان كم معكم حكاية لحال المنافقين المغترين
باعمالهم التي هي انواع اعمال المتصبرين في الصورة الا انها كانت مشوبة بانواع الاغراض الشيطانية
والرياء الخفي من طلب الجاه والمنزلة عند الناس والتقرب على اهل الله بسبب التقرب الى الظلمة والامرا
وتعجبهم من تخلفهم من مراتب الرجال وسلوكهم طريق الضلال مع توافقهم مع هؤلاء في الافعال
والاعمال وقوله تعالى قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم الى اخر الاية كشف عن ضمايرهم وايضاح لحالهم وصفات
اسرارهم لان الاخرة يوم الحساب يوم تبلى السراير اي جعلتم انفسكم بسبب مباشرة تلك الاعمال الممتحنة
بفنون الاغراض الدنيوية المحن الشديدة من الاعمال الا وما الاعمال في تلك الطلب الجاه والوجه والتعالي على الاقران
الخيال والتسلط في البلاد والشهرة عند العباد ودرتهم الفساد والهلاك ولو ضيروا الحق من الفكر ولم
تصلحكم في اراكم الباطلة ولم يمكنكم في طلب الترفع وانكانوا على الحق واخرتم النفاق والعناد

الحكمة والمعرفة وهم المؤمنون حقا وشككم في دينكم مذ كنتم لتصادم الشكوك وتعارض الادلة التي
لا يتخلص منه الا المخلصون ثم على خطر عظيم وخوف ووجل شديد وغركم الامال التي منشاها
طول الامال والاعمال وغركم بالله الغرور الشيطان ودنياكم وحبائله وخدعه وغروره اكثرها عرضة المنتسبين
الى العلوم الدينية من غير تهذيب الباطن عصمنا الله واخواننا الصالحين حيث ما كانوا وحيث ما ذكر
يكون شديد المناسبة لقوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون
قرء نافع وما نزل بخفيفة الزاء والباقون بالتشديد فعلى الاول يكون المرفوع ضميرا عائدا الى الموصول
وعلى الثاني وهو عائد الى الله والعائد الى الموصول ضمير منصوب محذوف عن الصلة دون ولا
يكونوا بالتاء على الالتفات او على النهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلب والباقون بالياء
عطفا على تخشع الم يان من انى الامر يانى انا واناء اذا جاء اناه اي وقته والخشوع لين القلب والانقياد للحق
وهو ضد الخضوع والقسوة غلظ القلب والجفاء عن قبول الحق والخشوع ما دعا اليه العقل السليم من
الاغراض النفسانية وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك وهذه الاية قيل انها نزلت
في المنافقين بعد الهجرة بسنة وقيل انها نزلت في المؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وعن ابن عباس ان الله
استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القران وعن الحسن اما والله لقد
استبطاهم وهم يقرؤن من القران اقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من
الفسق وقيل كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا
عليه وينبغي للمؤمنين ان يزدادوا تقيا واخلاصا بطول صحبة الكتاب والمعنى اما حان للمؤمنين اي
المنتسبين الى الايمان ان تخشع قلوبهم وترق لذكر الله مما يذكرهم الله وصفاته وافعاله وكيفية كون
مبدا العباد ومعادهم ويومنا المعاد وما نزل من الحق من الايات والنذر القرانية والمراد من الخشوع
والخاشية القلوب عند ذكر الله وتقوية ايمانهم عند تلاوة اياته كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ومن شدة المراد وما نزل الله من المعارف الحقة ولا يكونوا كاهل
الكتاب الذين كانوا في العهد الاول فطال عليهم الامد اي الزمان بينهم وبين انبيائهم او الامد الجزاء اي
لم

لم يعاملوا بالعقوبة او بمجيء القيامة وقرعها اما على الوقت الاطول فاعرضوا بعد ذلك فقست قلوبهم اي غلظت
وجانت وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم مصرون على المعاصي معتادون بها فكانوا بحيث لا
ينفعهم نصح الانبياء ولا ينجع لهم وعظ الواعظين ومن لا ينفعه الله بنصح الناصحين لا ينفعهم في الاخرة
شفاعة الشافعين فلا تكونوا امثالهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ومكاشفة ينبغي ان يكون هذا الخطاب
متوجها الى جماعة مخصوصين من اهل الايمان ومعالم الذين لم يوجد منهم خشوع فحثوا على الرقة
كما يدل عليه قوله الم يان اي اما حان وقت الخشوع منهم وكيف فعلى هذا الاية بتنبيه عظيم واسعاد
بليغ على قبح ما اولئك المخصوصين وفساد بواطنهم وقساوة قلوبهم بحيث نهوا عن مماثلة اليهود والنصارى
التي كانت اغلظ الناس قلبا واسوءهم ضميرا واظلمهم بالجناف بقسوة القلوب بعدما ونجوا وذلك
لما قيل ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم فاذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله
ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلب عليهم الجفاء والقسوة فاختلفوا واحدثوا ما احدثوا من
التحريف وغيره واكثر من ورد في التشديدات العظيمة في حقهم في القران والحديث هم العلماء السوء
الذين يمنعهم من الاطلاع على معالم الدين وتعلم مناهج الشرع المبين التنعم بالدنيا والتوسل الى الجاه
والمنزلة عند ذويها وبيها فذلك الاخبار والاثار من المطلعين الاخيار وشهدت بصائر اصحاب
الاستبصار عن الله الواحد القهار على ان اشد الاشرار عذابا في النار هم علماء السوء الذين ظواهرهم
ظواهر الاخيار وبواطنهم بواطن الكفار وقال النبي صلعم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه
الله بعلمه والتجرد للناس انهم يريدون ان يتوصلوا باشرف الاشياء وهو العلم بالله واحكامه الى اخس
الاشياء وهو الجاه والمنزلة في الدنيا والتفاخر بما فيها والركون الى زخارفها والاخلاد الى الارض
وهذه امور وهمية باطلة كما قال الله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون وقال انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من
الله ورضوان الدنيا وشهواتها في كثير من ايات القران امور وهمية باطلة يغتر بها نفوس الجهال والناقصين
كان قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فتمثيل
لمن يجد نفسه من العلماء وهو في الحقيقة من الحمقى الجاهلين المغترين بلامع السراب الذي يجدونه ط

وبهم لعبادهم واعرضهم الحيوة الدنيا فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد مثل الله تعالى في القران
بلعم بن باعورا وكان عالما فاجرا اخلد الى الشهوات بالكلب حيث قال تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه
اياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب الاية فالاخلاد الى الشهوات سواء اوتي بالحكمة او لم يؤت
فهو مضر بها مخلد الى البهائم وقيل مثل العلماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها حض وباطنها نتن ومثل
القبور المكورة والمظلمة ظاهرها عامرة وباطنها اللعنة والعذاب مولوي هجم كور كما فرق بين يعرفون
حلل ؛ وقد قيل الفرق بين العالمين بين حقارة الدنيا و
خستها وكدورتها وفنائها وانصرامها وعظم امر الاخرة ودوامها وصفائها ونعيمها وجلالة ملكها
ويعلم انهما متضادان متفاسدان مهما اصلحت احدهما افسدت الاخرى وانهما كالضرتين مهما ارضيت
احدهما اسخطت الاخرى فان من لم يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وانصرامها ما صفو منها بجنب العدم فهو
فاسد العقل فكيف يعد من العلماء ومن لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب
الايمان فكيف يكون من لا ايمان له من العلماء ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما مستحيل
فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم صلوات الله عليهم اجمعين بل هو كافر بالقران من اوله الى اخره فكيف يعد
من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الدنيا على الاخرة فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته
وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي الخبر فهذا هو دليل واضح على ان من
اثر الدنيا على الاخرة فهو جاهل بعيد ... بسبيل الجهال وفتنة الدجال وكتب رجل الى اخ له ان
قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وقال عيسى
كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى اخرته وهو مقبل الى دنياه وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ
وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروي عن رسول الله انه قال اوحى الله الى بعض الا
قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك
الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن
لافتحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا واليه اشار بقوله يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون
الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبقوله
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما

المنوطة بحجة الامر العافي ومع مصلحة النوع اذ بالانفاق تنتشر ما به ينتفع الناس وبه تبرم وجوه المصالح
كاعانة المجاهدين وغيرها المحفوظة بالشريعة فقال وما لكم الا تنفقوا اي ان لا تنفقوا في سبيل الله اي
شي لكم في ترك الانفاق في طريق الحق والجهاد مع رسوله مع كونه خيرا نافعا لكم والعز لكم والحال ان المال
في معرض الزوال عن من بيده عن قريب لما يهلك الناس احدهما او كليهما في نفسه او يبقى الاخر ولله ميراث كل موجود
في السموات والارض اذ الكل يفنى ويموت ويبقى الله يرث كل شي فيها من مال وغيره فما الفنح للعاقل ان يبخل
بما لا يكون له ويبقى بعد موته لغيره ويستقل البر ويحرم عن الانفاق الذي فيه صلاح له ولغيره في الاية
من اعظم الحث وابلغ البعث على الانفاق ثم بين سبحانه مراتب المنفقين في الفضيلة والاجر وتفاوت
درجاتهم بحسب الانفاق في سبيله فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وشوكة الاسلام وكثرة اهله
وقوتهم وقلة الحاجة الى القتال حقيقة المقاتلين ومن انفق من بعد الفتح وحذف لوضوح دلالة
الكلام عليه وقيل الفتح اولئك السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين انفقوا قبل الفتح
وجاهدوا في سبيل الله اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد الفتح ثم سوى بين الجميع في الوعد ومطلق
الخير والمثوبة الحسنى وهي الجنة مع التفاضل في الرتب والدرجات والله سبحانه لكونه عالما لا يخفى عليه
شي من الدقيق والجليل خبير بما تعملون من انفاقكم وجهادكم بصير بموازين الاعمال والافعال ومراتب فضلها
بحسب الصعوبة والمشقة ودرجات شرفها بحسب النية والبصيرة والاخلاص والقربة ومكاشفة واعلم انه كما
تتفاوت درجات المنفقين بحسب ... الظاهرة قبل انتشار نور الاسلام وظهور عزة
وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وبعد ذلك تتفاوت درجات اهل الله واولياء معرفته
بحسب سلوكهم الباطني وسيرهم الاخروي الى شهود معرفة الله ومهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء وجه
الله ومجاهدتهم مع اعداء الله واولياء الطاغوت تقربا الى الحق بحسب مقاديرهم وعلومهم الاعتقادية
الحاصلة قبل المكاشفة فان من كانت اعتقاداته حقة مطابقة للنفس الامر وعمل بموجبها من الانفاق
والزهد والجهاد في سبيل الله قبل كشف الغطاء ومعاينة الحقائق الدينية بالموت الارادي او
الطبيعي فهو اعظم جلالة واجل مرتبة من الذين زهدوا في الدنيا وجاهدوا مع النفس والهوى بعد
ذلك اذ الانفاق لولم يكن مؤيدا من قبل الله بتاييد قدسي ومدد سماوي لما كان في الرقي
ترك المشتهيات ومضادة مقتضيات النفسانية ومجاهدة الوساوس الشيطانية قبل كشف الغطاء ودفع

البدن من يدي القوى الامارة كما قال بعض ذلك اذ الزهد الحقيقي والورع عن محارم الله صعب على
الانسان وقت الاحتجاب واما عند حصول الحقايق معاينة فلا يبقى كلفة ولا يمكن ان يكون في الابتداء اشارة
الى تفاوت درجات القوى التي للانسان وتفاضل بعضها عن بعض بحسب الصفاء والكدورة و
القرب من عالم القدس والبعد عنه فان في عالم الصغير الانساني خلايق مختلفة وقوى متعددة
بعضها ملكية شبيه بحزب من الملائكة وبعضها شيطانية شبيه بحزب من الشياطين وبعضها شهوية
كالبهايم وبعضها غضبية كالسباع والجميع خلقت لتكون مطيعة لامر الله مسخرة للقوة العاقلة وهي مكلفة
بالمجاهدة مع هذه القوى الحيوانية الشهوية والغضبية والوهمية الفاسدة والظالمة والكاذبة ودفع
معارضتها ومنازعتها مع القوة العقلية التي هي من اولياء الله اذا كملت بالعلم والعمل واما انبعثت من
جانب الله لتنجي قد جاءها رجاءها من متابعة الطاغوت الى متابعة الحق وتعودها بالمجاهدة من
عالم الغرور الى عالم النور ومن معدن الكذب الى مقعد الصدق فالقوة العقلية التي ارسلت في
جاءت من عالم الملكوت سفيرة على عالم البدن وجنوده وقواه مأمورة من قبل الله تعالى بمعاداة
الشيطان ومطاردة حزبه وجنوده لقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير فالانسان بقوته العقلية مأمور باتخاذ الشيطان وحزبه عدوا وبالمنازعة
معها والمغالبة عليها ولا يمكن الغلبة عليها الا بتسخير القوى فما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فكل
واجب مأمور به ولو تبعا فالقوة العقلية مأمورة بتسخير القوى البدنية وفتح هذه البلدة المحرمة
التي هي فيها بجنود لم تروها من الاخلاق السليمة والصفات الملكية الحاصلة بتأييد الله سبحانه وامداده
في بعض الادميين وبجنود منقادة لها من عالم الجسم البدن وهي لبنة مزاحمة للقوة العقلية بعناية
من الله والمظفر ليتسلط على المملكة والجنود فيصير القوى في جميع اوامرها ونواهيها تابعات في
سلوك سبيل الله مشيعات بعد ما كانت عاقات وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الذكاء وسرعة
الفكر والجود والكرم والعزم والصبر الجميل والتوكل وغيرها مما يتفاوت ويتفاضل في الشرف
بحسب انواعها المختلفة بالحقيقة واشخاصها المختلفة بالعوارض المتناهية والمتابعة لمرتبتها وخليفة
الله في ارض البدن فلا بد للمطاردة والمقاتلة بين جنود الملائكة وجنود الشيطان قائمة في معركة

النفس

النفس الانسانية الى ان يفتح المملكة الادمية لاحدهما فيستوطن فيها ويطرد الاخرى ويخرجها
عن البلدة بحيث لا يكون لها الدخول فيها الا اجتيازا واكثر النفوس قد فتح مملكتها البدنية و
سخرها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالوسواس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة
وقليل منها ما قد استولت فيها القوة العاقلة على القوة الشيطانية ودخرها فاسلمت واطاعت كلمة الله
وامرها فاجابت دعوة الحق وانخرطت مع سائر القوى السليمة المطيعة في سلك طاعة ربها الا
لطلاق ويحقق منها بانوار الحق والنفس الانسانية لصفائها ولطافتها صالحة بحسب اصل الفطرة لقبول
اثار الملكية والشيطانية لتقلبها في النشات وتطورها بالاطوار وتلونها بالالوان المختلفة كما
لان الزجاج اللطيف الذي يتلون بلون ما فيه كيف ولو لم يكن لها من اللطافة وقبول الاثر لما
تقبل كل صورة وتنقش بكل نقش لم يقبل اثار الملكية ولم تنتقش فيها صور الحقايق الالهية ففي
مبادي الفطرة تصلح للاثار الحقة والباطلة صلوحا متساويا وانما يترجح احد الجانبين على الاخر
باتباع الهوى والشهوات والاعراض عنها فان اتبع الانسان مقتضى شهوته وغضبه ظهر تسليط
الشيطان بواسطة اتباع الهوى والشهوات بالاوهام والخيالات الفاسدة الكاذبة فصار
المملكة اقطاع الشيطان وصار القلب عشه وسكنه والقوى مرتعه ومرعاه لما بينهما من المناسبة فان
وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه فتقابل بعض جنود الملائكة بعض جنود الشيطان
الشيطان
فتقابل الصفات وتتقاتل الجندان وتدافع الحزبان فيدفع كل من حزب الله ما يقابله من حزب
بقوة البرهان اليقيني بوجود النشأة الباقية عار من الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة الداعية
الى الشهوات والركون الى زخارف الدنيا والاخلاد الى الارض والبدن والانحصار على هذه النشأة
الزايلة وبقوة الصبر عار من الهوى وبقوة الخوف عن سوء العاقبة عار من الامن من مكر الله وبقوة الرجاء
عار من القنوط من رحمة الله وبالعظمة طرد الكسل وهكذا يدفع كل جند من جنود الرحمن جندا يقابله
من جنود الشيطان حتى يفتح للقوة العاقلة اول بيت وضع للناس للذي ببكة الصدر واول
معبد ومسجد وضع للقلب الحقيقي بمكة الصدر المعنوي الذي هو مزدحم القوى المتوجهة اليه فهذا
هو المسجد الحرام دخوله على القوى المشركة الطبيعية النجسة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما بالقوى
الله ان كذا انما المشركون نجس من القوة الطبيعية فصى لها شرعها الاعمال البدنية والفاسدة بالاعمال

والهضم والنقل من موضع الى موضع فلا يقربوا المسجد الحرام وهو معبد القلب المتنور بنور المعرفة
والاخلاص بعد عامهم هذا اى عام الفتح وزمان نجسهم وان خفتم من منعها عن الدخول حينئذ عيلة
من عدم وصل الغذاء بدون عجز فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بان يحصل لكم القوت بالرزق
والاستغراق فى شهود جماله لم يبق لكم كثير حاجة الى حصول هذه القوى كما يحصل لاهل ولعوله
ثم ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر لكونهم جاهلين بالتجرد
شرط الايمان والمعرفة اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله بالمعرفة
والعبودية من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة اى ذكر الله وآتى الزكوة اى من الاجساد
القوية بصرفها فى تزكيتها وتحليتها بالرياضات والعبادات فى سبيل المعرفة ولم يخش الا الله لكونه عالما
بر وانما يخشى الله من عباده العلماء فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين الى طريق الآخرة وعالم
القدس اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اللتان هما فعل الغاذية وجسمية هذا المسجد
الحرام اللتان هما فعل الغاذية كمن آمن بالله واليوم الآخر هى القوى العقلية وجاهد فى
سبيل الله بمعارضتها ومضادتها للوهمية ووساوسها الشيطانية لا يستوون عند الله والله
لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا من مواطن الجسمية الى عالم التجرد والملكوت
وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم من المواد البدنية والقوى الحيوانية لها اعظم درجة عند الله
واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها
ابدا ان الله عنده اجر عظيم وكما ان قد يستعين المجاهدون فى مجاهدة طائفة من الكفار بطائفة
اخرى منهم كذلك ينبغى فى مجاهدة النفس بقمع نظيره كما يدفع الانسان ثورة الشهوة بالغضب فان
بالغضب يكسر الشهوة كما يزجر الخنزير من الزرع فالحكيم تارة يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه
عليه ومرة يدفع شره هذا الكلب بتسليط الخنزير عليه ليجعل الكل مقهورا تحت سياسته منخرطا
فى سلك عباد الله الصالحين ويظهر العدل فى مملكة البدن ويجرى الكل على صراط المستقيم اذا تحقق
ما ذكرناه فنقول ان القوة العاقلة التى هى خليفة الله فى مملكة البدن اذا غلب جنودها التى
هى من حزب الله كالمعرفة والتقوى والذكاء والصبر وغيرها على القوة الوهمية وجنودها و
جلاوزها التى هى من جنود الشيطان فى اول الامر وزمان الجاهلية الاولى وصارت مسلمة

وما كانوا ليهتدوا الى طريق اهل البيت مع اخذ بشكره فى ذم علماء الدنيا المعرضين عن الآخرة منها ما
رواه الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكلينى فى كتاب الكافى عن سليم بن قيس قال سمعت امير المؤمنين
عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم
ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن
اراد به الدنيا فهى حظه وعن ابى عبد الله ع من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب
وعنه ع قال اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب وقال اوحى
الله الى داود لا تجعل بينى وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتى فان اولئك
قطاع طريق عبادى المريدين ان ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم وعن ابى جعفر
ع قال من طلب العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده
من النار ان الرئاسة لا تصلح الا لاهلها وعن على بن ابراهيم رفعه الى ابى عبد الله ع قال طلبة العلم
ثلثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل و
صنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال فى اندية الرجال بتذاكر العلم و
صفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب
الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم
هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة
وحزن وسهر قد تحنك فى برنسه وقام الليل فى حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه
عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيامة امانه وعن
الحسين الصيقل قال سمعت ابا عبد الله ع يقول لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن
عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض وعن امير المؤمنين
ع حدث عن النبى ص انه قال فى كلام له العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا
ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وان
اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله
الجنة وادخل الداعى النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق

وطول الامل فينبغي الاخرة فهذه الاخبار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا يوم
القيمة من الجاهل وان علماء الاخرة هم الفائزون المقربون ولهم علامات منها ما مر ذكرها ومنها اعراضهم عن
الدنيا وتجارتها وعدم التفاتهم الى زهرتها وشهواتها واقبالهم الى الاخرة ورغبتهم في درجاتها ومعارفها وحقايقها
ومنها ان يكون اكثر اهتمامهم بالمعارف الباطنية ومعرفة عالم الملكوت والروحانيات واسرار المبدأ
والمعاد ومعرفة النفس الانسانية وكيفية ارتقائها الى الكمال وخلاصها من النقص وطريقها الى الاخرة
حتى يصير نفسهم عالما معقولا موازيا للعالم المحسوس مشاهدا للصورة الكل الحقيقية للوجود من
المبدأ الاول على الترتيب الصعودي والنزولي منه والعروج اليه وكيفية استكشاف هذه
الامور بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة العبادات والاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله
في الخلوة مع حضور القلب وصفاء الفكرة والانقطاع الى الله فان ذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف
فلا يكون ميلهم للعلوم الرسمية الظاهرة اكثر من ميلهم للمعارف الالهية بل ما لم يحيطوا بحظ منها
لم يشتغلوا باستقصاء مسائل الحلال والحرام الا ما هو الواجب العيني بقدر ما لا بد منه دون الواجب
الكفائي الذي يقوم كل احد مقام الاخر وذلك لوجوب الاشتغال اولا بالاهم والاهم هو العلم بالله
وملكوته وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر دون العلم باوامره ونواهيه كما قال الشيخ
الفاضل والفقيه الكامل زين المجتهدين رحمه الله فاتفق في بعض مؤلفاته عن بعض المحققين العلماء
ثلثة عالم بالله غير عالم بامر الله فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور
الجلال والكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه وعالم بامر الله غير عالم بالله وهو الذي
يعرف الحلال والحرام ودقايق الاحكام لكنه لا يعرف اسرار جلال الله وعالم بالله وبامر الله فهو جالس
على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب وتارة مع الخلق بالشفقة
والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم كانه لا يعرف الله واذا خلا بربه مشتغلا
بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله سائل
العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء والمراد بقوله سائل العلماء العلماء بامر الله غير العالمين بالله فامر بمسائلتهم
عند الحاجة الى الاستفتاء واما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم واما
الكبراء فهم العالمون بهما فامر بمجالستهم لان في مجالستهم خير الدنيا والاخرة ثم قال ولكل واحد من الثلثة ثلث

علامات

ثلاث علامات فللعالم بامر الله الذكر باللسان دون القلب والخوف من الخلق دون الرب والاستحياء
من الناس في الظاهر ولا يستحيي من الله في السر والعالم بالله فقط كذلك ايضا ما الذكر فذكر القلب لا اللسان
والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر واما العالم بالله
وبامره فله ستة اشياء الثلثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جالسا على الحد المشترك
بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكونه معلما للمسلمين وكونه بحيث يحتاج الفريقان الاولان اليه
وهو مستغن عنهما ومثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص ومثل العالم بالله فقط
كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره انتهى
كلامه ومنها ان لا يكون متسرعا الى الفتوى ومشتاقا اليه بل يكون متوقفا محترزا ما وجد الى الخلاص
سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او شاهد باطنية جلية افتى
وان سئل عما شك فيه قال لا ادري وهذا لفظ كان علماء هذا الزمان حرموا على انفسهم التلفظ
به عند الاستفتاء عنهم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقيل من سكت حيث
لا يدري فهو لله تعالى ليس اقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس فثوابه ازيد وهكذا
عادة السابقين وكان بعضهم يقول لصاحبه سل عن الفتوى الى زيد وكانوا يحيلونها الى غيرهم
علينا الحجة قال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس لمجنون ومنها ان يكون اكثر بحثه وعلمه عن الاعمال
عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر وذلك للتوقي منه والاحتراز من الشر
لا الجدال والمماراة كما ان وضع علم المغالطات في المنطق انما هو لان يحترز الانسان عن الغلط لا لان يوقع
غيره في الغلط واما علماء الدنيا فاكثر اهتمامهم بتتبع غرايب التفريعات في الاقضية والحكومات والتعب
في استنباط الصور الدقيقة والاحتمالات البعيدة التي تنقضي الدهور ولا تقع مثلها وان وقع
لغيرهم لا لهم ومع ذلك لا يجتهد الا من يقوم باستنباطه واستخراجه لتحصيل طلب الجاه والشهرة حتى انه
الله واودع في غريزة كل احد ما يناسبه ويقتضيه من امور تجري في عالم وما ابعده عن السعادة من
اعم همه نفسه اللازم بهم عزة النادر وايثار الخدمة الخلق وقبولهم على القرب من الله محصورة فيها
على ان حسبه الباطلون فاضلا عالما التحايف حيث ذكره من الله ثم ما ذكره بقوله تعالى اولئك لا خلاق
لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله يوم القيمة ومن علامات علماء الاخرة ما ولياء الله مجامع نفوسهم

لكونهم منتبهين من موت الجهالة متنبهين من رقدة الغفلة عارفين بحقائق الاشياء مشاهدين
حساب يوم الدين تستوي عندهم الاماكن والازمان وتغاير الامور وتصاريف الاحوال
تعاد فقد صارت الايام كلها عيدا واحدا وجمعة وصارت الاماكن كلها مسجدا واحدا و
الجهات كلها محرابا واحدا وذلك لخروجهم بعقولهم الصافية وارواحهم العالية عن مطمورة عالم الزمان
والمكان وتوجهت قلوبهم شطر الحق وتولت دولتهم وحبه الله فصارت حركاتهم كلها عبادة الله
وسكناتهم كلها طاعة له واستوى عندهم مدح المادحين وذم الذامين لا يأخذهم في الله لومة
لائم قياما لله بالقسط شهداء وهم على صلواتهم دائمون ويحققون قوله تعالى اينما تولوا فثم وجه الله لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وصار دعائهم سبحانك لانهم لا يبالون الاماكن ولا يكون الا ما قد
كان في سابق العلم فقلوبهم في راحة من تعلق الاسباب وارواحهم فارغة من التكلف بما لا يعني
ونفوسهم ساكنة من الوسواس وابدانهم في راحة من انفسهم والناس منهم في راحة وامان لا يريدون
لاحد سوءا ولا يضمرون لاحد شرا ابدا وكان التصديق بذلك اعلم بحقارة هذا المنزل كما قال امير المؤمنين
والله الدنيا كم هي عندي اهون من عراق خنزير في يد مجذوم وقال ابن ما دنياكم هذه عندي كعفطة
عنز وان اردت يا حبيبي ان لا يشتبه عليك الفرق بين عقلاء الدنيا المغترين بلامع السراب الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبين عقلاء الاخرة الناجين من عذاب
يوم القيمة الفائزين بشهود رب العالمين فتامل في حكاية وقعت بين رجلين احدهما من اولياء
الله وعباده الصالحين الذين نجاهم من عذاب جهنم واعتقهم من نارها وخلص نفوسهم من علاقة
اصلها وارواح قلوبهم من الام المعذبين بها والاخرين لها لكن المعذبين بها بالوان العذاب
المحرقة قلوبهم بحرارة علاقة اصلها المولمة نفوسهم بعقوباتها قال الناجي للهالك كيف اصبحت يا فلان
قال اصبحت في نعمة من الله طالبا الزيادة راغبا فيها حريصا على جمعها ناصرا لدين الله معاديا لاعدائه
محاربا لهم فقال الناجي له من اعداء الله قال كل من خالفني في مذهبي واعتقادي قال ان ظفرت
بهم ماذا تفعل قال ادعوهم الى مذهبي ورأيي واعتقادي قال فان لم يقبلوا منك قال اقاتلهم
واسفك دماءهم واسبي ذريتهم قال فان لم تقدر عليهم قال ادعو عليهم ليلا ونهارا والعنهم في
صلواتي كل ذلك قربانا الى الله ثم قال الناجي فهل تعلم انك اذا دعوت عليهم ولعنتهم ايصيبهم شئ

قال لا ادري ولكني اذا فعلت ما وصفت لك وجدت لقلبي راحة ولنفسي لذة ولغليل صدري شفاء
قال له الناجي انا اقدر بعلم ذلك قال لا ولكن قل انت قال لانك مريض النفس معذب القلب معاقب
الروح لان اللذة انما هي الخروج من الالم وليس هذا الذي ذكرت من احوالك تعصبا في الدين
من شئ ولا تقوية للشرع المبين وانما هي حدة من القوة الغضبية التي تسلطت عليك وجعلت
قلبك مسخرا بالعداوة وداعيا لها ونصيبا للنار بالسبعية وقد استهزأ بك الشيطان حيث غرك بان
هذا تعصب للدين وحدة في الشرع المبين ومنة على سيد المرسلين مثل ما حكاه الله تعالى عن بعض
المنافقين بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم واعلم بانك محبوس في طبقة
من طبقات جهنم وهي الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وانما شاهد انك تعذب بها يوم
القيمة عيانا الا ان تنجي منها بالفكر الصحيح والعقل السليم وتخلص نفسك من علائقها وتنجو بقلبك
من عقباتها ان شاء الله كما وعده بقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ثم قال
الهالك للناجي فاخبرني انت عن رأيك ومذهبك ودينك واعتقادك قال بعضهما انا فاني قد اصبحت
في نعم الله واحسانه لا احصي عددها ولا اؤدي شكرها واحب بما قسم لي وقد رضيت بالاحكام
لا اريد لاحد من الخلق سوءا ولا اضمر له حقدا ولا ازعم نفسي في راحة في شئ والخلق من
جهتي في امان ان سالتني عن مذهبي دين ابي ابراهيم في قوله تعالى فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم و
اعلم ايها السالك الى جوار الله ان امثال هذه الاراء والاعتقادات كثيرة واكثر هذه الجهالات
مولمة لنفوس معتقديها ومعذبة لقلوبهم وهو جزاء لنفوسهم ومعقوبة لهم في الدنيا الى وقت معلوم
واجل معدود وفي الاخرة اشد وادهى واذا اشتدت في الاخرة بحسب الظهور والتحقق صارت
نيرانا ملتهبة نزاعة للشوى وحرقات مشتعلة فظاعة مطلعة للقلوب كما اشار اليه بقوله تعالى كلا اذا
جاءت الطامة الكبرى يومئذ يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله كلا لو تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين واعلم انه لا يصل الانسان الى معرفة الله على الحقيقة
الا بعد جوازه على بعض هذه الاراء الفاسدة اما في ايام الصبا او بعد ذلك ثم ان الله ينجي لمن
يتقي الشرك بربه وينجيه منها كما وعده وقال وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين

الذين اتقوا ويميز الظالمين منهاجا قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون قيل يحييها بالنبات بعد يبسها وجدبها تمثيلا لاحياء قلب الكافر بالهدى الى الايمان
بعد موته بالضلال والكفر وقيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض
وقيل معناه ان الله يلين القلوب بعد قسوتها بالالطاف والتوفيقات قد بينا لكم الآيات بما
من شواهد العقل والنقل كالحجج الواضحات والدلايل الباهرات لعلكم تعقلون فتعلمون فتعقلونها
وترجعون الى العبودية التامة مكاشفة اعلم ان مرجع هذه الاقوال الثلثة الى شيء واحد في
المثال والممثل له جميعا فان الارض مثال للنفس الناطقة الانسانية المعبر عنها بالقلب الحقيقي
لتقلبها بالاحوال لا القلب الصنوبري الموجود في الحمير والبغال وموتها بسبب كونها هيولانية ليس فيها
شيء من المعارف الالهية والعلوم الحقة التي بها فعلية حقيقة الانسان وبتوسطها واعدادها
تحصل الحيوة العقلية والآيات البينة اشارة الى المقدمات اليقينية التي يتوسل بها في
تحصيل الكمال العقلي به يصير صورة عقلا وعاقلا بالفعل بما يليه من الحق الاول بواسطة بعض
ملائكته العلامة الفعالة للحقايق باذنه ثم هذه الحيوة العقلية هي التي وقعت الاشارة
اليها بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
آتاهم الله من فضله وظاهر ان المراد من الحيوة التي تكون عند الله هي الحيوة المعنوية دون
الحسية والمراد من رزق الله لمن يكون عنده رزق المعارف والعلوم التي بها تغتذي وتتقوى
الارواح المقدسة لا الاغذية الجسمية التي تتقوى بها الاجسام المحسوسة لما في قوله ثم ورزق بلغ
جزئها حيوان وان اردت تحقيق المقال في بيان ان النفس الانسانية من ابتداء استكمالها الى بلوغها
الى حد الكمال فعليك بمطالعة ما بيناه في معرفة النفوس من كتاب المبدأ والمعاد فانها من الغوامض التي
قلما وصل اليها الا من ايده الله بنور الكشف والشهود ولا يذكر من علم النفس في كتب الحكماء الا قدر
يسير وهي بتة نازلة منه مناسبة لمباحث الطبيعة واحوال البدن وذلك القدر ايضا قد تعين
للسالكين وقد غفل عنه الجمهور لغفلتهم عن سائر المعارف العزيزة في سلوك سبيل الحق وما
يجب التامل على كل عاقل ان يعرف من احوال النفس التي هي مرقاته الى معرفة الله سبحانه انها جوهر ملكوتي
من شأنها ان يعرف ربها ويتقرب اليه ثم يعلم ان من الله مبدأها والى الله منتهاها وانها اذا

سلك

سلك طريق الحق واكتسب المعارف الحقيقية والعلوم وفعل الطاعات البدنية وقد كانت نطفة ثم
علقة ومضغة فلم تزل وهو جماد بينها حامل العقلية ويعلم ايضا ان حياتها مرة واهلاكها في الاخرة كما ذهب
اليه كثير من الحكماء والعرفاء وان حيوتها الاخروية عبارة عن نوع وجود مستفاد من مبدأ للتعقلات
ومنشأ الفعل الخيرات كما ان حيوتها الدنيوية البدنية عبارة عن كونها منشأ الاحساس والتحريكات
وهي مع ذلك تقبل من الحق الاول فيضا ينفعل منه كما ينفعل من نور الشمس جرم الارض فاشرقت كما
اشرقت الارض بنور ربها فعند ذلك يظهر فيها الحقائق والماهيات التي ليست معقولة بذاتها كما يظهر
بضوء النهار الاجسام الغريبة الارضية المظلمة الالوان المستنيرة بنور الشمس ومع ذلك تستعد للاتصال
بالملا الاعلى وعالم القدس ولما كان كل ما يخرج من القوة الى الفعل ومن الموت الى الحيوة ومن
الظلمات الى النور يخرج بسبب متوسط بينه وبين الله لكونه في غاية الوحدة والاشراق والعظمة
لا يحتمل شدة نوريته النافذة في العوالم ضعفاء البصاير والابصار الا بتوسط عقل فعال وعالم رباني
ورسول من الحق الى الخلق كالملائكة للانبياء والانبياء للخلائق يجب ان يخرج هذه القوة النفسية
الهيولانية التي يكون كمالها بالذات ما للمعقولات والانوار العقلية كالشمس الفعالة للانوار الحسية
وليس فيها امور بقصور فاقة وقوة الا الامكان الذاتي الذي هو اعتبار في الذهن وقصارة محضا
تحت سطوع النور الاول الحق بحيث يمتنع ظهوره من كثرة الخفاء لتحقق هذا الجوهر العقلي بالوجود الحقاني
واتصافه بالوجوب لا بذاته ولكونه تمام قهار العدم بالوجود والتحصيل حيا لما بالقوة بالفعل
والتكميل فانفيض منه ثم على سنة الابداع هو اول الموجودات الماهيات في ملاحظة جلاله وجلا
لا التفات لهم الى حد وانهم النورية المقربة بنور الاول اتصالا من عزهم من عالم الاجسام والظلمات فلك
الطبيعة العليا من الجواهر المفارقة انوار عقلية لا ظلام في عالمها وساحات ضوائية لا ليل فيها وانما
يوجد من الطبقة الثانية العرضية التي في صفاحز من صنوف العقول الملائكة القادسة ودهم
الادنون في سافل العالم الجسماني ليالي العشر من عز التفاتهم الى المواد ونخالص عدم التفاتهم الى ذواتهم
المستنيرة بنور الحق الاول الناصرة لسبحانه ووقعت منهم ظلال الاجسام الكلية وليالي الهيولانيات
العشر تسع للافلاك وواحدة للعناصر وما يتركب منها كما يفيض بالمناسبة والاقرب للقياس البرهاني
هذا العالم العقلي بحكم تعين منه على القوابل والاراضي العقلية والحسية بما فيه من امطار رحمة الله العقول

والنفوس والجبلات والنفوس من كمالاتها الثانوية كما في قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون فمن هناك تفيض على ارواحنا العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية الحاصلة
فيها من ذلك العالم اذ من المحقق ان صور جميع ما ابدعه الله تعالى حاصلة في عالم الجبروت على وجه يعقد
لا يشاهد بهذا العين الداثرة فكذلك الفياض للعلوم والمعارف المكمل للارواح والنفوس هو الروح
القدس وهو المعلم الشديد القوى والمرتب بالقاء الوحي والالهام للانبياء والاولياء الذي كتب في
قلوبنا الايمان والمعارف فاذا توجهنا شطر كعبة الحق والجنة العالية واذا اعرضنا عنه بالتوجه الى
مشاغل الجنة السافلة انمحت تلك النقوش عن نفوسنا كمراة صقيلة اذا قابلت الجانب تعكس واذا
اعرضت عنه تخلت من غير تغير في النير الاعظم بل في احوال المراة فان تحقق هذا المجمل الذي قد فصل
في مقامه علم ان الله تعالى يحيي ارض النفوس القابلة والعقول الهيولانية بعد موتها اي تعلقها
بالبدن وغوصها في النشاة الحسية التي هي منبع الجهل والغفلة والموت بتبيين الايات العقلية و
افاضة المعارف اليقينية التي بها تتنور نفس الانسان ويحيى بروح العارف ويتخلص من موت الجهالة
ويستيقظ من نوم الغفلة وينتبه من رقدة الطبيعة ويصير معقولا وعاقلا بالفعل بل عقلا فعالا للصور العقلية
واليه اشار الله بقوله لعلكم تعقلون قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم قرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد في اللفظين والباقون بتشديدهما
فمن خفف كان الكلام عنده بمنزلة قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لان المصدقين بالتخفيف
ملحوظ من صدق بما من نحو الذين امنوا واقرضوا اي عملوا الصالحات اما لان القرض الحسن
من جملة الاعمال الصالحة لان معناه ان يتصدق من المال الطيب عن طيبة النفس وصحة النية
على من يستحق الصدقة او لان المراد منه مطلق الفعل الحسن والعمل الصالح الذي له اجر كريم سواء كان
اتيان امر بدني او عزم كما ان التصديق يتضمن الصدقة ومن شدد كان الوجه عنده ان قوله اقرضوا
الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه بحق الصدقة اشد ملاءمة منه للتصديق ولا يجوز ان
يمنع كونه اعتراضا البتة لا يخلو الا ان يكون معطوفا على معنى الفعل في المصدقين لان اللام فيه بمعنى
الذين واسم الفاعل اصدقوا او صدقوا وقرئ يضعف بالتشديد ويضاعف بكسر العين اي يضاعف
الله لهم من الجزاء امثالها ان يتفقوا في وجوه الخير ولهم اجر كريم لانه ترتب الله تعالى على فعل الخير وكفاية تعالى على فضل

الز

يكون اجرا كريما لان امور الاخرة تكون شديدة قوية في الالتذاذ كانت لذة او في الايلام ان كانت
اليمة لعدم الغشاوات والموانع عن الادراكات هناك وكون المدركات قوية والمدرك مكشوفا وليست اللذة
الا الادراكات الملائمة ولا الالم الا الادراك المنافي فالمدرك الملائم والمنافي اذا كان في غاية
القوة والحدة فالكشف عنه بلا غطاء او بلا حجاب للوجود به والمدرك منها اذا كان كنه حقيقة
الشيء ولبه وباطنه وسره بما هو متجلي للذات والادراكات ابلغ في غاية التحقيق واليقين حيث
ينتهي الى مشاهدة العين كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم يكون الالتذاذ والايلام في غاية القوة وهذا هو البيان في كون امور الاخرة في
الجزاء عظيما شديدا بل ما كان شديدا الكمية في كون فعل الحسنة يكون اجره مضاعفا وفعل السيئة
يكون اجره مثله كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وجهان احدهما من جهة القابل والاخر من جهة الفاعل اما الوجه الاول فهو ان حقيقة النفس
الانسانية من عالم الامر وعالم الاخرة ومن سنخ الروحانيات النورية فوقعت في هذا العالم الجسماني
الظلماني لجناية صدرت من ابيها ادم الاول وهبطت من الجنة الى الارض بجناية وحملت البرايا في ايدي
الظلمات بلسوء الطبع حبال الشهوات ومودات اللذات تحجبها عن الطبيعة وسائر الشيات
كما في قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فان كل عمل وفعل صدر
من الانسان في هذا العالم يحصل منه اثر في غاية الارتباط شديد بين النفس والبدن فيحصل من تكرار
الافاعيل في النفس اخلاق ثابتة وملكات هي مبادئ الفعاليات فاذا تكررت الافاعيل الحسنة من الصيام
والقيام والصدقات والاطعام بحسن النيات وصدق الطويات ظهرت من دوام تكررها صفات
حسنة راسخة في النفس فيتقوى بها صور الصفات الملكية ويسهل معها صدور الفضائل الحركات
كما قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وكذلك اذا تكررت الافعال
الذميمة والسيئات من البخل والاستكبار والكذب فحصلت من دوام تكررها صفات ذميمة
راسخة في النفس فيتكدر بها جوهرها بكدورة المعاصي فيسهل معها صدور القبائح منها ما لم يكن صدور
تلك السهولة كما قال سبحانه واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ولو لم يكن من
تكرر الافاعيل من الحصول الملكات في النفس تحصيل للانسان الصناعات العلمية والعملية ثم كما

الافعال الحسنة مناسبة لعالم القدس وموطن النفس مقربة لجناب عالمها مذكرة لها عالمها القديم مع قاربها
والاتيان بالافعال القبيحة مناسبة لعالم الجحيم مبعدة لها عن عالمها والمناسب للشيء يكون اسرع تأثيرا من
المخالف الغريب المخارج ذلك الشيء عما يقتضيه طبعه فالافعال الحسنة والخيرات اقوى تأثيرا في
سعادة النفس وكمالها وتذكرها وقربها اليه تعالى من الافعال القبيحة والشرور في شقاوتها
ونقصها ونسيانها وبعدها عنه تعالى وثانيها ان رحمته تعالى فائقة على غضبه سابقة عليه
كما قال تعالى سبقت رحمتي غضبي حتى ان عين الغضب ما هيه اثما وجدت منه تعالى برحمته
التي وسعت كل شيء كيف والوجود الفائض منه على كل شيء هو عين الرحمة عليه ووجود الغضب
انما هو من رحمة الله على عين الغضب فسبقت نسبة الرحمة الى الله تعالى على نسبة الغضب وذلك لان
الرحمة ذاتية للحق وعين الغضب ناشئة من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق والرحمة
التامة واليه الاشارة بقوله سبحانه ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك اي فمن سوء استعدادك وان كان الكل من عند الله اذ لا استقلال للعبد في الايجاد وفي
الحديث النبوي الخير كله بيديك والشر ليس اليك ومن معن النظر في لوازم الغضب من الامراض
والالام والفقر والجهل والموت وغير ذلك يجدها كلها امورا عدمية فالرحمة ذاتية للحق والغضب
عارضة ناشئة من اسباب عرضية فاذا كان كذلك كان باعث الرحمة اسهل وجودا واقل اسبابا
وايسر تحققا اذ يكفيه امكان القبول لها وباعث الغضب بخلافه اذ لا يكفي له مجرد امكان المحل بل
لا يحصل الا من وجود المنافي للرحمة المانع اياها فتقابل الرحمة وعدمها الاحتياج الى تحمل كثير غير
صفاء الذات وخلوص الفطرة وصفاء وجه القلب عن الكدورات بخلاف باعث الغضب فانها
لوجود المعاصي والقبائح الغريبة عن الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها ولهذه الدقيقة عبر عن
باعث الرحمة بالكسب وعن باعث الغضب بالاكتساب لما في مفهومه من التعمل الزائد على ما في الطبع في
قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان قلت ما الوجه لخصوصية ذكر العشرة في التضعيف دون
غيرها من الاعداد قلنا وجه ذلك كون الانسان معوقا في الدنيا عن فعل الخير الذي هو
ذكر الله ومعرفة ملائكته ورسله والدار الاخرة لانغماره في الحيات واشتغاله بالجسمانيات
وهذا بخلاف فعل المعاصي والشهوات فانها ملائمة للبدن تدعو اليه فلا تحتاج الى معين عليها القوى

البدنية

البدنية ولما كان المبدء الادراكي للافاعيل العقلية والطاعات قوة واحدة هي الناطقة والمبدء
الادراكي للافاعيل الحسية والمعاصي قوى عشرة هي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فكل حسنة
تصدر عن القوة العاقلة لا بد وان تكون على خلاف طبايع القوى عن مجاهدة وقعت من العاقلة
مع كل واحدة من تلك العشرة ولكل مجاهدة لها اجر واحد فكل حسنة تشتمل على عشر حسنات مثلها
بعشر امثالها جزاء احدها واليه الاشارة في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا وفي قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم الصديق الكثير الصدق
البالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم قال الزمخشري اي هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم
الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ثم استشكل بعض المفسرين هذه المماثلة بينهم في الاجر والجزاء مع تفاوت
قدرهم فاجاب عنه باعطاء الله تعالى اجر المؤمنين مضاعفا بفضله ورحمته حتى يساوي
اجرهم مع المضاعفة اجر اولئك وفيه نظر بعد لان بالرحمة والتضعيف كما ينفع هؤلاء ينفع
لاولئك لان الله تعالى واحد لا تغير فيه بل من على الجميع ولو كان المراد اجر هؤلاء مع التضعيف
مثل اجرهم لا معه تفوت مدح المؤمنين والمقام مما يقتضيه والاولى ان يراد من الايمان بالله
والرسول مرتبة كاملة من المعرفة التي لا يتحقق الا في العلماء او يراد منه الايمان الحقيقي البالغ حد الكشف
وهو الذي يكون للاولياء والعرفاء خاصة فانهم هم الصديقون والشهداء الغائبين تصديقهم الحاصل
بالكشف وفنائهم عن ذاتهم الحاصل بسبب المجاهدة الباطنية مع النفس وقواها الامارة قال
مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق شهيد وقرا هذه الاية لهم اجرهم ونورهم اي لهم
ثواب طاعتهم ونور ايمانهم وهو النور الذي يهتدون به الى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن
مسعود ورواه براء بن عازب عن رسول الله ص وروى العياشي بالاسناد عن منهال القصاب
قال قلت لابي عبد الله ع ادع الله ان يرزقني الشهادة فقال ان المؤمن شهيد وقرا هذه الاية
وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر ع فقال العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب
فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم ال محمد بسيفه ثم قال بل هو والله كمن جاهد مع رسول الله ص بسيفه ثم

قال الثالثة بلى والله لكن استشهد مع رسول الله في نطاحه وحكم اثر من كتاب الله وقرء هذه الآية ثم
قال هم والله صادقين شهدا عند ربكم وقيل ان الشهدا منفصل عما قبله مستانف والمراد بالشهدا
الانبيا الذين يشهدون للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره
الفرا والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير مكاشفة
اعلم ايها السالك ان لفظ الايمان بالله والرسول يطلق بالاشتراك اللفظي العرفي بين مراتب اربع فاولاها
في المعرفة احدها ما تلفظه اللسان بتقليد او بعلم من غير بصيرة كشفية ولا معرفة كسبية سواء
كانت برهانية او جدلية وهو الايمان باللسان وفايدة العصمة لصاحبه في الدنيا عن السيف
والسنان وثانيها ما استفاد من صناعة الجدل وطريق المتكلمين وفايدته حراسة العقيدة عن الحاجب
والمفسدين وقطاع طريق الحق السالكين وليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن
العذاب في الآخرة خالدا كان مع شرايطه والثالثة ما استفاد من البرهان اليقيني كما في طريقة الحكما
وفايدتها حصول المعرفة الحقيقية للمبدا القيوم وصفاته وافعاله والرابعة ما استفاد من الرياضات
والمجاهدات وترك التعلقات والزهد الحقيقي من الدنيا وطيباتها وغايتها الوصول الى
جناب الحق ومشاهدة صفاته واسمائه وافعاله من حيث هي افعاله فالايمان ينقسم الى القشر وقشر
القشر ولب ولب اللب كالجوزة مثلا فان لها قشرين ولبين فالمرتبة الاولى ان يقول لا اله الا الله
وربما كان مع الغفلة او مع الانكار القلبي كما في المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ جزما
كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد بوجه لا مناسبة الى ما هو الحقيقة بخلاف الاول فانه تقليد
محض والثالثة ان يشاهد ذلك بالنظر الى طبيعة العالم وامكانها وافتقارها الى ما يرجح وجودها
على عدمها ثم بالبرهان بالوجوب اللايق من الرحمة والجود وهداية الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب
والجزا يوم المعاد والثواب للمحسن والعقاب للمسي والعفو عنه الا ان يكون فيه ما يابه
من الكفر والاصرار والجهل والاستكبار والرابعة ان يشاهد ذلك بمشاهدة الوجود الحقيقي في
صفاته وآثاره ولا يرى للآثار والافعال وجودا مستقلا بل لا ينظر الى شي الا ويرى الحق فيه
مع تفاوت المرائي صفاء وكدورة وتفاوت ظهور الحق فيها جلاء وخفاء وهذا هو مقام قد اشرقت
عليه الانوار الاحدية وظهرت له سواطع العظمة الالهية فيجعله هبا منثورا او يدك الجبل الانية

محو

ثم اعرف ان في هذا المقام تسهيلات في خطرة الاعتبار ويجري في سورة الحجب والاستار فنادى الحق
لمن الملك اليوم ويجيب بنفسه لنفسه لله الواحد القهار والمومن في هذه المرتبة يقال له الولي
والصديق والشهيد اما كونه وليا فلانه لا يحب الا الله احدا غيره وهو لا يحب غير الله اما الاول فلانه
غيره لا يعرف الا الله والمحبة تتبع المعرفة بل هي عينها لانها ادراك الملايم من حيث هو ملايم والملك
لكل احد لو سلم من الاغراض النفسانية ولم يختلط طبعه بالعواصي الجسمانية وهو المعشوق
الحق الذي به وجود كل شي وكماله واما الثاني فلان غير الله لا وجود له عند الولي والمحبة يتبع
للشي عند المحب واما كونه صديقا فلكونه في كمال رتبة الصديق يكون بكمال رتبة المعرفة و
اكمل مراتب المعرفة هو المشاهدة من شاهد الوجود الحقيقي ومرتبته في الكمال وشمول الاضافة
وعموم الرحمة منه على كل شي بحيث لا يشذ عنه لا في الوجود ولا في الايجاد فهو الصديق الاعظم
لان من لا يعرف الحق ويصدقه الا بالدليل التقليدي من غير بصيرة وكشف واما كونه شهيدا فلقتله
نفسه في طريق الحق وعدم التفاته الى هذه الحيوة الدنيا اذ الشهادة عبارة عن قبض الروح
في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخروج حب جميع اللذات والشهوات عن القلب لانه
من هجم على صف القتال فهو يوطن نفسه على الموت حبا لله وطلبا لرضوانه وبايعا دنياه باخرته
راضيا بالبيع الذي بايعه الله اذ قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومثل هذه الحالة تحصل للقلب في بعض الاحوال
في غير الغزاة ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فالوقوع في صف القتال سبب لزهوق الروح
على مثل هذه الحال هذا لمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة والصيت بالشجاعة فان من هذا
حاله وان قتل في المعركة فهو ليس بشهيد البعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار فعلم
علم ان رتبة الشهداء انما تحصل لاجل انهم جردوا انفسهم عن التعلق بالحيوة الجسماني ابتغاء وجه
الله وثوابه لا الدنيا وزينتها في المجاهد شهيد به وخرج عن الدنيا فمن كان في هذه الحالة فهو فاز
بالنعيم الابدي واما الغزاة فقد خرج عن التعلقات بما سوى الله وحضر والنظر على وجهه
الله من غير التفات اليه واتم فضلا من غيرها وحصل لهم الموت الارادي عن هذه النشأة الدنيا
وهذه الحالة حجابهم عن غيرها وكلهم شهدا بالحقيقة قبل حصول الموت الحقيقي الطبيعي في القتل

لانهم قبل انقضاء هذه الدنياوية وانهدام بناء هذه الجبلة الطبيعية احياء عقلية بهم حيوة طبيعية
يرزقون بالارزاق المعنوية والاغذية العلمية فرحين بما اتيهم الله من فضله في نسيم معنى
من عين سلسبيل ومزاجها زنجبيل والذين كفروا بايات الله وكذبوا بايا اولئك اصحاب الجحيم الكفر هو
عدم الايمان عما من شانه ان يكون مومنا والايمان كما علمت هو المعرفة بالله وكتبه ورسله واليوم
الاخر فالكفر هو الجهل بهذه المعارف سواء كان مع الجحود والاستكبار وتكذيب الرسل ونحوها
ام لا والاول يستلزم الخلود في النار قطعا والثاني يحتمل النجاة ولو بعد المكث طويلا او قصيرا
ويدل على خلود الكفار المكذبين في النار المعبر عنها بالحكم عليهم باصحاب الجحيم **مكاشفة** كما
ان مجامع سعادات الانسان ترجع الى تحلية قوته العلمية بالعلوم الحقيقية وحقائق الايمان
بالله واليوم الاخر وتحلية قوته العملية عن ذمايم الاخلاق ورذائل الملكات كذلك جوامع
الشقاوات ترجع الى انتقاش النفس بنقايض المعارف الحقة واتصافها بنقايض الصفات الكاملة
وانما صار الجهل الراسخ المعبر عنه بالكفر والخلق الكريه المؤدي الى تكذيب الرسول المويد بالمعجزة
موجبا للخلود في النار لان الجنة عالم النعيم المزين مع محبوبه والجحيم انما هي من حقيقة هذه الدار
لكن ظهورها في هذه الدنيا بصورة الشهوات واللذات وفي الاخرة بصورة النيران والحميم و
الزقوم فاذا استحكمت محبة الدنيا في النفس وتمكنت عن ذكر الله صارت في الاخرة محجوبة عن لقاء الله
ولقاء اوليائه الصالحين وبقيت في كرب الهجر وعذاب الجحيم لرسوخ اثارها في هذه النشاة و
ان كان تعلقها وانما لم تتالم النفس بعذاب الشهوات ولم يتلذذ بلسع حيات ملاذ الدنيا وعقاربها
قبل الموت مع كونها متصلة محيطة بها لعدم صفاء وخدرتها الغفلة ثم وان جهنم محيطة بالكافرين
لخدر الطبيعة وسكرها الحاصل بسبب قلة المعرفة وكثرة الاشتغال باكتساب اسباب الدنيا وجمع
حطامها ونظيره ما يوجد في الناس من يحتمل الالم بعد الخدر الراحة عن الالم فيا كل الحميم والزقوم
في هذه الحيوة الفانية شيئا للذة باعتقاده ذلك ويعرض عن ادراك العقايد الحقة التي هي العسل
المصفى واللبن الذي لم يتغير طعمه لكونه محجوبا عن ادراك الكل من القبيلتين بصورة الظاهرة الشهوات
اللذيذة تجلوه هذه والموعظة الحسنة والكلمات الحقة كي يزهر لديه وحصل الاجل من هذه
الواقع في سوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يتبع بعض المرضى الاشياء الحلوة و

يستحلي

ويستحلي الاشياء المرة كمن به مرض بوليموس بحيث يأوف حسه لغلبة الخلط السوداوي ويجد ذائقة
عن ادراك الطعوم وعلى وجه يجد المر حلوا والحلو مرا كما قيل **شعر** ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا فلا ينفع الا القلب السليم والعقل الصحيح لا لتباع الاذكار الله ومعرفته
ولقائه لان ذلك كالروح غذاؤه وحقيقته لا الامور المحسوسة الدنياوية من المال والبنين
وغيرهما من الامور التي خلقت لاجل الانتفاع بها في طلب الاخرة والسلوك الى الله تعالى لا لاجل
والتعشق ولما كان الكمال الحقيقي والخير المحض هو معرفة الحق الاول وملكوته التي تستجلب في
الاخرة مناصب عليه وهو انما تاتي بالقلب السليم عن مرض العادات السيئة من موالفة المحسوسات
قال سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اعلم ان ما يوجب عقوبة اهل
الجحيم في الاخرة وتعذيبهم بالعذاب الاليم هو بعينه موجود معهم في الدنيا محيط ببواطنهم من انه
وذلك هي الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الردية التي كلها نيرانات ملتهبة وحرقات
مشتعلة بعد ما صلحها ويوجب العداوة والبغضاء مع ابناء الدنيا الذين سيصيرون من
اصحاب الجحيم والخصومة معهم في مقاصدهم وماربهم الخسيسة الدنياوية وهذه الجهالات
ورذائل الملكات كما يوجب العذاب في الضاحها في الاولى فهي بعينها التي توجب العذاب بعالم
الاخرة على وجه اشد وابقى لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى فان امور البدن واشغال
الدنيا هيهنا الهي تغفل الروح عن ادراكها كما هو بخلاف النشاة الثانية فان البدن الاخروي
لا يلهي الروح عن ادراك الالام وان كانت شقية كما يلهيها عن ادراك اللذات الاخروية وان
كانت سعيدة فاهل النار اذا دخلوها انسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم لان ظواهرهم
عين بواطنهم كما حققناه في بعض كتبنا عند اثبات المعاد الجسماني بالاستبصار العقلي ايضا كما هو
ثابت عند الجمهور من المليين والحكماء الاسلاميين بالنص النقلي وليس حقيقة العذاب تسلط
هيهنا على ظواهر الاشقياء لكون ظواهرهم مباينة لبواطنهم الاخروية مع ما لم تنبهوا عليه لخدر
الطبيعة وسكر البدن وحجب المادة فاذا انسلط عذاب النار على ظاهرهم وباطنهم واحاط بهم
سرادقها ملكهم الجزع والاضطراب فيكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا مختصمين متقاولين كما
نطق به كلام الله في مواضع متعددة مثل قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقوله تعالى ان ذلك لحق

فخاصم اهل النار وكان هيهات امراض الجهل وعزم من الصفات اذا كانت راسخة مقرونة مع الفساد و
الاستكبار لا يمكن ان يزول اصلا وتكلف الاستغنا المردود دون بعض الكفرة المتجبرين لا يخفف عنهم العذاب
ولاهم ينظرون فكلما طلبوا ان يخفف عنهم العذاب وان يقضى عليهم واستغاثوا ان يرجعوا الى الدنيا
فلم يجابوا الى مطالبهم كما حكى الله تعالى عن اقتراحهم واستغاثتهم بقوله تعالى يا مالك ليقض علينا ربك
عدم اجابتهم بل منعهم عن السوال وطردهم عن الاقتراح بمثل قوله تعالى انكم ماكثون اخسؤا فيها
ولا تكلمون فلما يئسوا وظنوا انفسهم عن العذاب المكث على مر السنين والاحقاب تعللوا بالا
عذار ومالوا الى الاصطبار فقالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قوله عز وجل اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور زهد الله تعالى الناس عن الركون الى الحيوة الدنيا
وزجرهم عن التورط في مشتهياتها بابلغ وجه واكده حيث بين ان محقرات مشتهياتها ومختصرات
لذاتها التي في الواقع صدا دنيا انما الذين نظرهم على حقايق الامور ويعلمها الا امور واهية
باطلة زايلة وهي اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر لا انها كلها من باب التجوز البتة اذ
لعلاقة الاشتراك بينها في عدم البقاء كما وقع في بعض التفاسير فان ذلك بحسب النظر الجليل و
ادراك اهل الحجاب لا انها كلها بحسب المبالغة والتخيل كما هو عادة الشعراء واهل القصص اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين بل هي بحسب التحقيق ليست الا هذه المذكورات وليست الا متاع الغرور
كما مثل الله تعالى بقوله كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكان امور الدنيا
ليست الا اوهام محضة وخيالات صرفة فامور الاخرة بعكس ذلك اذ هي ليست الا امور عظيمة ثابتة
الصحبة لانها اول حق الاشياء وحقايقها التي لا تبيد ولا تنقص وقيل اللعب ما رغب في الدنيا و
اللهو ما الهى عن الاخرة والزينة ما تزينون بها في الدنيا وتخيلون في اعين اهلها ثم قيل انا شي
ومنشأ التفاخر بين الناس هو القوة الغضبية والهيئة السبعية التي لا تزال توجب التفوق على
الاقران والترفع على الاشباه ومنشأ التكاثر هو القوة الشهوية والصفة البهيمية التي لا تزال
تطلب تزايد المشتهيات ثم انه تعالى مثل حال الدنيا وانقضائها وسرعة فنائها مع قلة جدواها بنبات

البتة

البتة المطر فاستوى واستكمل واعجب الكفار نباته دون غيرهم لانهم هم المغترون بالامور الواهية
الباطلة بسبب التخيل ويرون لهم من ظواهرها بهجتها ما ينكرون الاخرة ولا يعرفونها فضربها
اعلى وهم لها ارادون المع لا لاهل الله المومنين حقا وليس المراد منه الفلاحين صنف
النبات وبيان حسنه بانه يعجب الكفار مع جحودهم لنعمة الله فيما رزقهم كما قيل بل اعجاب الكافر
بيان الواقع في الحكاية التي مثل بها الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون اشارة الى القصة المذكورة
في القران لصاحب الجنة والجنتين وقيل الكفار الزراع ثم بعث عليه الافة فهاج اي يبس
واصفر وصار حطاما اي متحطما ويكسر بعد يبسه عقوبة لهم على جحودهم وكفرانهم وفي
الاخرة عذاب شديد لمن رغب في الدنيا فشغله ذلك عن الاخرة ومغفرة من الله ورضوان
لمن زهد فيها للاخرة وما الحيوة الدنيا لمن ركن اليها واطمأن بها الا متاع الغرور كالا تبع السراب
للظمان حيث يخيل له لغاية ظمائه ان له حقيقة كانت حكم الدنيا للناقصين وضعفاء العقول التخييل
لهم ان فيها اللذة وكالا يعتدون بها فان قلت كيف حكم الله تعالى على الحيوة الدنيا بانها لعب ولهو
اي باطل موهوم لا حقيقة لها مع انها ثابتة في الواقع والثابت في الواقع لا يكون باطلا موهوما
قلنا يمكن الجواب عن هذا البحث بجليل النظر انه ليس المراد مما ذكره سبحانه ان الحيوة الدنيا التي هو القوة
على الحس والحركة امر موهوم مراد لا ثابت في نفس الامر ثابت في بعض الاوقات وان لم يكن دائما بل
الغرض منه ان هذه الحيوة ليست حقيقته يمكن يوثق في حق الانسان بما هو انسان اي روحه وجوهره
روحاني هو محل معرفة الله لان حيوته حيوة علمية نطقية اخراوية والحيوة الحسية الدنياوية
هي حيوة يتصف بها الحيوانات بما هو حيوان اي ذو جوهر حساس واذا اتصف بها الانسان
في بعض الاوقات فانما يكون بما هو به حيوان لا بما هو به انسان فاتصاف الانسان بتلك الحيوة الحسية
باعتبار انه قلبا حقيقيا هو محل معرفة الله امر مجازي اذ لا وجود لها للانسان الا بجواز العلاقة
الارتباط بين حقيقته التي هي روحه المشار اليه بانا والجسد الحيواني الواقع تحت جنس الحيوان
عند اخذه لا بشرط شيء اي بالاعتبار الذي هو به حيوان لا بما هو بينه وبينهما في الفرق
في علم البرهان ويمكن ان يقال بحث بحق النظر ان المراد من الحيوة الدنيا نفس الادراك الحسي للامور
الدنياوية وتسمية الشيء باسم ما ينبعث هو عنه ويتم به فان الحيوة الحيوانية انما يتم بالحس والحركة

وغاية الحركة انما هو الحسن في نظر الانسان والاحساس الذي لا يتم الا بالتوهم او التخيل الموهوم
او التخيل بما هو موهوم او متخيل لا وجود له في الخارج بل في الذهن وكلما لا وجود له في الخارج
فهو لهو ولعب اي باطل ولو تفطن متفطن اعلم ان كل من يلتذ بامر من الامور الدنياوية او يتألم
به فانما يلتذ بما او يتألم بما هو حاضر في ذهنه مع قطع النظر عن الخارج حتى لو اخبر انسان بوجود امر
ملائم له وكان لذلك يلتذ بتلك الملائم معتقدا وان عدم في الواقع وذلك كمن عشق واحدا و
اعتقد فيه غاية الحسن والجمال او ربما كان التذاذه بوجوده وتشوقه بحال رئاسة مدة مديدة
يظن انه موجود في موضع كذا من داره وهو قد مات منذ اول تلك المدة فعلم ان وجوده
الخارجي ليس موضوع هذه المحبوبة لفقده هو عليه فجميع المحبوبات والمعشوقات الدنياوية
في انفسها اوهام محضة لا وجود لها في الخارج والدنيا ليس الا حالاتك قبل الموت بالقياس الى
هذه المحسوسات ومما ينبغي للانسان ان يعلم انه ليس حصول التعلقات الكلية وادراك المعارف الالهية
ونيل الحقائق الكونية على الحظ الذي هو عليه للانسان من جملة الحيوة الدنيا المحضة اصلا
بل انما هو لاجل ما هو من النشأة الاخروية والحيوة الادراكية العقلية وقد علم مما ذكرنا ههنا امكن
احدهما كون الامور الدنياوية من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث في
انفسها بحسب جواهرها دون وانها امور وهمية وثانيهما ان وجود هذه الاشياء للانسان وهي
وكلا الحكمين حق وصواب اما الثاني فلما اشرنا اليه من ان وجود الذهب في نفسه ليس هو للانسان
بل الاعتقاد بوجوده له مما يلتذ به واما الاول فلما حققنا في موضعه موافقا لما عليه المحققون
من العلماء فضلاء الاولياء والعرفاء من ان المركبات المحسوسة الجزئية لا وجود لها منفردا عن
الحقائق البسيطة المعقولة التي تقوم بها تلك الجزئيات وقد صرحوا بان مناط وجود الجزئيات
المادية بمحسوسيتها المحسوسة وجود الشيء الجوهري الخاص وقد علمنا ان الاحساس لا يتم الا بالتوهم
اي الوجود بالقوة الوهمية التي هي من جنود الشيطان واعلم ان لذات الحيوة الدنيا انما هي لعب
ولهو لانها من فعل الشيطان والاقتباسات امور الدنيا بما هي هي اي بالحيثية التي بها انها دون مشتهية
للذلة لا ان للحق شي حقيقة وحقيقة امور الدنيا تجددها دون والحياة وانصرامها وفنائها لا انها كون
ناقصة واقعة في جهة السلوك الى الله تعالى والارتقاء اليه وان الانسان بما هو انسان لم يخلق

سلوكه

سلوكه كما قال فاما الحركة هي نفس الخروج من القوة الى الفعل فهي ما بين حرافة القوة والفاقة وبين محوضة
الفعل والوجود واللذة الحقة من توابع الوجود الحق الذي تتوجه اليه الموجودات والتوجه
الى الحق انما هو بقطع الحجب الظلمانية الناشئة من الاجل الوجود الموهوم الذي يثبته بالحجب
القوة الوهمية معنى ان الكون كله خيال كما قيل شعر كل ما في الكون وهم او خيال او عكوس
في المرايا او ظلال فحقيقة العكس والخيال والظل اذا اخذ من حيث كونه عكسا وخيالا وظلا
واما اذا اخذ العكس اصلا والخيال عينا والظل شخصا فيكون كل منها باطلا كما في قول لبيد
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل لان ما خلا الحق معلول ممكن والمعلول
اذا اخذ منسوبا الى الحق كان حقا بحقية الحق وواجبا بوجوده واما اذا اخذ غير منسوب اليه
بل منفردا عنه كان باطلا فالعالم بما هو عالم سوى الحق باطل لكنه موهوم الوجود كما ان الظل
موهوم الوجود والوهم من فعل الشيطان والواهمة من جنوده وكذا كل متوهم اي مذعن كما ان احكام
الوهم من جنود الشيطان كما ان العقل من جنود العقل وكذا كل عاقل اي مذعن لاحكام العقل
وقد علمنا ان التطارد بينهما في معركة القلب الانساني قائم كما ان المعقولات جنة العقل وجنوده
تلتذ بها وتنمو فيها حيث شاء كما ان الموهومات جنة الوهم وجنوده تلتذ بها وترتع فيها حيث
شاء قال بعض العلماء ان ابليس لما استحلبه على ادم ووصل بالاذية اليه وقال الملعونة و
لفخ امنيته وسأل ربه الانظار الى يوم يبعثون فاجيب الى يوم الوقت المعلوم اتخذ لنفسه جنة
غرس فيها اشجارا واجرى فيها انهارا اشباه كل بها الجنة التي سكنها ادم وقاس عليها وهندس
على مثالها هندسة فانية مضمحلة لا بقاء لها وجعل مسكن اهله وولده وذريته وهي كمثل
السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وذلك انه من الجن وقد قيل ان الجن التخيل و
التمثل لا حقيقة له وكذلك فعل ابليس وجنوده انما هي تمويه وتلبيس وتخاريف لا حقيقة لها
ولا حق عند بها الصيد بها الناس عن الطريق القويم والصراط المستقيم وبذلك وعد ذرية
ادم حيث قال لآتينهم من بين ايديهم ومن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين والجنة
التي غرسها ابليس لنفسه ليصد بها ذرية ادم عن الجنة التي كانت لابيهم هي الامور الدنياوية
والشهوات الدنية والوهمية وفعل الخطايا والمآثم وارتكاب المحارم وحب القنية الفانية الحرة

عن طاعة الله ومتابعة الذين اخلدوا الى الارض ورضوا في الدنيا فاحلوها ودعوا الاخرة ومن
احلها التي هي دار القرار ومحل الاخيار ومقام الابرار وجميع هذه الامور لعب ولهو كما وصفها الله
ثم بين ان الغافل هو الذي وقت الخروج من جنة ابليس فرجع الى الجنة ابيه وذريته الطاهرين
وتخلص من ادناس اجناس ذرية ابليس اجمعين واتباعهم وهم المنكبون على الامور الدنياوية
المكبون على اللذات والشهوات الدنية التي سيتقلب عينها في دار الاخرة الى الوان العقوبات
وانواع الالام والمحن الشديدة كما اشار سبحانه بقوله وفي الاخرة عذاب شديد نوع العذاب
مشتركون ويتبين لك ذلك وعلمهم اذ قال لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قوله
عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله
ورسله ذلك الفضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الاعداد والتهيئة اي وضع الشيء لما
يوجد في المستقبل على ما تقتضيه او يناسبه والفضل والافضال والتفضل واحد وهو النفع
وهو اما المعنى الحدثي المصدري او الامر الحاصل به والثاني هو المراد ههنا ومعنى الاية انه تعالى
بعد ما بين ان الحيوة الدنيا لا حقيقة لها سوى كونها لهوا ولعبا موصوفا بالوجه الذي مر بيانه
ومثلها مثالا لينبه الغافل على فنونها وزوالها واشار الى ان الحيوة الاخرة هي حقيقة ثابتة في
نفس الامر لكنها اما عذاب شديد واما غفران ورضوان احدهما للسعداء والاخر للاشقياء
ثم كرر الاشارة الى ان الغاية المطلوبة في الاخرة هي متاع الغرور فرغب سبحانه في المسابقة الى طلب
احد الامرين الاخرين المشار اليهما في الاية السابقة وهو الذي يترتب على استعمال الحيوة الدنيا
في طلب التوصل الى لقاء الله واليوم الاخر فقال سابقوا اي سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم
ونظرائهم في المضمار وادفعوا العوارض القاطعة عن السلوك الى الجنة بالاعمال الصالحة العلمية
والعملية متقبلين الى ما يوجب المغفرة بمغفرة من ربكم قال الكلبي الى التوبة وقيل الى الصف الاول
للصلوة وقيل الى التي دون معناها وذلك دليل من الائمة ع وبعدهم من المشايخ المعتبرين والى جنة
عرضها كعرض السماء والارض اي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه سعتها وعظمها وفي ذلك كتاب
حلاوة الفضائل وما يحكم في الموضعين نظر كنفي لا يسع المقام ذكره قال السدي كعرض سبع السموات
وسبع الارضين وخص ذكر العرض دون الطول لوجوه احدها ان كل ما له امتدادان مختلفان

فان عرضه يكون اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط واوسع وثانيها
ان الطول قد يكون بلا عرض بخلاف العكس وثالثها الاشعار بان طولها لا يمكن ان يقاس الى
شيء من هذا العالم ورابعها ان المراد منه مطلق البسطة كقولهم فلان ذو عرض عريض وقرء في
خزانة احد باعتبارها ذو عرض عريضا قال الحسن ان الله يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه فلذلك
صح وصفها بان عرضها كعرض السماء والارض والجنة مخلوقة فوق السماء السابعة فلا ينافي اعدت
للذين امنوا اي مخزنة للمؤمنين بالله ورسله وفيه ما لا يخفى من الحمل ذلك اي الفوز
بالمغفرة والجنة من فضل الله لكونه موجودا كاملا تاما فوق التمام فيفضل عنه الوجود وكمال
الوجود على من يشاء والله ذو الفضل العظيم لان الفاعل فاعليته من فضل جوده وبعضه
فلا استبعاد في ان يجري الدائم الباقي على العمل القليل الفاني ولو اقتصر على قدر ما يستحق بالا
عمال لكان عدلا لكنه تفضل بالزيادة كما انه لو اقتصر على افاضة الوجود على العالم لكان تاما
في واجبيته وملكه وسلطانه لكنه تفضل بوجود العالم متاملة من غير ضرورة زائدة على ذاته
داعية مستولية عليه وان احدا لا ينال الخير في الدنيا والاخرة الا بفضل الله فانه لو لم يدعنا
الى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا اليه فذلك كله من
الله وقال ابو القاسم البلخي ان الله تعالى لو اقتصر لعباده من طاعتهم على مجرد احسانه السابقة اليهم
لكان عدلا فلهذا جعل سبحانه الثواب الجنة فضلا لا تبلغ وفي هذه الاية اعظم رجاء لاهل
الايمان لانه ذكر ان الجنة معدة للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا اخر وانت على ان ما سبق
الايمان بالله والرسول وما جاء به هو اصل المراتب الكمالية للانسان وبه يستحق السعادة العظمى
والغرض من الاعمال الصالحة هو جلاء النفس عن الظلمات الدنية المكدرة لمرآة القلب لما نعقم
عن ادراك الحقائق والمعارف الايمانية والعقيدة الحقة الالهية لا تنال الا بقطع الاغراض الدنيا
بالاعمال الصالحة المقربة للقدس ولا تبتنى الاخلاق مع العمل الا بالعقيدة الايمانية فالايمان
هو المبدء والغاية في كل جزء وكل العلى وجه لا يرد على نفسه دورا مستحيلا ولا يحتاج بيانه
الى الكلام مشبع لا يناسب المقام كما سنعرف فان الجنة حق والنار حق اعلم ان قوله تعالى اعدت للكافرين
للذين امنوا وكذا قوله اعدت للمتقين دليل واضح على ان الجنة مخلوقة الان موجودة للمؤمنين في

لانها نتيجة اعمالهم وافعالهم ومن جملة الاراء السخيفة راى من زعم ان الجنة والنار لا توجدان
الا بعد زوال العالم ونفاد السموات والارضين واشير الى فساد هذا الراى فى قوله انهم يرونه
بعيدا ونريه قريبا وفى قوله اولئك ينادون من مكان بعيد ومن الاراء السخيفة ايضا
اعتقاد اكثر الناس ان اجسام اهل الجنة اجسام لحمية كثيفة مركبة من اخلاط اربعة قابلة
للاستحالات معرضة للافات واذا تامل احد فى ما وصف الله تعالى من صفات اهل الجنة ظهر له
فساد هذا الراى وذلك قوله سبحانه لا يمسهم فيها نصب ولا يذوقون فيها الموت وانهم فيها خالدون
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن علامة حقية الاعتقادات ان لا يقع فيها تناقض وتخالف
وهرج ومرج واكثر اراء المجادلين والمتشبهين بالعلماء كاكثر الكلاميين بحيث يكون اذا عرض
صاحبه على عقله انكره صريحا وان اقربنا لنا ان يحيط ما نقضنا بها اعتقاده واصوله فيقع عند
ذلك فى شك وحيرة وسوء ظن برايه كما قال الله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم
من الخاسرين ولا بد لكل واحد ان يعلم ان الجنة والنار الجسمانيتين غير معلوم مكانهما الا للكاملين
الذين كحلت عيونهم بنور الله وغلب عليهم ظهور سلطان الاخرة وصاروا بحيث يكون
ابدانهم فى الدنيا ساكنة وارواحهم فى الاخرة سابحة فهم من اهل الاطلاع على حقائق الامور
الاخروية ولا بد للمحجوبين ومن لم يقف على اسرارهم ولم يصل بعد الى مقامهم ان يعتقدوا ذلك
ايمانا بالغيب ان الجنة التى عرضها السموات والارض موجودة فى عالم الغيب بحيث لا يمكن مشاهدتها
بهذه العين وليست اجسام الاخرة من هذه الاجسام حتى يقع بينها تزاحم وتضايق بل التزاحم و
التضايق من خواص هذه الاجساد التى نشاهدها بهذه الحواس الداثرة المضمحلة وتلك الاجساد
لا تشاهد الا بالبصيرة الباطنة ولا بد ايضا ان يعلم كل من امن بالله واليوم الاخر ان للاعمال
الافعال الدنيوية باعتبار تاثيرها فى عادات النفس وملكاتها علاقة طبيعية مع اعيان
الامور الاخروية فكما ان الامر المسمى بالمعصية فى الدنيا يؤدى صاحبها فى الاخرة الى الالام
بالنار والتعذيب بالحميم والزقوم والسلسلة والجحيم وكذا المسمى بالطاعة تظهر فى الاخرة بصورة
الجنة والرضوان والتنعم بالفواكه والحور والغلمان والولدان فكذلك الافعال المحمودة التى
هى الطاعات انما يراد لاجل اكتساب الاخلاق الحسنة وكذا الافعال المذمومة انما تترك لاجل
انها

انها تسعى الى الاخلاق السيئة فالغرض من الاوامر الشرعية وافعالها الاكتسابية انما هو تحسين الحال
وتقويم الملكات وتبديل السيئات منها الى الحسنات بتوفيق من الله وتائيد منه كما قال سبحانه فى
حق المخلصين من عباده اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكما ان فى الدنيا كل صفة تغلب على
باطن الانسان وتستولى على نفسه بحيث يصير ملكة لها يوجب صدور افعاله منه مناسبة لها
بسهولة ويصعب عليه صدور اضدادها غاية الصعوبة وربما يبلغ ضرب من الاول حد اللزوم
وضرب من الثانية حد الامتناع فكذا حال الملكات والاخلاق فى الاخرة اذ كل صفة تثبت
فى النفس ورسخت فيها وانتقلت معها الى تلك الدار صارت كانها لازمها ولزمت لها الاثار
والافعال الناشئة منها بصور تناسبها وليست الافعال والاثار الدنيوية فى لزومها للصفات
التى هى الملكات بتلك المثابة اذ الدنيا دار اكتساب للعلل الاتفاقية فيها تداول وجولان
للدواعى والصوارف الخارجية فيناط بدوران فلا يتبقى بها تيسير الاكتساب بعينه
وبالعكس بخلاف الدار الاخرة فان باب الاكتساب والتحصيل فيها مسدود ولكل نفس فيها ما هى محبوبة
كما اشير اليه فى قوله تعالى يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا ولان
الدنيا دار تعارض الاضداد وتفاسد المتمانعات بخلاف الاخرة لكونها دار الجمع والاتفاق
من غير تزاحم ولا تضاد فالاسباب هناك لا تكون الا عللا ذاتية كالفاعل الحقيقية والغايات
الذاتية دون العرضية فكل ما يصلح لان يكون الصفة نفسانية لا يتخلف عنها هناك كما يتخلف
هاهنا فلا سلطنة للعلل العرضية والاسباب الاتفاقية بل الملك لله الواحد القهار ولا
تنفع الشفاعة عنده الا باذنه فى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى العلل الاتفاقية دون
الماذونين فى الشفاعة كالرسول لاجل حصول الاستعداد والمناسبة الحاصلة من
دعوته لامته التى كانت خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا
القدر من المعرفة اقل ما يكفى المستبصر ان يؤمن بجميع ما وعد الله ورسوله او توعد عليه لسان
الشرع من الصور الاخروية المترتبة على الاعتقادات والاخلاق المستتبعة للذات والالام
الا انه ليس من اهل المكاشفة الباطنة والمشاهدة الاخروية واما معرفة التفاصيل فى نتيجة
كل صفة وعمل وعد عليه او توعد عليه الشرع الانور بحكومة اخروية فموقوف على كشف تام و

معرفة كاملة واتصال قوي بعالم الغيب بتجرده وانقطاعه عن علائق هذا العالم وكل من لم يحصل ف
العلوم يجب عليه ان يتامل في الصفات النفسانية والاخلاق الباطنية وكيفية انبعاثها
للآثار والافعال الظاهرة منها ليحصل له بذلك درجة ان يفهم كيفية استتباع الاخلاق المكتسبة
في الدنيا من تكرر الافاعيل للآثار المخصوصة في الآخرة تحقيقا لقوله الدنيا مزرعة الآخرة
كما ان شدة الغضب والغيظ في رجل غضبان يوجب فوران دمه واحمرار وجهه وحرارة جسده
واحتراق مواده الرطبة التي هي لها بمنزلة الحطب اليابس على ان الغضب صفة نفسانية موجودة
في عالم الروح الانساني وملكوته والحمرة والحرارة والاحتراق من صفة الاجسام وقد صارت هذه
الصفة الواحدة النفسانية مصورة بهذه الهيئات والعوارض الجسمانية في هذا العالم فلا
عجب من ان يكون رسوخ هذه الصفة المذمومة مما يلزمها في النشاة الآخرة نار جهنم التي تطلع على
الافئدة فتحرق صاحبها وكما يعرض لبعض الذين فيهما ههنا امور مستنكرة واحوال مستكرهة اذا لم
يكن له صارف عقلي من ضربان العروق واضطراب الاعضاء وقبح المنظر وربما يودي بصاحبها
الى الضرب الشديد والقتل العمد بل النفسه وربما يموت غيظا فكذا القياس فيما يعرض هناك على
وجه اشد واقوى بحسب الموازنة بين النشاتين بل شر فراغه ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا
تذكرون فاذا تامل احد في استتباع هذه الصفة المذمومة الواحدة لتلك الآثار واللوازم
الذميمة فيمكن له ان يقيس عليها باقي الصفات المؤذيات والاعتقادات المهلكات وكيفية
انبعاث نتايجها ولوازمها مما يوجد في الآخرة من النيران وغيرها كما في قوله ثم يسحبهم ومقامع
كذلك الاضداد منها من حسنات الاخلاق وحقائق الاعتقادات وكيفية استتباعها للنتائج
والثمرات من الجنان والرضوان والوجوه الحسان فعلى هذا يثبت القول بوجود الجنة والنار بانها
حقيقة لا يحتاج الى تجوز في قوله اعدت للمتقين وقوله ان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله
يسير المصيبة في الارض نحو الجدب وقلة النبات واتلاف الزرع ونقص الثمار وتلف الحيوانات
وموت الانسان والمصيبة في الانفس نحو الادواء والامراض والاوجاع والثكل بالاولاد
الموت وغيرها من الترقب والآفات الخارجية والداخلية وربما كان بعض الخطاء الوجودات

والثمرات

والثمرات لطائفة من الناس هو بعينها مصائب وآفات لجماعة اخرى منهم بالاستدراج الا في كتاب يعني
الا وهو مثبت مذكور في لوح محفوظ من الالواح العالية المحفوظة عن التحريف والفساد والبطلان
من قبل ان نبرأها يعني المصائب او الارض او الانفس ان ذلك اي اثبات ذلك على كثرته وتفصيله
هين على الله سهل يسير وان كان عسيرا على غيره مكاشفة اعلم ان حقائق الاشياء مسطورة
اولا في العالم المسمى باللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ الله وتقيته
وحراسته اياهم عن الخلل والنقصان والنسيان وكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار في
نسخة بل في خياله اولا ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة المسطورة اولا في الخيال
سطر الاشياء بعينها العين وكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى
اخره في العالم الاعلى العقلي ثم النفوس ثم في الخيال ثم اخرجه على وفق تلك النسخة الى الوجود
الحسي المدرك باحدى الحواس فعلمه تعالى بالاشياء الكائنة على هذا الترتيب الوجه العقلي بخلاف
علمنا الانفعالي بها الذي يحصل منها على عكس هذا الترتيب فان العالم الموجود الذي خرج
الى الحس او وجد بصورة يتادى منه صورة اخرى الى الحواس ثم الى الخيال ثم الى النفس ثم
الى العقل المنفعل المتحد بالعقل الفعال فرتبة الصعود العودي على عكس رتبة النزول البدوي
والحاصل ان العقل الانساني موافق للعالم الموجود بل هو على التعاكس في انحاء الحصول وتوضيح
ذلك ان من نظر الى السماء والارض ثم غمض عينه يرى صورة السماء والارض في خياله كانه
ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض في انفسهما كان يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتادى من خياله
اثر الى العقل فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالعالم الموجود في ذهن
الانسان موافق للموجود في الكون وهو مطابق للنسخة الموجودة في اللوح العقلي وهو سابق
على وجوده في القدر والصور المثالية وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الخارجي
وجوده الخيالي ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجوده في القوة العاقلة الانسانية المتحد
بالعقل الفعال وكما ان تلك الصور ومحالها نازلة من اسفل في سلسلة البدو وكذلك صاعدة الى
الله سبحانه في سلسلة العود فانا لله ونحن منه البدو واليه الرجعى فلما كانت بعض هذه الموجودات وبعضها
عقلية وبعضها مثالية وبعضها حسية فكان الوجود انساد من الحق عقلا ثم نفسا ثم حسا على

نفسه فصار رصدا بانه تفصيليا ثم عقلا ثانيا وان استهب زيادة الاطلاع على حكمة الله تعالى في خلق
العالم وعجايب صنعه في الموجودات وعجايب مكونات المكونات بقدرته وارادته ولاق
قضاه وقدره فتدبر في مستورات الحقايق ومخفيات المخلوقات ثانيا بتوسط القلم الاعلى واللوح
الاعظم على مقتضيات الاكوان في عالم الزمان والمكان فاستمع لترجمه البيان الذي يتيسر سماعه
للمحدق البصير فنقول ان الباري تعالى لما شرع في الافاضة والجود فاول ما افاد وجوده هو
العالم العقلي المشتمل على صور روحانية هي جواهر مجردة عن الاجسام والمواد منزهة عن العوارض
الخارجية والفساد مدركة لذواتها ولما عداها مما بعدها على ما بين بالبرهان ونص عليه في
الحديث وصرح به كبار اهل العرفان وهي من عالم الامر كما قال ويسالونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وروي عن النبي صلعم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو
مكتوب عنده فوق العرش وهذا العالم عالم الملائكة الموكلين بعالم السموات والارض على وجه
الافاضة والتاثير واعلاهم الكروبيين وهم العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم الى الاجسام
بل لا التفات لهم الى غير الله لاستغراقهم بشهود جمال الحضرة الربوبية وجلال الجلال ولا يبعد ان
يكون من عباد الله من يشغله جلال الحق عن الالتفات الى غيره وقد وقع في الحديث عن رسول
الله ان لله ارضا بيضاء مسيرة خلقا لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق ادم
وابليس رواه ابن عباس وهذا الصنف من المفارقات التي ليست واقعة في سلسلة علل الاجسام
وليست بها حجبة فقيل يكون بازايها نفوس تحت قصورها معلولة لانها القريبة الحجابية فيعبر عن تلك الجهة
بعدم علمها ببعض الاشياء العصاة لان علومها فعلية فتدبر وبالجملة الجميع انوار محضة عقلية
الا انهم بعضهم المهيمون وهم الاعلون وبعضهم الادنون في الصف الاخير وهم انوار قاهرة بها
تحفظها من النفوس والاجرام باذن الله تعالى وقاهريتها صورة صفة قاهرية الله تعالى وجباريته كما ان
نوريتها من سبحات وجهه تعالى وجماله وهذا الاعتبار يسمى الملائكة المقربين وعالمها عالم العظمة و
عالم الجبروت اذ يفيض منها صور الاشياء وحقايقها بافاضة الحق تعالى وكذا يفيض منها صفاتها
وكمالاتها التي بها يجبر نقصانها فنعلم ان جميع الحقايق باعيانها وكمالاتها متحققة بها وبهذا الاعتبار
يسمى عقلا وذلك الانتقاش هو صورة القضاء الالهي والقضاء عبارة عن ثبوت صور جميع الاشياء

في

في العالم العقلي على الوجه الكلي ومحله عالم الجبروت لتقدسه تعالى عن شوب الكثرة وهو المسمى بام
الكتاب الذي اشار اليه بقوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب كل ما يفيض عليها من العلوم
الحقة الموسوم بالعلوم اللدنية يفيض عنه كما قال تعالى اقرء وربك الاكرم الذي علم بالقلم وتلك
خزاين غيبية كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وكما ان العالم
الروحاني بجوهره المجرد محل القضاء فالعالم النفساني بجوهره النازل محل القدر اذ الصور
العقلية الكلية في عالم القضاء في غاية الصفاء والوحدة لا تبدل ولا تحتمل التغير فلا شك انه
توجد بها كرة مصقولة ترد الجوهر مرات فانها اصول الصور فتنطبع فيها فينتقش تلك الصور في
النفوس الناطقة الكلية التي هي بطن العالم كما ينتقش بالقلم في اللوح صورا معلومة مضبوطة منوطة
بعللها واسبابها على وجه كلي كما يعلم في تكوينا عند استحضارنا المعلومات الكلية كالصور النوعية
مثلا وكبريات القياس عند الطلب للمراد الجزئي المنبعث عند العزم على الفعل هو اللوح المحفوظ
ومحل القضاء لانضباط تلك الصور فيها وانحفاظها عن التغير والزوال ثم ينتقش منه في النفوس
الحيوانية الجزئية السماوية التي هي قوى نفوسها الناطقة منبعثة منها منطبعة في اجرامها نقوشا
جزئية مشخصة باشكال وهيآت معينة مقارنة لاوقات معينة مقدرة بمقادير واوضاع
معينة من لواحق المادة على ما يظهر في الخارج كما ينتقش في قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كا
لصور الشخصية وصغريات القياس مثلا ليحصل بانضمامها الى تلك الكبريات راي جزئيا ينبعث
عنه القصد الجازم الى الفعل المعين فيحصل ذلك الفعل بعينه وذلك العالم هو لوح القدر فانه
نقشه عبارة عن حصول صور جميع الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما في المواد
الخارجية مستندة الى اسبابها واجبة بها لازمة لاوقاتها وهذا العالم المثالي الذي يقال له عالم
سماء الدنيا العقلي نزل اليها الكائنات والامر من الغيب ثم يظهر في عالم الشهادة كما ورد في
الحديث وتلك النفوس من قوى نفوسها الناطقة بمثابة قوانا الخيالية من نفوسنا وكل منها في
كتاب مبين كما اشار اليه بقوله ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وحصول
تلك الصور المعينة المقيدة بوقتها المعين هو القدر الذي المعين الخارجي كما قال وما ننزله الا بقدر

معلوم ومحل هذا القدر هو الهيولى الاولى التي هي بعينها اللوح ذلك القدر الذي محله الملكوت العمالة
باذن الله كما ان محل القدر ولوح القضاء هو العالم العقلي ومحل القضاء هو عالم الجبروت وهذه
التي ذكرناها جملة تحتاج الى التفصيل والتحقيق وعبر هذا الموضع قد فصلناها وبسطنا القول
فيها وفي نظايرها من المقاصد الربوبيات في كتابنا الكبير المسمى بالاسفار الاربعة ومن عجايب
صنع الله سبحانه ان ابدع نظاير جملة هذه الحقايق المتعلقة بذاته القدسية من القلم واللوح
والقضاء والقدر وعالمي الخلق والامر والشهادة والغيب والاخرة واودع من كل واحد من
تلك المعاني انموذجا ومثالا وفردا في نشاة الادمي وروحه وجعله بصورة الانسان مثالا له
ذاتا وصفاتا وافعالا وان لم يكن مثلا له لتعاليه عن الشبه والمثل فكما ان لافعال الانسان عند
ارادة صدورها منه وبروزها من غيبها الى مظاهر شهادتها اربعة مراتب كونها الاولى
في مكمن روحه العقلي الذي هو غيب غيوبه وفي غاية الخفاء كانه جوهر مستور في حجاب ثم نزل الى حجر قلبه
الحقيقي وهو نفسه الناطقة عند استحضارها واخطارها بالبال كلية ثم نزل الكلي الى خزانة خياله و
نفسه الحيوانية متخصصة جزئية ثم حركت اعضاء عند ارادة اظهاره فيظهر في الخارج فكذلك
الحال فيما يحدث في العالم بعناية الله وارادته من الحوادث اذ الاول بمثابة القضاء ومحله
بمثابة القلم والثانية بمثابة المحفوظ من الفساد لانه جوهر روحاني ناطق لا تغير فيه ولا تبدل نقش اللوح المحفوظ ومحله الكرسي
والثالثة بمثابة الصور في السماء الدنيا وهي نقش لوح القدر على ما ذكره ومحل اللوح القدر والجسم
الصقيل البخاري الدخاني المشابه للسماء وهي دخان والرابعة بمثابة الصور الحادثة في المواد
العنصرية ولا شك ان النزول الاول لا يكون الا بارادة كلية والنزول الثاني بارادة جزئية خفية
ينضم الى الارادة الاولى الكلية فيخصصها ويصيرها جزئية فينبعث بحسب ملايمها ومنافرها
راي جزئي مستلزم لارادة جازمة داعية الى الاظهار فيحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل
فحركة الاعضاء بمثابة حركة السماء وظهور الفعل هو القدر على المذهب الثاني وكما ان سلطان
الانسان
الروح الذي هو العقل والادراك في البدن لا يظهر الا في الدماغ لكن الروح الالهي
فكذلك سلطان الروح الكلي الذي هو روح العالم لا يكون الا في العرش لكن القوة المحركة السارية
فيه فهو من العالم بمنزلة الدماغ من الانسان وكما ان مظهره الاول فيها هو القلب الذي هو منبع الحيوة
فكما

فكما ان مظهر الاول فيه هو الفلك الرابع الذي هو فلك الشمس وسط العالم ومنشا تدبير الكاينات و
منورها بالنور الحسي المظهر لكل شي من الاجرام والمعطي لها حقها من الحيوة الحيوانية الحسية الجسمية
كما ان الباري تعالى منبع الحيوة العقلية للذوات العقلية النورية والمنور لذواتها والمكمل لها بافاضة
العشق والنور والوجود على ذواتها التي ابدعت على كمالها الاتم وعشقها وتالهها منذ اول
الفطرة من الله مبداها واليه منتهاها فالشمس مثال الله الاعظم وخليفته في العالم الاجسام
بروحها ونورها الساريين في كل جسم من العالم وكذلك القلب مثال الله وخليفته في عالم البدن
الانساني بروحه الحيواني ونورها الساريين في كل عضو من الانسان فهو روح الفلك بمثابة
الروح الحيواني الذي في القلب الذي به تحيى جميع الاعضاء وهو بيت المعمور المذكور في الشريعة انه
في السماء الرابعة المقسم به في التنزيل حيث قال والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت
المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ولهذا حصلت مقامة عيسى روح الله على نبينا وعليه السلام فالكتاب
المسطور هو نقش القضاء الاول الثابت في الروح الاول العقلي وذلك لان الروح هو الرق المنشور
والسقف المرفوع هو السماء الدنيا المذكورة وقريب بالبيت المعمور لنزول الصورة منها ونفخ الروح
منه فيما يخلق الحيوان والبحر المسجور هو الهيولى السيالة الملونة من الصورة وهي الجاذبة لنار الجحيم عند
يوم القيمة والله اعلم قوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل
مختال فخور وقرا ابو عمرو بما اتيكم بالقصر ليكون الفاعل الضمير الراجع الى الموصول والاخرون بالمد
لكون الفاعل الضمير الغايب الى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما اتاكموه لما ذكر بيان ان
جميع ما وجد الله مثبت في كتاب سابق اراد ان يعلل ذلك ويبين حكمته فيه فقال لكيلا
تاسوا على ما فاتكم اي فعلنا ذلك كيلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اعطاكم
الله منها والذي يوجب نفي الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان كل ما حكم عليه في القضاء الازلي
لا يزال الا من مقتضيات ذوات الاشياء التي لا يمكن التغير عنها حصل له الاطمينان الكلي والراحة
الكلية علما ان كل ما يقتضيه حقيقته وكل ما هو في صورته ومعنى مطلبه غيبه لا بد ان يصل
اليه كما قال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاجملوا
في الطلب فتستريح عن تعب الطلب وان جل الاحزان من الفوات لا سيما لعلمه ان الله سبحانه في كل حين يعطيه

من خزائنه مما يناسب رتبته واستعداده فهو واجد دائما من مقصوده شيئا فشيئا ومالا يعقد ولا
يرام من العجز فلا ينبغي له الحزن على فوات شيء وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا
يفوت بسبب الا بعظيم فرحه عند بلوغه فان قلت بعض الانسان ربما كان مقتضى ذاته امورا لا
يلايم نفسه كالفقر وسوء المزاج وقلة الاستعداد ولا يرى سببا للخلاص اذ مقتضى الذات لا
ينفك فيحصل له غاية الاسى من هذا الوجه ولذلك قيل العلم بسر القدر يعطي النقيضين
الراحة الكلية والعذاب الدائم فكيف يستقيم الحكم بعدم الاسى والحزن على فوات الامور قلنا
ليس المراد نفي الاسى والفرح الصادرين عن النفس بحسب الطبع بل المراد نفي صدورهما من
العاقل على سبيل الاختيار المنبعث عن تصور الفائدة والنفع وليس للحزن فائدة بما ذكر ويمكن
ان يقال ان العالم بسر القدر لا يكون شقيا والشقي لا يكون عالما به فمن قال ان العلم بسر القدر
يعطي النقيضين فلا وجه له ظاهرا واما ما قيل في بيان عدم الاسى والفرح ان الانسان
اذا علم ان ما فات منها ضمن الله العوض عليه في الاخرة فلا ينبغي ان يحزن لذلك واذا علم
ان ما نال كلف بالشكر عليه والحقوق الواجبة فلا ينبغي ان يفرح لذلك فكلام حسن محمود في
المواعظ فان قلت اذا كان عدم الحزن والفرح عند المضرة والمنفعة الواصلتين للانسان بسبب
معتقد ان العادة لا يملك احد نفسه عند ورود احدهما عن احدهما فكيف يلايم ويحسن هذا الجعل
والعلة الغائية او الغاية الذاتية للشيء ينبغي ان يكون بينها وبينه علاقة سببية او ان يكون
الغاية بحيث يكون مترتبة على الفعل قلنا المراد بنفي الاسى لازمه الذي يحصل صاحبه عن الصبر المانع
له عن التسليم لامر الله والفرح المطغي الملهي عن الشكر الموجب للبطر والاختيال فاما الحزن الذي
لا يكاد احد يخلو منه مع الاستسلام لحكم الله والتزهد بنعمة الله مع اعطاء حقه من الشكر
والتفطن لما لا يلزم من الانفعال والتوزع والعمل بموجبه فلا باس بهما وللاشعار بان المراد
من الفرح المذكور هو الذي يوجب البطر والخيلاء عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور
اي معجب بما اوتي متكبر على الناس في الدنيا فان الفرق بين الخيلاء والفخر كالفرق بين العجب والكبر في
ان احدهما يعتبر بنفس الموصوف به والاخر بالقياس الى غيره دون مقابلة لان النكتة في ذكر
شقاوة الموصوف باحد المتقابلين دون الاخر ان هذا اشقى منه ولان الاتصاف باحد هذين

الوصفين

الوصفين يستلزم الاتصاف بالاخر اذ قل من يكون له الفرح المطغي عند حظ دنياوي ولا اضطراب
عند المصيبة بل الغالب ان لا يثبت نفسه حالة الضراء كما لا تثبت نفسه حالة السراء فكل مختال
فخور يكون عند الضراء جزوعا عديم صبر وكلا الامرين نقص وخسة والله لا يحب كل ناقص خسيس وفي
هذه الاية اشارة الى اربعة اشياء احدها صاحب الخلق لان من استوى عنده وجود الدنيا و
عدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاح لان جميعها من اسباب سوء الخلق وهي من نتائج النفور
والخسة وثانيها استحقار الدنيا واهلها اذ لم يفرح بوجودها ولم يحزن بعدمها والثالثة وثانيها
عليه وآله السلام بقوله لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس امثال الاباعر فلا يحفل بوجود
هم ولا يعتز بذلك كالابعير بوجود بعير عنده وتمام الحديث ثم يرجع الى نفسه فيكون اعظم حاقر
لها وثالثها تعظيم الاخرة لما سال الله فيهما من الثواب الدائم الخالص من الشوائب ولما ياس
من وجدان اللذة ونعيم الدنيا توجه الى تحصيلها في الاخرة واهل الدنيا بعكس ذلك لانهم
لما يأسوا من الاخرة ولذا لقاء وصفهم بالكفر اكبوا الى الدنيا واطمانوا بها ويئسوا من الاخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور ورابعها الافتخار بالحق والتشبث بردون اسباب الدنيا و
روي ان علي بن الحسين جاء رجل عنده فقال ما الزهد قال الزهد عشرة اجزاء فاعلى درجة
الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة
الرضا وان الزهد كله في اية واحدة من كتاب الله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
وقيل لبزرجمهر الحكيم لا تاسف على ما فات ولا تفرح بما هو ات فقال لان الفائت لا يتلافى ما للثانيها
بالعبرة والاتي لا يستدام بالحسرة مكاشفة قد وضح من هذه الاية ان كل ما دفع او يقع
في هذا العالم معقد بهيئة وزمانه مكتوب بوصفه وخصوصيته في عالم الاخر قبل وجوده
فان اشتبه عليك ان الخالق الافعال المنسوبة الى الاختيار وتجعل الملائكة انها على هذا التقدير
يلزم ان يكون بالاضطرار فما بالنا لا نجد الفرق بين المضطر والمختار ولا نفرق بينهما
بالتدبير والتغير ونفرقهما بالتقديم والتاخير اذا كان الكل بالقضاء والقدر فلم اذنبوا
بها ويعاتب عليها ويرجو ثوابا بعضها وما الفرق بين سهوها وعمدها وكيف يتوجه
المدح والذم لنا واي فائدة التكليف بالطاعات والعبادات ودعوة الانبياء بالايات والمعجز

واي تأثير للسعي والجهد واي توجيه للوعيد والوعد وما معنى الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم
احسن عملا الى ما لا يحصى من الآيات الدالة على ان مدار التكليف هو الاختيار وبناء الامر في
الاختيار على الاختيار فتأمل جريان الامر والنهي في مجاري القضاء والقدر وتفكر في سلسلة
الاسباب والعلل وتدبر في مثل هذه الامور حق التدبر وفي معاني الآيات بقوة التفكر ان كنت من
اهله وخلقت لاجله عسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده ليقضي الله امرا كان مفعولا
ويكشف لك ما يكشف لاهل الحق والراسخين في العلم وتخلص من الشرك الخفي فتبادر
عند التفطن بما تفطن به العرفاء الكاملون الى الاعتذار والتوبة والاستغفار واعلم
ان القضاء والقدر انما يوجبان ما يوجبان بتوسط اسباب وعلل مترتبة منتظمة بعضها فاعلات
مقتضيات كالمبادي العالية من الجواهر العقلية وبعضها مدبرات ومعدات كالنفوس
السماوية والحركات والاوضاع الفلكية والصور واللواحق والامور الجارية مجرى الاسباب
الاتفاقية التي هي لازمة من وجه وغيرها من الادراكات والارادات الانسانية والحركات
والسكنات الحيوانية وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية وعارضية اياها تخصص سببها
بحال دون حال وصورة دون صورة ترتيبا وانتظاما معلوما في القضاء السابق
فاجتماع تلك الامور من الاسباب والشرائط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عند وجودها
ذلك الامر المدبر المقتضى بالقدر وعند تخلف واحد منها او حصول مانع بقي وجوده في
حيز الامتناع ومع قطع النظر عن وجود جميع الاسباب وعدمه بقي في حيز الامكان فاذا كان
من جملة الاسباب خصوصا القريبة منها وجود هذا الشخص المكلف الانساني وادراكه وعلمه
وارادته وقبول التكليف تفكره وتخيله اللذين يختار بهما احد الطرفين الفعل والترك كان ذلك
الفعل اختياريا واجبا وقوعه بجميع تلك الامور السابقة علة تامة ممكنا بالنسبة الى بعض منها وجوده
لا ينافي امكانه وجوبه لا ينافي كونه بالاختيار كيف وانه ما وجب الا بعد كونه ممكنا وما وجب
عليه الا بعد كونه مختارا فمن نظر الى بعض الاسباب قاصرا نظره الى القريبة منها ورآها مؤثرة
بالاستقلال قال بالقدر والتفويض ولم يكن بهما واقعة فيقدر هنا الاستقلال الذي هو مفوض اليها
ولهذا قال عليه الصلوة والسلام القدرية مجوس هذه الامة بتثبيتهم مبدأين قادرين مستقلين كا
لمجوس

كالمجوس القائلين بيزدان واهرمن وان احدهما فاعل الخير والآخر فاعل الشر بالاستقلال ومن
نظر الى السبب الاول لكون تلك الاسباب والوسائط مستندة باسرها على الترتيب المعلوم في سلسلة
العلل والمعلولات الى الله تعالى استنادا واجبا وترتيبا معلوما على وفق القضاء والقدر وقطع النظر
عن الاسباب القريبة ونفى التأثير مطلقا في العلل والمعلولات وابطل حكمة الله في نظم الاسباب
ونقض نظمها على السببية قال بالجبر وخلق الافعال ولم يفرق بين افعال الاحياء وافعال الجمادات وكلا
الفريقين اعور وعبال الاعين احدى عينيه اما القدري فبالعين اليمنى التي هي النظر الاقوى الذي به يدرك
الحقائق واما الجبري فبالعين اليسرى الاضعف الذي به يدرك الظواهر واما من نظر حق النظر فانما
فله ذو عينين يبصر الحق باليمنى فيضيف الافعال اليه جزما بالذات ويبصر بالاخرى الخلق
بالبسرى فيثبت تأثيرهم في الافعال به سبحانه لا بالاستقلال وبالاعداد لا بالايجاد ويحقق
معنى قول الصادق لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين فهو صاحب ذلك هو الفضل الكبير واما
من اضاف الافعال الى الحق سبحانه بنظر التوحيد واسقاط الاضافات ومحو الاسباب والمسببات
لا بمعنى خلق الافعال فينا او خلق قدرة وارادة جديدتين فينا يتبين لقدرته وارادته عند
صدور الفعل عنا فهو الذي طوى بساط الكون وخلص عن مضيق البدن وخرج من البين
والاين وفنى بالعين لكنه بقي في المحو ولم يرجع الى الصحو وما زاغ بصره عن مشاهدة جمال وجه
سبحانه وجلاله فاضمحلت الكثرة في شهوده واحتجب المفصل عن وجوده وذلك الفوز
العظيم فاذا رجع الى الصحو بعد المحو ونظر الى التفصيل بعين الجمع غير محتجب برؤية الحق عن الخلق
ولا بالخلق عن الحق ولا شغل بوجود الصفات عن الذات ولا بالذات عن الصفات فهو الولي
الحق الصديق صاحب التمكين والتحقيق ينسب الافعال الى الله تعالى بالايجاد ولا يسلب عن
العباد بالاعداد كما في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تكميل وتوضيح فعلم
مما ذكر ان الدعوة والتكليف والارشاد والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد والتهديد
امور جعلها الله تعالى معدات للاشواق والدواعي الى الخيرات والطاعات واكتساب فضائل
وكمالات ومرجحات على اعمال الحسنة وعادات محمودة واخلاق جميلة وملكات فاضلة
مرضية نافعة في معاشنا ومعادنا لعيش بها حالنا في دنيانا ويحصل لنا سعادة عقبانا و

ومغفرات عن اصدار دواعي الشرور والقبائح والذنوب والرذائل بما يعتريها في العاجل ويشقى
بها في الآجل لم يحصل لنا شيء من الطرفين لا بتلك الاسباب بتقابيضها وكانت تلك الوسائط بطبايعها
معدة لنا واجبة باختيارنا كما قال عم لمن قال هل يغني الدواء والرقية من قدر الله قال
الدواء والرقية ايضا من قدر الله ولما قال عم جف القلم بما هو كائن قيل ففيم العمل فقال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له ولما سئل النبي عن امر فرغ منه او امر مستانف قال في امر فرغ منه
وفي امر مستانف ومن هنا يعلم ان كل ما يصدر عنا من الحركات والارادات والحسنات
والسيئات محفوظة مكتوبة علينا واجب صدوره عنا مع كونها باختيارنا كما قال تعالى وكل
شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه
في امام مبين حتى معرفات لسعادتنا وشقاوتنا في العقبى وليست بموجبة لما يكتب ما يصل
الينا من الرغائب والمكاره كما قال النبي صلعم واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم
ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء
كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وقال امير المؤمنين عم اعلموا علما يقينا
ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته اكثر مما سمي له
في الذكر الحكيم اي اللوح المحفوظ والشواهد في هذا الباب اكثر من ان تحصى واما الابتلاء
فهو لاظهار ما كتب علينا في القدر وابراز ما اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة بان يظهر
من الشواهد ويخرجها الى الفعل من الوقايع والحوادث والتكاليف الشاقة بحيث يترتب عليه
الثواب والعقاب فانها ثمرات ولوازم وتبعات وعوارض لامور موجودة فينا بالقوة فاذا
لم يصدر عنا مبادئها في الدنيا لم يخرج الى الفعل في العقبى كما ان المثوبات الاخروية ليست
بقصد وارادة جزافية واقعة من الحق المقدس عن النقص والشين والتفات حاصل من
العالي القياس الى السافل بل هي من باب الاستجرار ونظم الاسباب وترتيب المسببات على الحكمة
المدبر العليم وارادة الصانع الحكيم الذي له الملك والملكوت وبيده التامة الفاعلية
يفيض الاشياء ويخلق ما يشاء من غير مصلحة زائدة وارادة متجددة فكذلك العقوبات
الالهية والتعذيبات الاخروية ليست من باب الانتقام من فاعل يحدث منه انفعال غضبي

ينتقم

ينتقم لاجل التشفي والتخلص عن حرقة الغضب في سورة اللهب بل النفس الشقية العاصية انما هي حاملة
حطب نار غضبها بسوء افعالها ورداءة اخلاقها كمن به مرض ادت نهمته السابقة الى الحمى الشديدة
والاوجاع والآلام على سبيل اللزوم والانجرار لا التقصد والمجازاة وكيف يحصل الاسباب المعدة لها
لشيء ولا يحصل آثارها وتبعاتها التي هي عوارضها ولوازمها والجميع معلومة لله تعالى قبل وجودها
ومعدومة ولا يعزب عنه من مثقال ذرة في ذاته وكان صفاته تصل اعتبارا بعدد الاشياء وتعاقبها في مرتبة
حضورها وشهودها الا التجدد الذي هو اخس مراتب علمه تعالى بالاشياء فقوله تعالى ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين واشباهها معناه نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث
يترتب عليها الجزاء واما قبل ذلك الابتلاء فانا نعلم مستعدين للمجاهدة والصبر صالحين لها
بعدهم بان ربحت وقلنا اذا كانت الاسباب في المقدمات وبالجملة الفضائل والرذائل في
الطاعات والمعاصي والخيرات والشرور وكلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا فيجوز
بسائر ربوطة بها فانما فائدتنا الا نتساوى في الفضيلة والنقص ولا استعداد لنيل الخيرات والشرور
ولم نتشاكل في الطاعات والمعاصي ولا نتماثل وكيف نحترز عما يجب الاحتراز عنها فنحوم حولها
ونتبعها وباي شيء تتفضل السعيد على الشقي وقد نشاء بايات مجاهد لمن جهد الله فينا وقد
قال تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فيجيبك بالحال الحال
مثل ما قال الشاعر هون على نفسك ما نشتهي تنطق ؛ فانما غلطات العين احلام ؛ واسمع منا
تنبيك من غفلاتك ؛ وتكفيك وراء الترهات ؛ واعلم ان الاعيان والماهيات متنوعة
والصفات والاستعدادات متفقة والارواح الانسانية بحسب الفطرة الاولى مختلفة في الصفا
والكدورة والضعف والقوة مترتبة في درجات القرب والبعد عن الله والمواد السفلية بازائها
بحسب الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها متباينة في القرب والبعد عن الاعتدال
الحقيقي فقابلية المتعلق بها من الارواح متفاوتة وقد قدر بازاء كل روح ما يناسبه
من المواد بحسب الفيض الاقدس فتحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم و
الاخلاق والصفات والكمالات موافق لبعض الاعمال والصناعات دون بعض على ما قدر لها
في العناية الاولى والقضاء السابق كما قال عم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وتفاوت

العقول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبايع والغرايز فيفرع بعضهم بطبعه
الى ما ينفر عنه الاخر ويستحسن احدهم هوا ما يستقبحه الثاني والعناية الالهية تقتضي نظام الوجود
على احسن ما يمكن ويتصور على ان الموجودات مظاهر لصفاته العليا ومجالي لاسمائه الحسنى وهي مختلفة
في المفهوم متباعدة في المعنى مع احديته فانه الجهة وبساطة حقيقته المقدسة فكل واحد من
الممكنات مبدؤه ومعاده الى اسم من الاسماء الالهية فهو محكوم بحكمه ملايم لما يتوجه اليه مناسب لما يبدأ
منه وكل ميسر لما خلق له سواء علينا اجزعنا ام صبرنا فالناس معجبين كيف ولو تساوت الاشياء في
الاستعدادات لفات الحكمة وبطل النظام وارتفع الصلاح عن العالم ولبقوا كلهم طبقة واحدة
على حالة واحدة ومرتبة واحدة لا ينتظم امورهم ولبقيت في كتم العدم المراتب الباقية مع امكان
وجودها لكان حيفا عليها وجود الاعداد لا ينقطع وبقي الاحتياج الى الهاوف العالم مع فقدها فان
العدل تسوية المواد والاشباح بحسب الصور والارواح وتعديل الامزجة بحسب الانواع و
تنويعها على الاصناف والاشخاص وتوجيه الافراد من اجناس الى ما يناسبها من الامور و
الاشغال فمن اساء عمله واخطا في اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وكثافة طبعه وبعد
استعداده وكان اهلا للشقاوة في معاده ينادي على لسان الحال انا الت مصلاعيدك اوكت يداك وفوك
نفخ ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين واختلاف الغرايز والشمايل لاختلاف الاشكال والطبايع واما انه يجب
السبيل الى الاحتراز عما يجب الاحتراز عنه فان شرف النفس بحسب الجوهر وطيب الاصل فلما هو شي
حسن بما البنيخ نظرته ولم يعتد به من الفواحش والرذايل لعدم المناسبة واذا هو نادر الغلبة
صفة من صفات نفسه وقوا استيلا هواه وهيجان شهوة او غضب ارتدع بزجر باقل
زاجر من عقله وهداه وربما يعود ويتمثل يصدر الفعل بامضاء الهيكل النفساني الى عقله و
تقواه من عزمه على الفعل كما قال الله تعالى في يوسف ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه فان الهم المنسوب الى يوسف الصديق على تقدير الوقوع انما هو لانفصال العلي لولا ان راى
لسبق حقوق الغريزة الطبيعية بالميل النفساني من غير طلب استدعا واذا كان دون ذلك في صفاء
الفطرة والاستعداد فلا يزجر بزاجر من الشرع والسياسة والناصح والادب يجد نفرة وحشة

جوهره وردائة طبعه وكل يتشان الى ما يفعله بطبعه ويحبه ويستحسنه وان كان الاخر يعلم ان
ضده الجيد واحسن كحب الزنجي ولده مع قبحه دون اولاد الترك مع علمه بحسنه وكل من القسمين
مرتبة خالصة من الاخر وطبقات متفاوتة متفاضلة يكون في كل منها نصيب من الاخر المقابل له
ويكون النجاة ومقابلها بحسب الغلبة لصفات الخير على صفات الشر وبالعكس وبالجملة فاعظم السعادات
لاجود الاستعدادات واكمل الكمالات لاشرف الارواح الذي هو قطب الحقيقي والحقيقة المحمدية
وهو القطب المطلق لا القطب الاضافي بحسب كل وقت وزمان ككبار الانبيا سابقا وسائر
الاوليا لاحقا سيما الاولاد المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين كما قال الله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله الى قوله ورفع بعضهم درجات فوقها درجة بعضها من
بعض فلة المرتبة العظمى في الاستعداد والسعادة الكبرى في المعاد المعبر عنها باعلى عليين
وكلما انقص الاستعداد نقصت السعادة وبعقر الفرض بينها وبين الشقاوة القصوى المعبر عنها
باسفل سافلين فلكل صعود كدر ولكل صفا مكدر ويقابل كل نور ظلمة وبازاء كل حسن قبح و
السعادة قسمان دنيوية واخروية والدنيوية قسمان بدنية كالصحة والسلامة ووفور القوة
والشهامة وخارجية كرتبها اسباب المعاش وحصول ما يحتاج اليه من المال والاخروية
ايضا قسمان علمية كالمعارف والحقايق وعملية كالطاعات والاولى جنة المقربين والثانية
جنة اصحاب اليمين وكما ان الحسن والجمال من عوارض القسم الاول من الدنيوية فالفضايل وا
لاخلاق الجميلة من العوارض القسم الاول من الاخروية وبتعدد اقسام الشقاوة بازائها قيل
لا يرى المومنين صفا العالم بوصفه فيقبل صفا الجاهل قال قد خلقت السعادة والشقاوة
بحسب العلم والجهل ذاتيان ان الاول الابد الاعلد بات ذاتها ... بحسب الاعمال الحسنة والسيئة يترتب
عليها المكافات والمجازات ويتفق بحسبها المثوبات والعقوبات كقوله تعالى جزا بما كانوا يكسبون
ولا يكون هذه الشقاوة مخلدة الا ما شاء الله ورقة تركب بعضها مع بعض وينفرد الاخر الكرام
السيات واكثرها يتبع الجهل واغلب الحسنات واعظمها يتبع العلم اللهم اجعلنا من السعداء المشهور
ولا تجعلنا من الاشقيا الى يوم الدين ولقد اشبعنا في الكلام وقلنا سطرا من كتب الكرام
بحر التاسع هذا المقام ولقد تعرضنا اكثر ما نقلنا من كتب الكرام وقد نقحنا ما من الخطا ما

بها ثم الزام تركنا ها هنا سبيل محافظة شنعة اللئام الذين ارادوا ان يرجوا الى كنه المعارف وتعليم
الكلام الموضوع لحراسة عقائد العوام من افساد المجادلين والخصام وقطاع طريق النجاة و
الاسلام وقد ذكرنا كثيرا من المكاشفات المكررة المتعلقة بهذا المقصد في كتبنا ورسائلنا
سيما فيما يتعلق بعذاب المجاهدين والكافرين من تبدا وبقائهم في الجحيم مخلدا وبما ذكرنا كفاية
كفاية لمن تيسر له ولا يضيع اكثر زمنه لمن تعسر عليه فليرجع من اراد الوقوف والاطلاع اليه
وبالله العياذ من التقصير وبيده تيسر كل عسير قوله عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد قرا نافع وابن عامر ان الله الغني وهو في مصحف
اهل المدينة والشام كذلك والباقون باثبات هو لوجوده في مصاحفهم والضمير ينبغي ان
يكون فصلا لا مبتدا لان حذفه افضل اسهل لا موضع له من الاعراب بخلاف المبتدا الا
ترى انه قد يحذف كل البخل بالمعنى وقرا بالبخل وقوله الذين بدل من قوله كل مختال فخور
على الناس واذا رزقهم الله مالا وحظا من الدنيا فلابتهاجهم به والتذاذهم منه
وعزته لديهم وعظمه في اعينهم لاجل قصور عقلهم ونقص فطرتهم وخساسة جوهرهم يريدونه
عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم ذلك المعنى بل يامرون الناس بالبخل ويحثونهم عليه ويرغبونهم
في الامساك وينهون عن الجود وذلك كله من نتائج فرحهم به وبطرهم عند اصابته والفرح بالحطام
الدنية الدنياوية من لوازم قصور الذات وخسة الجوهر وقلة العقل حيث لم ينبه بدنوها
وفنائها ولما كان الابتهاج بمتاع الحيوة الدنيا والبخل عن اداء الحقوق الواجبة وغير ذلك
من ذمايم الاخلاق ناشية عن التوجه الى الجهة السافلة المستلزمة للاعراض عن الحق والتولي
عن قبول اوامره كالانفاق ونواهيه كالبخل اشار الى انه غني عن العباد وانفاقهم محمود في
ذاته لا يقدح في كمال ذاته وجوده وجود الاعراض عن شكره مكاشفة ان في قوله هو الغني
من التهديد ما لا يخفى للاشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة تعود الى المنفق فاذا فاتت عنه ما هو
المصلح لذاته المزكي له عن ذمايم الاخلاق كالبخل وحب الدنيا الذي هو راس كل خطيئة
كانت عاقبته السوء وليس في بخل العبد وامساكه ضرر على الله تعالى بل الامر بالانفاق والتاكيد
فيه انما وقع من الله تعالى لغاية رحمته على عباده حيث هداهم طريق التخلص عن عذاب الاخلاق

الله

الله يمنع الدنيا والاخرة مع كونه غنيا عن العالمين فكيف من العبد وانفاقه وقد بالغ في الحث
على الانفاق حتى طلب الصدقات منهم بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال و
ياخذ الصدقات وقد ضلت طائفة من الجهلة ولبعد طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن انفاقنا
وغني ان عن يستقرض فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا ولو شاء الله لاطعم
المساكين لا اطعمهم فلا حاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار بقوله و
اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
وقال الله تعالى اخبارا عنهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم و
كيف تعبدهم منها ان من اذا شاء هلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل من اوتي كرادم
دظلم نفسه مد دسنه ومن المبين ملعون ابيسه رب القران والقران يلعنه ورب رجل نفعته
معصيته بكونه فقيهه وتعبيته اسباب هلاكه ورب رجل جاهل منه يكون تحذره وحزنه على
قصوره ومعصيانه سببا للنجاة فيصل به كثيرا ويضل به كثيرا فهولاء لما ظنوا انهم استغنوا عن
المساكين ولاجل الله تحيرت عقولهم وضلت افهامهم فقالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله
في اموالنا انفقنا او امسكنا ولم يعلموا ان المسكين الاسعد لما الت به نيل او نقل حب البخل في
الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يخرج الدم من عروقك ليخرج العلة المهلكة
من باطنك ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكاة لها عن خباثات الصفات وغسالة
لنفوسهم لان بالمال يتمكن الانسان من المعاصي فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات واهل بيته
كانه كسب الحجام وسماه اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها فهذا هو القول
الكلي والسبب العقلي في وجوب الانفاق وقد سبق ان الاعمال مؤثرات في القلب والقلب يحجب
باثرها فيستعد لما لقبول الهداية بنور المعرفة والالهام ولما لقبول الغواية وظلمة الجهل و
الوسواس ولا يبعد ان يكون قوله ليبين لهم طعام الاسم عنا لي ما يا كله الا الخاطئون اشارة
الى عاقبة خاطئ الزكاة ومتولي الاوقات الذين ياكلون حقوق المساكين عن استحلال
ولو اضطر اليه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله

بالغيب ان الله قوي عزيز اقسم سبحانه ارسل الرسل المبعوثين منه وهم الملائكة والانبيا المقتبسون
التسليم بالحجج والمعجزات الباهرة وانزل تعليم الوحي والميزان والادلة الهداية الى العلوم والتعليمات
والتلقي للارشاد الى الاعمال والمعاملات والحقه بعقبه بقوله ليقوم الناس بالقسط اي يقوم معاملتهم
بالعدل روي ان جبريل عم نزل بالميزان فدفعه الى نوح عم وقال مر قومك يزنوا به وعن
ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان معناه وانزلنا معهم من السما الميزان ذا الكفتين
يوزن به وهذه مستر وعن قتاده ومقاتل بن حيان معناه وانزلنا صفة الميزان اي امرنا
الناس بالعدل كقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وانزلنا الحديد الذي يتخذ
منه الات الحرب للذب عن بيضة الاسلام ولباس اهل الفساد ومنفعة للناس ان ما
من صنعة ينتفع بها الناس دينا ودنيا الا والحديد الته كالكتابة والزراعة وعن مجاهد وعن
ابن عمر عن رسول الله صلعم ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد
والنار والماء والملح ومعنى الانزال عند اهل المعنى الانشاء منها الان الحوادث انما تخلق
من الله تعالى بتوسط الاسباب الفاعلية السماوية والمواد القابلة الارضية فمعنى قوله انزلنا
الحديد انشاناه واحدثناه كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وعلى هذا المعنى ايضا
يحمل امثال قوله وانزلنا من السما ماء فان السموات تستحيل ان تكون وعاء للما ولا اصطبلا
للدواب والى شبه هذا ذهب مقاتل فقال معناه بامرنا كان الحديد وقال قطرب معنى
انزلناه هيانا من النزول وهو ما نهيا للضيف اي انعمنا بالحديد وهيانا لكم وقيل نزل ادم
من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة
وروي معه المر والمسحاة وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط
اي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير
السلاح ويحتمل ان يكون معطوفا على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا واللام
صلة لمحذوف انا انزلنا لله وقوله بالغيب حال من المستكن في ينصره اي ينصره ورسله غايبا عنهم سيعلم
مجردا العلم الواقع بالنظر والاستدلال من غير مشاهدة حسية كما قال ابن عباس ينصرونه ولا
يبصرونه ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز منيع لا يفتقر الى نصرة وانما كلفهم الجهاد

لينتفعوا به في العاجل ويستوجبوا الثواب بالامتثال الامر به في الاجل ويحصلوا الرحمة في الدنيا
والمغفرة في الاخرة **مكاشفة** هذه الاية كظاهرها مشتملة على اسرار الحقايق فيه من
علم المبدا والمعاد وتنبيهات على غرايب شريفة من معرفة سلوك طريق الاخرة والخلاص
ينبغي التنبيه عليها الاولى اشارة الى كيفية ارسال الرسل وانزال الكتب وبيانه ان سعادة
الانسان منوطة بامرين احدهما الاطلاع على الحقايق والمعقولات والعلوم الكلية و
ثانيها الاتصاف بالصفات الحسنات والتنزه عن القيود والمضايق المظلمات بالاراء العلمية
وهذه الكمالات مما يحصلوا الانسان في اول الحدوث لكونه ضعيفا الخلقة كما اشار اليه بقوله خلق
الانسان ضعيفا بل انما يفيض عليه من الله تعالى بتوسط ملائكته العلوية وليس كل واحد من
الناس ممن يتيسر له التفطن بالكمالات والاتصال بعالم العلويات الا من ايد بروح قدسي
ويتصل بفيض علوي ويعلم الاشيا بالالهام غيبي ومدد سماوي وهذا الانسان هو
النبي او الولي وما يتصل بحسب صفا باطنه واشراق روحه من الملك الملقي اليه المعارف هو
الوحي للانبيا او الالهام للاوليا ويستعلم الفرق بينهما فلابد لاحدا بد للخلق وارشادهم الى
طريق النجاة وايصالهم الى المعاد من احد من نبي يستند الى الوحي او الالهام لا يؤدي ذلك الى غير
النهاية فلا بد من الانتها الى من ياخذ العلوم والكمالات من معدن اللاهوت بلا تعلم
او تقليد ولا تتوهمن ان النبي ياخذ العلوم من الملك الموحى اليه على سبيل التقليد بل هي اتيات
العلم التقليدي ليس علما في الحقيقة فان العلم هو اليقين وهو لا يحصل الا مع النظر بالمبادي
والاسباب بسبب اتصال النفس القدسية بالملكة واخذها العلوم بان العقل المطيع لو لاه
احتجابه بالبدن وقواه وتعلقه بالدنيا واخلاده الى الارض متصل بالمبادي وهو المسمى بروح
القدس المعلم للانبيا وجبريل على لغة سريانيين فاذا انفكت بركات الانفس النفوس
العلية والصفات الكاملة التي هي اذ لا مناسبة بين المجردات الا المادة ولا منع ولا تقتير ولا
بخل في الاجادة والافاضة لان هذه الاشيا من خواص عالم الاجسام لتضايقها وتمانعها
فلذلك الارتفاع عند تلك بطالع المغيبات ومن جرب من نفسه صحة منامات والتولد انما
هو لخناس الروح عن الظاهر الى الباطن لا الاستعداد يكون للنفس بسببه الارتفاع عن هذا

عن هذا العالم بقوة الاتصال بالملكوت الاعلى يتلقى منه المعارف الكلية والحقايق العقلية
كما يتلقى اكثر النفوس في بعض الاحايين من الملكوت الاوسط شيا من المغيبات الزمانية الادنى
وتنبع المكاشفات العقلية العلوية عالم العقول والملائكة العقلية ومعدن المكاشفات
الصورية الحسية عالم النفوس الفلكية والملائكة العملية فالكاشفة العقلية احد الاجزا
النبوة وهو جز مشترك بين الانبيا والاوليا وللنبوة جزان يختصان احدهما ان يكون
النبي مامورا من الله باصلاح النوع والثاني طاعة الهيولى العنصرية له بل طاعة هيولى
الافلاك بالشق والرتق لسيدهم وخاتمهم لظهور المعجزات وخوارق العادات وتحقيق ذلك
ان الانسان ملتئم من اجزا ثلثة من عوالم ثلثة هي مبادي ادراكات ثلثة التعقل والتخيل
والاحساس فبكل قوة من هذه القوى يضرب في عالم من العوالم الثلثة الدنيا والاخرة
فما فوقها الى عالم الوحدة وقد ثبت ان كل ادراك هو ضرب من الوجود فكما لكل واحد من
هذه القوى يوجب التصرف في عالم من تلك العوالم والنبي هو الانسان الذي يقوى فيه
ويكمل ويشتد جميع هذه القوى الثلث فبالقوة العاقلة العاملة يتصل بالقدسيين ويجاور
المقربين وينخرط في سلكهم بل يفوق عليهم عند اتصاله بالحق وفنائه عن الخلق والملكات
جبلية له كما اخبر عن نفسه بقوله لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل
وبالقوة المصورة يشاهد الاشباح المثالية والاشخاص الغيبية ويتلقى الاخبار الجزوية
منهم ويطلع بهم على الحوادث الاتية والماضية وبالقوة الحساسة المشاركة للقوة المحركة يتسلط
على الاجرام البشرية وينفعل عنه المواد ويخضع له القوى والطبايع الجرمانية تسلط العالي
على السافل بخضوع السافل للعالي فالدرجة الكاملة من الانسان بحسب نشاته الجامعة لجميع
العوالم هي التي يكون الانسان بها مطاعا عند الله مويدا منه بتاييد تام والهام متنوع وامداد
ملكي واعانة فلكية فيجمعها قوى الثلث كلها فيستحق بها خلافة الله ورياسة الخلق من قبله
فعلم مما ذكرنا ان اصول المعجزات والكرامات هي كمالات ثلثة تختص بقوى ثلث الخاصية الاولى
كمال القوة العاقلة وهو ان تصفو عقل الانسان صفاء يكون شديد الشبه بالملائكة المقربين
المسماة عند بعضهم بالعقول الفعالة فيتصل بهم من غير كثير فكر وتعمل حتى يفيض عليه العلوم اللدنية

من غير توسط

من غير توسط تعليم بشري بل يكاد زيت نفسه الناطقة اشرقت بنور ربها ورويت بعقله المنفعل يضي
لغاية الاستعداد بنور العقل الفعال الذي ليس هو بخارج عن كمال ذاته وان لم تمسسه نار ا
لتعليم البشري لكن عند تزيد القابلية للمعقول عن ذات المقبول من العقول صارت نورا
على نور يهدي الله لنوره من يشا والخاصية الثانية كمال القوة المصورة وهو كونها في الشدة
والقوة بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب كما قد يشاهد النايم في نومه وذلك لان قوى
النفس وان كانت متجاذبة متنازعة كلما انجذب النفس الى بعضها كالظواهر انقطعت عن
الاخرى كالبواطن لكن اذا لم يكن ضعيفة منفعلة عن الجوانب بل كانت قوية جدا متعالية
عنها وسعة للجانبين بحفظ الجميع فعند استعمال الحواس الظاهرة يستعمل الباطنة ويشاهد
المغيبات في اليقظة فيدرك المعقولات والكليات عن الروابط العقلية ويشاهد الصور الجميلة
والاصوات الحسنة المنظومة على الوجه الجزئي في مقام هو رتبة بالافق عن عالمين من العوالم المتوسطة
البرزخية الباطنة ولنعلم ان العوالم متطابقة متحاكية فكل ما يدركه هذا الانسان من عالم
العقل يقع له حكاية منه في عالم الاشباه الباطنة فذات العقل المنبع للمعارف عليه يقع
له صورة حسية ومثلها لكل امر منضبط مطابق لتلك المعاني مطابقة للبدن والروح واللفظ
والمعنى فيكون الصورة الحاكية للجوهر الشريف العقلي هو الملك الذي يراه النبي والولي النبي على
هو بنحو طريق الحكاية والصورة واما الولي والنبي بما هو ولي فعلى طريق التجرد الصرف وهذا
افضل اجزا النبوة لكن النبي لكمال القوة البدنية والعقلية جميعا يدرك الملك الموحي
على الوجهين بخلاف غيره من الاوليا وكذا الحكم في المعارف التي تصل الى النبي معنى وحكاية
والى الولي معنى فقط فالشخص الملقي للمعارف على الوجه المذكور هو الملك الموحي باذن الله
والكلام النازل منه وفي غاية الفصاحة هو كلام الله والوحي فعلم مما ذكر ان للملائكة ذواتا حقيقية
امرية وذواتا بحسب القياس الينا من جهة القوة المصورة التي شانها حكاية المعقولات بحكاية
صحيحة طبيعية وكذا للقران حقيقة معقولة لا يطلع عليها احد الا من شا الله ثم حقيقة با
لقياس الى مداركنا وحواسنا كما ان للحق تعالى ذاتا احدية لا يكتنهها احد ثم ذاتا متصفة بالاسما
والاستوا على العرش فلينظر كيف لطف الله ثم عامله في نزوله من عرش جلاله الى حجر افهام

انهام خلقه وفي ايضا الكلام الى افهام خلقه وانظر كيف يجلب بهم اياه في حروف واصوات هي صفات
البشر ولولا استتار كنه جمال الكلام بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما
من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا ان ثبت الله تعالى موسى على نبينا وعليه السلام لما اطاق سماع كلامه
كما لم يطق الجبل بادي تجليه حيث صار دكا وقد عبر بعض العارفين عن هذا فقال ان كل حرف
من كلام الله تعالى في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه لما
اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله لا بقوته وطاقته ولكن الله
طوقه ذلك واستعمله بقوله كل حرف من كلام الله اعظم من كذا المراد منه ان كل معنى من
المعاني العقلية بحيث لا يمكن حمله لقوى جسمانية لما ثبت من ان المعنى العقلي لا يحله المحل الجسماني و
الملائكة الذين لا يطيقون حمل المعاني العقلية الكلية هم الملائكة الجسمانيون يعني ان المعاني
الروحانية ما لم تتنزل بكسوة الهيئات الجزئية والاصوات والالفاظ لا يحملها الطبايع الجسمانية والمدارك
الخيالية الانطباعية والمراد باسرافيل هو انما ملك العقل الفعال المفيض لفلك الشمس التي هي بمنزلة
قلب العالم كما مر او الملك النفساني المدبر لها والظاهر انه العقل المجرد لا يحمل المعاني الكلية الا با
عانة الله تعالى عليها الخاصية الثانية قوة في نفس الانساني من جهة جزئها العملي وقواها التحريكية
ليؤثر في هيولي العالم بازالة صورة ونزعها عن المادة وبايجادها وكسوتها اياها فيؤثر في استحالة
الهواء الى الغيم وحدوث الامطار وحصول الطوفانات واستهلاك امة خرجت وعتت عن
امر ربها ورسله واستشفاء المرضى واستسقاء العطشاء وخضوع الحيوانات وهذا ليس بمستحيل
لما تقدم من ان الاجسام مطيعة للمجردات بل هي ظلالها ومعكوس منها وكلما ازدادت النفوس تجردا وتشبها
بالمبادي القصوى ازدادت قوة تاثيرها في ما دونها وانا اذا رأينا بمجرد التصور والتوهم يحدث هذه
التغيرات والانفعالات في هيولي البدن وليس ذلك الا لكون النفس ملاصقة بالبدن منطبعة
فيه بل لعلاقة جوهرية وارتباط عقلي وعلاقة شوقية لها به فلا تتعجب من نفس شريفة قوية تؤثر في
بدن العنصر في هيولي العالم مثل هذا التاثير لاجل مزيد قوة شوقية واهتزاز علوي ومحبة
الهية لها وشفقة على خلق الله شفقة الوالد لولده والام لولدها مؤثرة نفسه في اصلاحها
واصلاح ما يضرها وما يحتاج اليه هذا وكما ان الخاصية الثانية توجد بوجه ضعيف ولا تحقق

في نفوس

في نفوس الاشرار فكذا هذه الخاصية توجد حتى منها في بعض النفوس القوية من غير ان الله ولا معرفة
بل لشدة قوة التاثير فقد يتعدى تاثيرها في بدن اخر حتى يهلك الروح بالتوهم ويعبر عن هذا بالـ
العين كما روي عنه عم ان ما العين يدخل الرجل القبر والجمل القدر وقال ايضا العين حق فاذا
كان هذا النحو من التاثير يوجد من النفس الخبيثة فيمكن في حق الاشرار فما ظنك بنفوس عظيمة
شديدة القوة شديدة البراءة عن المواد كيف لا يتعدى تاثيرها عن بدنها في ثمانها الصغير الى
عزمه فتؤثر في هيولي العالم تاثيرها في بدنه ويعبر عن مثل هذا بالكرامة والمعجزة عند الناس
والخاصية الاولى افضل اجزاء النبوة عند الخواص ولهذا كان اعظم معجزات نبينا ص القرآن
وهو كما ترى مشتمل على المعارف الالهية وحقائق المبدء والمعاد وسلوك الطريق الى الله تعالى
وبيان احوال الواصلين اليه تعالى على وجه عجز عن دركها الا الاقلون من الراسخين من امته و
فيه الاخبار عن المغيبات والاخبار الخارقة للعادات مع ان فيه ايضا من المعجزات العقلية
التي يعلمها اذ هان العقلا عن دركها وخرست السن الفصحا اصقعها بهذا ما ابديناه من معنى ارسال
الرسل وكيفية انزال الكتب والغاية فالاشارة الى تكميل القوة النظرية وتعديل القوة العملية
المستفادين من لفظي الكتاب والميزان والاشارة منها في الانزال والتعديل لها بقيام الناس بالقسط
وبيان ذلك ان الانسان مجمع الاجساد والامكنة وهو حقيقة ملكوتية وكلمة روحانية مضافة
الى الحق ناصية امره من غير وساطة المواد واستعدادها الا بالعرض كما حققناه في موضعه
وهي المشار اليه بقولنا انا وهي الجوهر الباقي منها الى يوم الحشر والحساب مع اضمحلال الاجزاء
البدنية وهي الحقوق الحرية عند القيمة بالبدن الاخروي لما ان الجسد البدن بل عينه لان
صورة البدن وتشخصه انما هي بالنفس وهي مما بقاء الكون وان تبدلت الاعضاء بالاستحالات
الحاصلة من الحرارة الغريزية الطبيعية والغريزية الداخلة والمحيطة بالبدن الخارجية وبالجملة
حقيقة الانسان ليست الا ذاته المجردة وكل واحد انما يكون هلاكها في نقصها وضعفها اما بتجاوزه
عن حدها ونقصانه هذا في كمالها وقوتها وصحتها بمجاوزة اشباهها وكل شيء كمال الخاص فكمال القوة الشهوية
نيل المشتهيات والالتذاذ بالحسد وكمال القوة الغضبية الظفر والانتقام وللنفس القوة الحسية ادراك
المحسوسات وكمال القوة المتخيلة بصورة التخيلات وكمال الواهمة الظنون والرجاء وللنفس الانسانية

كالعجماوات فبان احدهما عاقلة نظرية متوجهة الى الحق والاخرى عاملة محركة للبدن متوجهة اليه
كمال النفس بحسب قوتها النظرية وبالجملة معرفة حقايق الاشياء وكلياتها والمبادي العقلية في الوجود
وعالمه وبالجملة معرفة الحق الاول بالذات من صفات جماله وعظمة جلاله وكيفية صدور افعاله عنه
ورجوعها اليه ومعرفة كون غاية الاشياء الذي يتوجه اليه الموجودات في بقائها كما يبتدى
منه وجودها الى غير ذلك من المعارف الحقة التي كانت مستعدة لها اولا عند كونها هيولانية
الذات ثم تحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها على نحو البرهان الدائم اليقيني ثم تصير
مشاهدة اياها فائضة من الحق الاول فتصير منفصلة بها منخرطة في سلكها مستغرقة في شهود
سبحات جلاله بحيث لا يلتفت الى ذاتها العارفة به ثم فضلا عن غيرها مثل الاشتغال التي
المعروف في غفلتها عن كل شيء حتى عن ذاتها وعن عرفانها لربها فالنفس الاول هو العلم والثاني
هو العين والثالث هو الحق فهذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية ولا شبهة في انه لا يحصل هذا
الكمال الا بسبق معرفة الحقايق والعلم بالمعقولات ولا شبهة في ان كتاب الله مشتمل على جلها
بل كلها اولا ثانيا فان حصول المعارف والعلوم متوقف على رسالة الرسول ورسالته
انما تحصل بانزال القرآن ثم وانزلنا معهم الكتاب اشارة الى ما يستكمل به القوة النظرية واما
كمال النفس بحسب القوة العملية التي يكون الميزان اشارة اليه فبيانه ان النفس لما كانت في
اول نشاتها ناقصة ضعيفة القوام بل كانت محتاجة في استكمالها بالكمال الذي هي مستعدة له الى
مادة بدنية تقبض وتستفيد بواسطة الالات الجسمانية ومشاعرها الادراكية مبادي ادراكها
التصورية والتصديقية من الاوليات الحاصلة من المشاركات والمباينات بين ما يقع الاحساس
بها من الجزئيات الجسمانية فتكون النفس في اول الاستكمال محتاجة الى البدن وقواه على الوجه
المذكور ولذلك لا يمكن فقدها لما عرفت ثم ان البدن جسم مركب من عناصر متضادة فلا يجب
كل منها اصل فيجب للاجزاء منها في مدة بقائها وهو في اول التكوين قليل المقدار صغير لكون
كل بدن حاصلا من مثله في النوع بفضلة تحصل منه وفضلة لا يمكن ان تساويه فلهذا اللوازم
ولوجه اخر مذكور في مقامه لابد ان يكون في اول الحداثة قليل المقدار غير تام الخلقة و
يكون تمامه بورود الجسم الشبيه به قليلا قليلا في مدة نموه وهو الغذاء وطلبه انما يكون

بالشهوة

بالشهوة والشهوة لابد لها من ادراك سابق لان كل جسم لا يصلح للتغذي به ربما يكون سما قاتلا
او ممرضا فيحتاج الانسان الى قوة يدرك الصالح عن المفسد في الاجسام الغذائية ولا بد ان
يكون مدركا بادراك جزئي من الحواس الظاهرة لاجل التميز والباطنة لاجل الحفظ والذكر
اذ ربما لا يكون في كل جسم ما يشاهد كونه ملائما او منافيا فكل وقت فثبت ان استكمال
النفس متوقف على بقاء البدن مدة وبقاء البدن متوقف على قوى ثلث لامور ثلثة قوة
العلم للتميز بين الصالح والمفسد وقوة الغضب لدفع المفسدة وقوة الشهوة لجلب المنفعة و
مباشرة النفس لهذه القوى الثلث من باب الضرورة كما علمت والا لكانت النفس لتجردها عنها ومن
ابتلى بصحبة الاجساد من الاضداد فما دام اشتغالها بها وعدم الخلاص عنها فالتوسط بين
الاضداد بمنزلة الخلو عنها فان الماء الفاتر بمنزلة الخالي عن الحرارة والبرودة فكمال النفس
عند اشتغالها بالقوى الثلث واستعمالها اياها توسطها بين الافراط والتفريط فيها لان
لا ينفعل عنها ولا يتاذى عنها في مباديها بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها الا الانغمار
عنها وهي انما يحصل بالتوسط فيها اما قوة العلم اي استعمال الحواس الظاهرة والباطنة في
امور الدنيا فتوسطها واعتدالها يسمى الحكمة وهي غير الحكمة بمعنى العلم العقلي بحقايق الاشياء با
القوة النظرية فانه كلما كان اكثر كان افضل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما افراط هذه
القوة فيسمى الجربزة وهي المكر والخديعة وتفريطها وهي البلاهة والسفاهة وكلا الطرفين
مذمومان واما قوة الغضب فتوسطها واعتدالها الشجاعة وهي فضيلة كالجود وكلا جانبيها
وهما التهور والجبن رذيلتان كما ان كلا طرفي الجود كالبخل والاسراف مذمومان لقوله تعالى ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما واما قوة الشهوة فتوسطها واعتدالها هو العفة وطرفاها
وهما الشره والخمود رذيلتان ومن تركب هذه القوى الثلث وامتزاج اوساطها الثلثة
يحصل قوة اخرى لها توسط هي الفضيلة المعبر عنها بالعدالة ولها طرفان مذمومان فافراطها
الظلم وتفريطها الانظلام فهذه الصفات الاربع اصول الفضايل العملية واطرافها الثمانية هي
الرذايل ومجموعها حسن الخلق اذا صارت ملكة يتوطنها حالات الانسان من مكارم الاخلاق

الموجب لسخط الباري وغضب الخلائق والتعذيب بالاحتراق بالجحيم لاجل الانحراف عن العدالة المعبر عنها
بالصراط المستقيم فخير الامور في هذا العالم اوسطها كما ان النفس للطريق المستقيم ليست مقصودا بل
جوازها يؤدي الى المقصود فكذلك حسن الخلق ليس كمالا بل الاتصاف به يورث الخلاص من الجحيم
انما الكمال الحقيقي والمقصود الاصلي هو معرفة الحق الاول وما يليه من الصفات الجمالية و
الافعال الالهية التي يكمل بها النفس ويعبر بمشاهدة العين السليمة من الامراض الباطنة فا
لميزان الذي يقوم به الناس بالقسط ويعتدل به نفوسهم ويحسن خلقهم هو اشارة الى جامع
الاخلاق الحسنة وقد روي ان النبي صلعم قال اثقل ما يوزن في الميزان خلق حسن وقال بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق وقيل ما الدين فقال الخلق الحسن وقال حسن الخلق خلق الله وقال
افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا واليه الاشارة في قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف
والفم والخد ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذلك للنفس التي هي الانسان
وجه الى الخلق ووجه الى الحق هو جهة وحدتها وباطنها ووجهها الذي يلي الخلق
جهة تركيبها من الاخلاق وللاخلاق اركان واصول فلا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق و
لهذا كان في الادعية النبوية اللهم حسن خلقي بحسن الوجه العقلي التدبيري واللهم ارني الاشيا
كما هي بحسن الوجه العقلي الشهودي والعدالة عبارة عن هيئة يحصل بها حسن وجه النفس وهي
فضيلة متضمنة لجميع الفضائل الخلقية كما ان الحسن الظاهر فضيلة جسمانية متضمنة لكمال
سائر الفضائل الخلقية وتناسب جميع الهيئات البدنية والخطوط والتخطيطات الجسمانية
ويعبر عنها بالميزان لاشتراكها معه فيما يعرف به مقدار الشيء ويعرف بها فضل الاخلاق التي بها
زينة جوهر الذات الانسية عن ريبها واستقامة الاعمال عن ميلها وحيفها وخلاصها عن
غشها والموازين لا يجب ان يتساوى الجميع في الذات والماهية بل يكفي كونها ميزانا وانها مما يعرف
به حال الشيء كمية او كيفية فان الاسطرلاب ميزان والمسطرة ميزان والعروض ميزان والنحو
ميزان والمنطق ميزان والاشتراك جميعها في ما به تسمى الميزان ميزانا وان اختلف في الماهية لكن
هذا الميزان الذي كلامنا فيه هو بعينه ما سيوضع يوم القيمة بصورة مناسبة للنشاة الآخرة

فيعرف به كل واحد من الناس مقدار عمله بمعيار صادق ثم يحاسبون على اقوالهم واعمالهم وضمائرهم
ونياتهم مما ابدوه واخفوه ثم ياتون الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء و
احد من السيف وادق من الشعر يمشي عليه من استوى في الدنيا على صراط المستقيم الذي هو صورة
العدل التوسط في الاخلاق والآخرة وقد اشرنا الى ان فضيلة العدالة ليست فضيلة حقيقية للانسان
او جزءا حقيقيا بل هي صراط مستقيم يؤدي الى الكمال والخير الحقيقيين فلا بد من جوازها حتى يصل
النفس الى الكعبة المقصودة وتتنعم بالنعيم ومجاورة المعبود فهذا ما اردناه من بيان معنى الميزان
الذي يقوم به الناس بالقسط الغاية الثالثة الاشارة الى ترتيب سلسلة الموجودات وتقدم
بعضها عن بعض بحسب الشرف والكمال والافتقار والحاجة في النزول عنه والصعود اليه وبيان ذلك
ان اوائل الموجودات الصادرة عنه تعالى هي التي صدرت بمحض الجود والخير من غير استعداد و
تركيبا اذ يكفي في صدورها الامر ولوجودها عنه بمجرد امره من غير توسط وجود قابل واستعداد اتفاقا
ثابت وتفرع عليها المستفاد لوجودها وصدورها عنه ثم على هذا الوجه وهي عقول
مفارقة هي الملائكة المقربون ويقال لها عالم القضاء ثم نفوس مجردة هي الملائكة المدبرون ويقال لها
عالم القدر والتقدير اجرام سماوية ويقال لها عالم الافلاك والحركات التي تنشأ منها العناصر الاربعة
بتوسط صورها المتشاكلة وهي غاية تقديره الامر المشار اليه في قوله يدبر الامر من السماء الى
الارض واما الموجودات الفائضة عنه بتوسط المواد والقوابل والاستعدادات وهي المركبات
على هذا الوجه المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم اول درجة الانسان وهو النطع اولها
العقول ثم مرتبة اهل الايمان ثم مرتبة العلماء ثم الاولياء والانبياء وعند الوصول الى غايتها
مرتبة الانبياء وقع الوصول الى الحق فرجع سلسلة الموجودات في الصعود الى الحق تعالى كما ابتدا عنه
عن درجة النقصان والخسة الوحشية انه منه تعالى اولا فهو تعالى مبدأ الاشياء وغايتها وهو
الاول والآخر اذا تمهد هذا فقوله لقد ارسلنا رسلنا اشارة الى عالم الملكوت المتوسطة بينه
وبين الخلق وهو مشتمل على الملائكة والانبياء ولا اسم النبوة الا بالملك الثاني الذي يخبر بالحوادث
الآتية والماضية ولا يتحصل اخباره للرسول الا بعد استعلام من الملك العقلاني
المتوسط بينه وبين الله الذي يستفاد منه حقايق الاعتقادات الكلية فكما ان الانبياء يحكون

الخلائق فكانت الملئكة يصلون بعضهم بعضا الى ان ينتهى الى الحضرة الربوبية التى هى ينبوع كل قوام
ومطلع كل حسن ونظام وقوله وانزلنا معهم الكتاب اشارة الى الملك النازل على قلوب الانبيا ، با
لوحى وحكم الانبيا صلوات الله عليهم ينتقشون بها ما يغيب فى عالم الغيب ومشاهدتهم الملئكة هو بعينه
حكم الملئكة فى مراتبهم ودرجتهم فى الوجود وان صدق عليهم حين نزولهم عن عالم تقدسهم الى
درجة افهام الخلق قوله قل انما انا بشر مثلكم ثم ان الانسال والانزال الامران يستويان يدلان على
التنزل والهبوط بلا لزام ومهبط نزول الرسل والملئكة عالم الاجسام والهبوط لا يكون فيه
من الروح على المراتب المتوسطة بين عالم القدس وعالم الجرم الارضى الذى هو اسفل السافلين
فقد وقعت الاشارة الى المراتب الكلية بسلسلة النزول واما الاشارة لسلسلة الصعود فلفظ
الميزان ما يحتمل ان يكون اشارة الى التعادل فى العناصر الذى يقال له المزاج المشار اليه بقوله
والسماء رفعها ووضع الميزان وهو الذى يربيها المواد العنصرية لان يحصل منه المواليد
الثلثة فان المانع عن قبول الجود والشرف من الله تعالى فى الاجسام السفلية هو التضاد والا
فالجود مبذول والرحمة واسعة ولا تعلق الاجرام العلوية لخلوها عن التضاد فى الكيفيات
حية مطيعة لله تعالى فى دائرة ونواصيها لا كارهة كالارضيات كما وقعت الاشارة فى قوله تعالى ثم
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها وقوله ثم واوحى فى كل سماء امرها فكلما اوقعت العناصر
عند الامتزاج فى الاعتدال والتوسط بين اطراف الاضداد الذى هو بمنزلة الخلو عنها استعد
لافاضة كمال اشرف ووجود ارفع فاول ما يحصل لها من التوسط والاعتدال هو ما يحصل منه
المعادن على مراتبه ثم النبات كذلك ثم الحيوان على انواعه ثم الانسان على طبقاته فى الشرف
والبراءة عن الاضداد وقد تقرر فى العلوم الالهية ان الطبيعة ما لم تستوف النوع الاخس
لم تتخط الى النوع الاشرف فقوله ليقوم الناس بالقسط اشارة الى وجود صورة الانسان بحسب
القسط والعدل فى كيفيات عناصر وتركيباتها وهو المزاج المعتدل الانسانى الذى هو اشرف
الامزجة المعرضة بالتسوية فى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ويكون الميزان اشارة
الى الاعتدال فى الكيفيات والصفات الجسمانية لاجل البدن لا ينافى كونه اشارة الى العدالة
فى الاخلاق النفسانية لما علمت ان وجوه فهم القرآن لا تنحصر فى واحد فان للقرآن ظهرا وبطنا

وحدا

وحدا ومطلعا كما ورد فى الحديث عنه صم بل هذا الوجه يلايم ذلك الوجه ويطابقه تطابق الظاهر
للباطن او العوالم متطابقة والنشآت متحاذية فالاعتدال فى المزاج يستدعى ان يكون الصورة
الانسانية الفائضة عليه عدلا فى الصفات المعنوية والاخلاق النفسانية التى هى بمنزلة
اصول الكيفيات الجسمانية وقوله وانزلنا الحديد اشارة الى درجات المعادن وهى الدرجة
النازلة عن المواليد كما ان الدرجة الانسانية من الحيوان المشار اليها بقوله ليقوم الناس بالقسط
هى الدرجة العالية منها وقوله ومنافع للناس يومى الى درجة النبات لان الحديد والفرس
آلة الحرب على ان يعين الاشارة الى الجماد والى نوع من الحيوان وهما الطرفان النازل والعالى من
المركبات ليقع الاشارة الى النبات بالالتزام على ما مر من توقف النوع الاشرف على النوع
الاخس فى سلوك الطبيعة درجات الصعود الى الحق كما يتوقف الاخس على الاشرف فى النزول
عنه والى الحيوان بالتضمن لان الحيوان بما هو حيوان جزء من الانسان ودلالته عليه
بالتضمن واما قوله وليعلم الله من ينصره اشارة الى درجة اهل الايمان والمعرفة لانهم ينصرون
دين الله بالمجاهدة مع الكفار وهم متفاوتون فى الفضيلة وافضلهم العلماء الذين ينصرون
دين الله تعالى بالاجتهاد والاستنباط بالفكر الصحيح وقوله ورسله اشارة الى درجة الانبياء
والاولياء الذين بهم ينتهى ارتقاء المكونات فى توجههم شطر كعبة الحق وتلقاء مدينة
الخير الحقيقى الذى لا يشوبه شوب قصور وهو الله العزيز المتعالى القوى الشديد فى
الآثار والافعال ولذلك وقع الانتهاء باسم ذاته تعالى مع ذكر صفة كمالية اضافية
والاخرى جلالية كما وقع الابتداء به ضمنا وكذا وقع الالتفات من التكلم الى الغيبة لان
السلسلة الاولى شهودية والاخرى اشعارية فابتداء الاولى بما يناسبها من الشهود دون
الاشعار وانتهت الثانية ايضا بما يناسبها من الاشعار ولان اهل السلسلة الاولى اصحاب
الجبر والاستغراق فى الشهود والفناء والهيمان فلا التفات لهم الى ذواتهم ولا ارادة لهم سوى
ارادة الله واهل السلسلة الثانية اصحاب الاختيار والارادة المنفصلة عن ارادة الله وذلك
لوجود اوهامهم والخيالات فيهم وهو مناط التكليف لزعمهم ان لهم وجودا مستقلا بالذات فالاخبار
والتكلم يناسب الاولى والغيبة يناسب الثانية الفائدة الرابعة الاشارة الى علم الجزئيات الذى

على الوجه الجزئي وهو الذي حارت فيه افهام الحكماء والفضلاء حيث ذكروا ان العلم بالشيء على سبيل
التجدد والتعاقب موجب للتجسم والتغير في ذات العالم مع ان القران مشحون بذكر ما يدل على تجدد
واختبار وابتلاء واستيناف نحو من انحاء العلم كقوله تعالى في هذه الاية ليعلم الله من ينصره كقوله
وليبلوكم ايكم احسن عملا ومن هذا القبيل كل اية وقعت فيها نسبة الابتلاء اليه تعالى وهذا
امر لا يعرفه النظار بقوة البحث والنظر الا من ايده الله تعالى بتوفيق خاص الهي يتصل به ادراك
الحق باقدام العبودية والاخلاص في العمل وقد اومانا اليه والى كشفه في مواضع متفرقة من
الاسفار الفائدة الخامسة الاشارة الى الفرق بين المعاني الغاية التي قد يقع بازائها
حرف اللام فان الغاية قد يراد بها السبب الغائي وهو ما به يكون الفاعل فاعلا تاما وقد يراد
بها ما يؤدي اليه الفعل من غير ان يكون مقصودا للفاعل في فعله ويقال له العرضي وقد
يراد بها ما ينتهي اليه الفعل بحسب الذات والقصد جميعا فالغاية بالمعنى الاول في هذا المقام لا
يكون الا ذاته لانه تمام الفاعلية والايجاد وبالمعنى الثالث لو اريد منه اخر ما ينتهي اليه
الفعل فهو ايضا ذاته وقد يكون غيره كما في الحديث القدسي عنه تعالى لولاك لما خلقت الافلاك
واما المعنى الثاني فلا يكون الا غير ذاته ومثال المعنى الاول تصور الكن في بناء البيت للباني
بل تصور الراحة التي يتصورها عند الكن ومثال المعنى الثاني المنفعة الحاصلة للاجير
في بنائه ومثال المعنى الثالث وجود الكن والراحة التي ينتهي اليه الحركات البنائية فقوله
ارسلنا رسلنا وما عطف عليه اشارة الى العلة الغائية بالمعنى الاول لان الارسال و
الانزال فعلان اختياريان لا بد لهما من علة غائية وقوله ليقوم الناس اشارة الى الغاية
بمعنى العرضي وقوله وليعلم الله من ينصره اشارة الى الغاية الذاتية التي ينتهي اليه الفعل بالذات
الفائدة السادسة الاشارة الى عنايته وحكمته في خلق الحديد وعجائبه وفوائده
وكيفية حدوثه من الادخنة ولطافتها وغلظ الحديد وكثافته والطاعة للانسان في
قبول الذوبان واللين بالحرارة النارية وقبول الاستطراق تحت المطارق وقابليته عند الطرق
حتى يتخذ منه الالات الصناعية على اي وجه اريد ثم رجوعه الى جوهره الاصلي عند البرد بقي
التشكلات المقصودة منه وكل صنعة فانظر الى رحمة الله كيف هدى الناس الى تحصيله

من

من الجبال ثم الحكمية بتليينه بالنار واتخاذ الالات الصنايع منها لجلب المنفعة ودفع المضرة الحاصلتان
عند استعمالها بل علمه القوى الشهوية والغضبية المنبعثين عن استعمال النفس المدبرة اياها
باشارة العقل الكلي الهادي اليها بالهام الحق الاول وهو منتهى الاوائل في البداية والاخر في النهاية
ومنه الافاضة والجود في البدء والغاية قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم و
جعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون عطف سبحانه على ما
تقدم ذكر المرسلين مجملا ذكر نوح وابراهيم على نبينا وآله وعليهما مفصلا وانما خصهما بالذكر
وذكر قصة فضلهما لكونهما ابوي الانبياء كما يدل عليه قوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
فان الانبياء كلهم من نسلهما وذريتهما وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتبت كتابا وكتابة فمنهم اي
فمن عقبهما الذين يرجعون بالنسبة الى الذرية فقال فمنهم اي فمن الذرية او من المرسل اليهم لا له
ذكر الارسال عليه مهتد الى طريق الحق ومنهم فاسق خارج عن طريقه والغلبة للفساق مكاشفة
اعلم ان وجود كل من الصنفين مصلحة وحكمة في حقه ويليق بالمقام ولا يلزم ان يكون الخير قليلا
والشر كثيرا في اشرف انواع الكائنات فليس لاحد ان يقول لكثرة افراد الانسان تغلب عليهم الشر على
ما دلت عليه الاية وذلك لان منشا تحصيل السعادة والشقاوة للنفس الادمية انما هو استعمال
قواها الثلثة الادراكية والشهوية والغضبية اذ هي مبادي الافاعيل والانفعالات ومن
تكرر الافاعيل والانفعالات تحصل اخلاق وملكات هي المنشا للسعادة والشقاوة في العاجل
والاجل والغالب على اكثر الانسان على ما نراه هو فقدان الاخلاق الحسنة من الجهل وغلبة
الشهوة واستيلاء حب الدنيا وميل الرياسة والبخل والحسد والكبر والرياء واشباهها وما يترتب عليها
وما ينبعث عنها من الفسوق والمعاصي فيلزم كونهم من الاشرار المردودين عن رحمة الله على ان
رحمته وسعت كل شيء فما معنى كونهم بعيدين عن الرحمة التي لا حجر عليها وما معنى قول الرباني
من الحكماء ان الخير مرضي والشر مقضي لا بالعرض لا بد ان يعلم ان الخلق الذي لا نجاة معه في الاخرة
صفة واحدة للنفس من حيث جزؤها العلمي وهو ضرب من الجهل وهو ما يكون مركبا مع الاعتقاد
الراسخ المضاد للحق واما من حيث جزؤها العملي فليس كل رذيلة توجب الحرمان عن الغفران بل الرذائل
التي رانت على القلوب وصيرتها ناسية الجوهر كجوهر المراة التي احاط به الدرن وكاهرا وبا

وغاصت فيها واقعد بها سطحها وعمقا وكون اكثر الناس شقاوة ذات صفات ذميمة لا يستلزم
كونهم مطرودين من رحمته بتمامهم بل كان الجهل المركب الراسخ المضاد لليقين الذي يوجب الشقاوة
الابدية نادر كوجود اليقين الذي يوجب جزاء كبيرا وقسطا وافرا من السعادة والجهل البسيط الذي
لا يضر في المعاد عام فاش في هذا النوع وكذلك حال القوتين الاخريين فالبالغ في فضيلة
العقل والخلق وان كان نادرا كالبالغ بدا بتر رذيلتها لكن المتوسطين على مراتبهم اغلب
اوفر وادخل اليهم الطرف الاعلى كانت لاهل النجاة غلبة عظيمة وما اشبه حال الارواح
في انقسامها الى هذه الاقسام بحسب السعادة والشقاوة الاخروية بحال الابدان في انقسامها
بحسب السعادة والشقاوة الدنيويتين الى البالغ في الجمال والصحة والمتوسط فيهما وهو الاكثر
والقبيح السقيم وهو اقل من عدد المتوسط فضلا عن مجموع القسمين فاذن قد ثبتت
السعيد اكثر من الشقي في الحكمة بان رحمة الله تعالى لا تنال الا قليلا من عباده عز وجل وقد قال
ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون واما خلود اهل الكفر في النار ففيه سر
لا ينكشف لاحد الا من شاء من خلص عباده وهو العليم الحكيم قوله عز وجل ثم قفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا
الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون قرء الحسن الانجيل بفتح الهمزة والامر فيه هين
لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب بخلاف امر البرطيل والسكين فمن رواهما
بالفتح وقرء رأفة على وزن فعالة والتقفية جعل شيء في اثر شيء على نهج الاستمرار ولهذا
قيل لقواطع الشعر قواف اذا كانت تتبع البيت على اثر بيت مستمرة على منهاجه والرهبانية
اصلها من الرهبة والخوف يوصف بها النصارى لترهبهم بعد موت عيسى في الجبال فرارا من
الفتنة في الدين لظهور الجبابرة على مؤمنيهم في ذلك الزمان واخلاصا لانفسهم في عبادة الله
عند التفرد عن الخلق وهي الفعلة المنسوبة الى الرهبان بالفتح وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرء ورهبانية بالضم منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كركبان جمع
راكب وهي عبادة مخصوصة بالنصارى لقول النبي لا رهبانية في الاسلام وقوله رهبانية

امر

امتي الحج والجهاد وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ويجوز ان
يكون معطوفة على ما قبلها والجملة بعدها صفة لها في محل النصب والمعنى ثم اتبعنا الارسال
على آثار المتقدمين كنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهما او من عاصرهم من الرسل برسل اخرين
اي اتبعنا رسولا بعد رسول وقفينا سابقا بلاحق حتى انتهى الامر الى عيسى بن مريم بعدهم
فارسلناه رسولا واعطيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه من الحواريين واتباعهم التراحم
والتعاطف بينهم رأفة ورحمة بان امرهم الله بها ورغبهم فيها فالخلق في قلوبهم الرأفة والرحمة
وانما مدحهم على ذلك وان كان من فعله لانهم تعرضوا لها وابتدعوا رهبانية لم نكتبها عليهم
وهي خصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في سعتها او في التوحش عن الخلق او التفرد عن
الجماعة او غير ذلك من الامور التي تعلق بها صاحبه وقيل ان التي ابتدعوها هي رفض النساء
واتخاذ الصوامع عن قتادة وعلى هذا يعطفها على ما قبلها يكون المعنى وجعلنا في قلوبهم
رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية
الغير المكتوبة عليهم ما كتبناها الا ابتغاء رضوان الله اي لينتفعوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب
والاستثناء منقطع اي ما فرضناها عليهم ولكن ابتدعوها طلبا لمرضاة الله ويحتمل الاتصال بتضمين ما
تعبدناهم بها حتى يكون منتظما في نوعي الايجاب والندب لاستلزام مطلق الترجيح والتقرب
هذا وان كان مخالفا لقوله ابتدعوها لكن توجيهه بان يقال معناه ولكنهم ابتدعوها ثم ندبوا
اليها وابتدعوها بمعنى احدثوها من قبل انفسهم ودونوا بها فما رعوها اي الذين بعدهم ما رعوا
جميعا الرهبانية او المذكورات من الرأفة والرحمة والرهبانية حق رعايتها ولكن بعضهم رعاها و
بعضهم ضموا اليها التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والرياء والكفر بمحمد ونحو هذه الاشياء كما
ان المنتسبين الى التصوف في هذه الازمنة والبلاد الاسلامية بعضهم ما رعوا حقه من تصفية
الباطن والزهد في الدنيا والانقطاع عن اهلها والعبادة وبها طلب مرضات الله واكثرهم لم يراعوا حقه
بل ضموا اليه السمعة والرياء والتعمق والسماع والاشتغال بالملاهي وصحبة الاباطيل والمعطلين عن الفكر
والبرزخ والملكوت ونحو ذلك الاله مما بالشأن مثل جمع الخلائق فآتينا الذين آمنوا منهم الراعين منهم لها
اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يراعوا ولم يراعوها قال الزجاج ان تقديره فما كتبناها عليهم

عليهم الا ابتغاء رضوان الله وهو اتباع ما امر به فهذا وجه ثم وجها وجه اخر في التفسير وهو انهم كانوا
يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك فلما الزموا انفسهم
ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه كما ان الانسان اذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه
ان يتمه قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين احدهما ان يكونوا قصروا فيما الزموه انفسهم والاخر
وهو الاجود ان يكونوا حين بعث النبي فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية
حق رعايتها ودليل ذلك قوله فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين كانوا امنوا بالنبي
وكثير منهم فاسقون اي كافرون انتهى كلام الزجاج ويؤيده ما روي عن ابن مسعود قال
دخلت على رسول الله فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة
نجا منها اثنتان وهلك سايرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى فقتلوهم وفرقة لم
يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين
عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم ثم قال من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك
هم الهالكون مكاشفة في هذه الاية حجة على عدم خلو الزمان عن من يقوم بحجة الله
على خلقه اذ علم انه هكذا جرت سنة الله من لدن ادم ونوح وال ابراهيم الى وقت نبينا
وعليهم اجمعين ولن تجد لسنة الله تبديلا لكن النبوة قد ختمت برسولنا والولاية التي
هي باطن النبوة باقية الى يوم القيمة فلا بد في كل زمان بعد زمان الرسالة من ولي
يعبد الله على الشهود الكشفي من غير تعلم ويكون عنده ماخذ علوم العلماء والمجتهدين وله
الرياسة العامة في امر الدين والدنيا وهو الراعي للخلق بحسب الفطرة من قبل الله ورسوله
ارتضيه اولا والناس اطاعوه او انكروه وسواء كان هو ظاهرا مشهورا او مستترا مغمورا كاكثر
الائمة الطاهرين سلام الله عليهم اجمعين وكما ان النبوة التشريعية قد ختمت برسولنا فالولاية
التي هي باطنها ختمت باخر اولاده المعصومين وهو الذي يواطي اسمه اسم رسول الله ص ومعناه
معناه وبوجوده ابقيت البلاد ورزقت العباد وبظهوره يملا الله الارض قسطا وعدلا
بعد ما ملئت ظلما وجورا كما في حديث كميل بن زياد النخعي عن امير المؤمنين مما يدل على هذا

المطلب

المطلب فهو قوله ع بعد كلام سابق يا كميل بان خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم
مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان ههنا واشار بيده الشريفة الى صدره
المقدس لعلما جما لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مامون مستعملا الة الدين في الدنيا ومستظهرا
بحجج الله على خلقه وبنعمه على عباده او منقادا للحق ولا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في
قلبه باول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد للشهوات او مغرى
بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم
بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مشهور او مستتر مغمور لئلا
تبطل حجج الله وبيناته واين اولئك والله الاقلون عددا الاعظمون خطرا بهم يحفظ الله حججه
وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقايق الامور
وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون و
صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى
دينه اه اه شوقا الى رؤيتهم انتهى الحديث وفيه اشعار بامور الاول ان العالم الحقيقي له
الولاية على الدين والرياسة فيه والثاني ان سلسلة العرفان بالله والولاية المطلقة
لا ينقطع ابدا والثالث ان عمارة العالم الارضي ووجود افراد الانسان وساير الحيوانات و
غيرها من الكاينات انما يكون بوجود العالم الرباني وقد قام عليه البرهان في الحكمة المتعالية
فيلزم منه الاعتراف بوجود امام حافظ للدين في كل زمان الرابع ان هذا القايم بحجة
الله لا يجب ان يكون ظاهرا مشهورا كمولانا امير المؤمنين في ايام مملكته من الخلافة الظاهرة
بل ربما يكون خاملا مستورا مغمورا كهو قبل ذلك الوقت وكاولاده الاحد عشر بعده سيما
القايم المنتظر امامنا الهادي المشار اليه في قوله ع ذرية بعضها من بعض وجاء في حديث عن النبي
ص لا يزال الامر ماضيا ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش الخامس ان من خواص اولياء الله بحجة
ان يكون علومهم ومعارفهم حاصلة بالحدس التام والالهام من الله من غير تعلم وكسب كما دل عليه
قوله ع هجم بهم العلم على حقايق الامور وباشروا روح اليقين اي الهمهم الله على حقايق الوجود
وقذف في قلوبهم نورا من لدنه يريهم الاشياء كما هي وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من اوتيها

فقد ادعى جمع كثير من الناس انه قد علم شرف الحكمة الالهية ومنزلة حامليها حيث اشتاقت نفسه
الشريفة الى لقائهم مع كونه قدوة الربانيين ومقدم السائرين الى الله بقوة الحكمة و
العرفان وهو منتهى سلسلة السالكين واصحاب الطريقة والصوفيين ومن بعده وحده هم
في السالكين والعرفان لا في مجرد الرياضة البدنية وجلوس الصوامع ولبس الخرقة اذ لا كمال
فيه يعتد به وذلك لان الجنسية علة الضم والجنس الى الجنس يميل ولان فنون القرب الى الله
متعددة واذواق الكاملين مختلفة مع اشتراكهم في غلبة جانب التوحيد والعلم والفناء و
البقاء فلا يبعد ان يكون الاشتراك في جهة الكمال المطلق ومظهرية الذات الاحدية موجب
اصل المحبة والاختلاف في ظهور بعض المظاهر الاسمائية او الصفاتية وخفاء بعضها موجب
الشوق خفاء اسم او صفة الى جهة ظهور اسم او صفة فان تجليات الحق بحسب الاسماء والصفات
غير متناهية مدى فلذلك تختلف المظاهر والمجال الخلاف غير متناه سبحانه وتعالى وما يدل على
وجود الامام المطاع في الاحكام في جميع الازمنة ما اتفقت روايته بين الخاص والعام
من قوله من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وقد اتفقت الامامية على
ان الامام في زماننا هذا هو المهدي الموعود ظهوره في اخر الزمان واستبعاد اهل السنة
من وجوده وبقائه الى الان في غاية السقوط اذ الادلة الطبية والنجومية على امتناع بقاء
الانسان بعد مائة وعشرين سنة تامة ومع ذلك منقوض بوجود الاعمار الطويلة للسابقين
كما هو المشهور من ادم ونوح ع وغيرهما وبقاء رجال اللعين من اللاحقين مدة طويلة هي من زمن
الرسول الى وقت خروج المهدي ع واسقط من ذلك تشنيعهم على الفرقة الامامية بان اي ثمرة
ثمرة في وجود امام لا يمكن التوصل اليه واخذ المسائل الدينية منه فان مجرد المعرفة بامامته
ورياسته والتصديق بوجوده وانه خليفة الله في ارضه ثمرة ينتفع بها وليست الفائدة
منحصرة في مشاهدته اذ لا ريب ان من كان في عهد النبي ص وصدق بوجوده وبرسالته كان
مؤمنا حقا وان لم يره مشاهدة كاويس القرني رض فكذا ههنا وقد روي عن جابر بن عبد الله
الانصاري عن النبي ص ذكر المهدي فقال ذلك الذي يفتح الله على يديه مشارق الارض و
مغاربها يغيب عن اوليائه غيبة لا يثبت فيها الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت

يا رسول

يا رسول الله هل للشيعة انتفاع به في غيبته فقال اي والذي بعثني بالحق انهم يستضيئون
بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان علاها السحاب والعجب انهم
حملوا الامام في قوله ع على اهل الشوكة الظاهرة من ملوك الدنيا من كان عالما او جاهلا
عادلا او فاسقا فتشنيعهم على الامامية مقلوب عليهم باشد وجه بان يقال الى غير ترتيب
وانا رجعهم عن هذا الحمل لغاية سخافته الى ان المراد بالامام في ذلك الحديث هو الكتاب
فلا حجة للامامية بما نقله بعض الاعلام منهم بقوله ان اضافته الى زمان ذلك الشخص
تفيد تبدل الائمة في الازمنة والقران لا يتبدل بل هو بحاله على مر الازمان وبان المراد بمعرفة
الكتاب ان اريد بها معرفة الفاظه او الاطلاع على معانيه اشكل الامر على كثير من الناس
حيث انه يكون موتهم ميتة جاهلية وان اريد بها مجرد التصديق بوجوده فلا وجه للتشنيع
علينا اذا قلنا بمثله واعلم انه ذكر الشيخ محيي الدين العربي في الباب الثلثمائة وستين
من كتاب الفتوحات المكية كلاما صريح العبارة يدل على انه معتقد بوجود المهدي ع وقد
نقل بعض الاعلام من الكرام تمام هذا الكلام في كتاب الاربعين من اراد الاطلاع عليه
فلينظر فيه ونبذ منه هذا وهو ان لله خليفة يخرج من عترة رسول الله ص من ولد فاطمة يواطي
اسمه اسم رسول الله جده الحسين بن علي بن ابي طالب يبايع بين الركن والمقام وعد بعض نعوته
واوصافه الشريفة الى ان قال يبايعه العارفون من اهل الحقايق عن شهود وكشف بتعريف
الهي له رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه ولولا ان السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله و
لكن الله يظهره بالسيف والكرم فيخافون ويطيعون ويقبلون حكمه من غير ايمان ويضمرون
خلافه ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهبهم انه على ضلال الى ذلك انتهى واعلم
ان كل طالب رشاد ومكاشفة تامة يعرف بها طريق التبتل الى الله ثم كيفية التخلص عن دركات
التعلق بالمهلكات الدنياوية والموذيات النفسانية فان اتباعه وتعلم السلوك منه واجب عقلا
كما ان اتباع الرسول والائمة واجب عقلا وسمعا وكما ان المريض ومن به داء مهلك عند العاقل
اذا وجد طبيبا حاذقا يعرف معالجة ذلك المرض المهلك يجب عليه اتباعه ودفع الالم
امر به بحسب العقل لاجل ما فيه من التحفظ على الحيوة البدنية فكذلك من به مرض الجهل وداء الخلق الردي

النشاق الذي به يعوق الحيوة السرمدية يجب عليه بالضرورة ان يتبع العارف الواقف بكيفية ازالة الجهل وسائر الاخلاق الذميمة ويتعلم منه طريق الاستكمال ويتاسى به ويسلك سلوكه ويقبل منه النصائح في كيفية التقرب الى المبدأ الفعال وكان من يتيسر له حد منه من غير رسالة ثم ارشاد اهل زمانه ويحمل المعارف منه حتى فاز بعلو منزلته عند الناس ويحفظها على جاهه الخطير لدى العوام الناقصين فيوشك ان يزاحم الامام المهدي الذي وجب الطاعة له ويرد عن حكمه ويحاشي عن طاعته اذا تخطت عنه ذلك مرتبة عند ذلك الناس ويسقط بجاهه الخسيس الاكام الاخرويا وطمعا الا تقربا الى الله تعالى والا لما اطاع كل من له قدم راسخ في العلم بالله وملكوته وذلك لمرض نفسه وخبث جوهره وقصور ذاته بحيث تقتضي الامر بسقوط منزلته عند الله حيث يطلب المنزلة عند الخلق من تحصيل المنزلة عنده ويرجح عنده رضاء الخالق على رضاء الخالق وقد قال سبحانه ورضوان من الله اكبر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم الكفل النصيب يا ايها الذين امنوا اي اعتقدوا توحيده وعلمه وقدرته وصدقوا انبيائه عم اتقوا الله فيما نهاكم عنه من قبائح الافعال ورذائل الصفات وامنوا برسوله محمد او يا اهل الكتاب الذي امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد وعن ابن عباس يا ايها الذين امنوا ظاهرا امنوا بالمناجاة يعطيكم نصيبين من رحمته نصيبا لايمانكم عن قبل من الانبياء وان كان لمؤمني اهل الكتاب لا يبعد ان يثابوا بما عملوا في دينهم السابق وان كان منسوخا هكذا قيل وفيه تفصيل فانهم ان اذا اجتهدوا في تحقيق الامر حتى ظهر لهم فلا شبهة في ان لهم كفلين من رحمة الله وان لم يكونوا كذلك بل كانوا متعصبين لدينهم متصامين عن استماع الحق فلا اعتداد بالاعمال التي فعلها الانسان تعصبا وتجاهلا من غير طلب البصيرة وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عهده صلعم وان كان خطابا لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسوله يؤتكم ما وعد مؤمني اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين لا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في ان لا يفرقون بين احد من رسله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به اي هدى يسلك به وعن ابن عباس

النور

النور القران لما فيه من الادلة النيرة على كل احد والهداية الى كل خير وهو الاستحقاق لحصول الضياء في القلب الذي يمشي به يوم القيمة ويغفر لكم اي ويستر عليكم ذنوبكم التي اسلفتم من الكفر والمعاصي روي سعيد بن جبير بعث رسول الله صلعم جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم عليه فاستجاب له وامن به فقال ناس من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا فناتي هذا النبي فنسلم به فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيا النبي لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فاتوا بها المسلمين فانزل الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا اما من امن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت الاية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت كاشفة يا ايها المعتدون من اهل الايمان اتقوا الله بتكثير الحسنات وتقليل السيئات وامنوا برسوله اي حصلوا لانفسكم ملكة المعرفة بالله وكيفية ارسال الرسول وانزال الكتب عليه وافاضة الحقائق العلمية على قلبه بواسطة الملك الموحى اليه باذن الله والتصديق برسالته و الاطلاع على الغيبات وحقيته في كل ما اتى به فالاول رعاية الجزء العملي من النفس الانسانية ومحافظة على حصول ثمرته التي هي تصفيته وتجرد النفس بتقوى الله والزهد الحقيقي عن كدورات الشهوات الدنياوية من المعاصي والقبائح والثاني رعاية الجزء النظري منها واتصافه بكماله الذي هو المقصود من وجود الانسان وهو اكتساب المعارف الحقة الباقية معه ابد الخلد وحيث كان كمال الانسان ومنزلته عند الله وحصول المثوبة الاخروية له منوطا بتمام استكمال كل من هاتين القوتين فلا بد لكل من امن بالله واليوم الاخر ان لا يتوانى عن اكتساب الاحوال والاعمال واقتناء العلوم والملكات المؤدية الى هاتين الثمرتين طهارة الاعمال الصالحة فالتخلص عن ذمائم الاخلاق ورذائل الاوصاف والتعلقات الدنياوية الناشئة عن قوتي الرحمة والهداية الا فالجود مبذول والرحمة واسعة عند عدم المانع وانما ترفع عصابة الحجب فتنا

الاعيان الشريفة النورية ومنادمة الملائكة القدسية واهل الصفوة من عباد الله المقربين
وقبول التجليات الالهية اما صاحب رتبة العمل دون العلم فهمته متوجهة نحو لذات الجنان
والمشتهيات من الحور والغلمان وكل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين بقوة التخيل ويصل همها
اليه وان كان نازلا عما يهتم ويقصد المقربون من العرفاء كالسكينة والخضوع واطلاع النفوس
واما صاحب المعرفة فهمته متوجهة نحو عالم القدس والوحدة ومشاهدة الجمال والجلال
فله المثوبة الكبرى والدرجة العظمى والمرتبة الكاملة فهو وما هو دون ذلك ان اراد كا
لمرتبة التخيل فلما اثبت ان لاهل التقوى والمعرفة وكل منهما نتيجة خاصة ونصيبا مخصوصا
من فضله ورحمته وقعت الاشارة لحصول النصيبين لهم من الرحمة نصيبا لاجل العلم و
نصيبا لاجل العمل ولما كانت ثمرة العلم اجل رتبة وافضل قدرا من ثمرة العمل وصفة الادا
على الحركة وشرافة العين على القدم اشار اولا الى ثمرة العلم بقوله فاصيبها بقوله ويجعل
لكم نورا تمشون به فان هذا النور بعينه هو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ثم اشار الى
ثمرة العمل بقوله ويغفر لكم ثم اشار الى كون ذاته تعالى منشأ جميع الخيرات ومبدأ فنون الرحمة
بقوله والله غفور رحيم نظرا الى معاد لطفه في اجتناب الانسان عن الرذائل وقبول توبته رحيم
نظرا الى افاضة جوده في تكميل الانسان بالفضائل قوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون
على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لا في
لئلا زائدة وان مخففة لا يقدرون مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وهو الشان او
ضمير راجع الى اهل الكتاب والمعنى لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء مما ذكر من فضل
الله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيل شيء منه لان جميعه مشروط بالاعتقاد
الصحيح في حق الله ورسوله وهم لم يؤمنوا برسول الله فلا ينفعهم ايمانهم بغيره من الانبياء بعد ما
نزل في نبي رسول الله وليعلموا ان الفضل بيد الله وتحت قدرته يؤتيه من يشاء بمشيته البالغة
وارادته الازلية المنبعثة عن علمه باختلاف القوابل ومقتضى الاهليات والله ذو الفضل العظيم
بافاضة نور الوجود على هياكل الكائنات وقيل ان المراد بفضل الله هنا النبوة اي لا يقدرون
على نبوة الانبياء ولا على صرفها عمن شاء الله ان يخصها بها فيصرفونها عن محمد الى من يحبونه

بل

بل النبوة كسائر الفضائل الموهوبة بيد الله لا مدخل لتعمل الناس في استحصالها يعطيها من يشاء ممن
هو اهلها ويخصها وقيل لا صلة فيها في حكم الثبات والمعنى لان لا يعتقد اهل الكتاب ان النبي
والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله ولا ينالونه فعلى هذا يكون الضمير في يقدرون
للنبي والمؤمنين ويكون ان الفضل عطفا على انه لا يعلم وقيل لان يعلم اهل الكتاب انهم
لا يقدرون ان يؤمنوا ويكون المراد لكي يعلموا انهم لا يقدرون على الايمان وطلب الفضل
والثواب وقرا الحسن لئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء وروي عنه الكسر ايضا وتوجيهه على ما
قيل ان حذفت الهمزة من لان لثقلها حتى صار لن ثم ادغمت النون في اللام لمقاربته بينهما
فصار للا بالكسر ثم ابدلت اللام الثانية المدغمة في الثالثة ياء كما بدل الميم الواو المدغمة وغير
المدغمة باء في دينار وقيراط فان الانتقال من المضاعف الى المعتل متعارف عند اهل
اللسان واما الفتح كما قرأ الحسن فعلى ان اصل لام الجر هو الفتح وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم
وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء كما
ذكر في الكشاف مكاشفة ربما يستشعر من الاية الكريمة ان لاهل الايمان اقتدارا على
استجلاب فضل الله وتمكنا من استدرار رحمته ومفهوم الخلاف وان لم يكن معتبرا عند
الاكثر سيما في مثل هذا المقام حيث عقب بقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الا
انه مما يمكن توجيهه بوجه عقلي فان الفضل وان كان كله من عند الله بحسب مشيئته بلا تأثير الغير
في الاجادة وتوسط لما سواه في الافاضة لكن لا بد من تعلق المشية بواحد دون واحد
من غير تخصيص لامتناع من غير مرجح كما هو مذهب المحققين فللعبد اختيار في اكتساب المرجح بتحصيل
المعارف الايمانية الحقة اولا ثم العمل بمقتضاها ثانيا ثم الانتظار بجوب رحمة الله
وفضله ثالثا فان من حصل المعرفة بالله ورسوله واليوم الاخر والاعتقاد بالثواب للمحسن
والعقاب للمسيء وان كان على حد التقليد والظن حصل لنفسه تشوق الى تكميل جوهرها بتحصيل
اليقين في الوصول الى ثواب الله والتقرب اليه فيبعثه ذلك التشوق على جميع الشهوات الظاهرة عن
النفس اولا ثم على قلع الصفات الذميمة الباطنة عن القلب ثانيا ثم بعمارة العزلة والخلوة عما
يشوش فكره ويشوش طبعه ويحصل المراقبة والذكر والفكر ثم يؤدي به الى ان يحصل عمومه

ومقاصده واغراضه واحدها الشوق الى طلب الحق واذا غلب ذلك عليه التجرد عن مجادلة
الشيطان ووساوس الوهم بابدال الشهوات والشكوك في قلبه حتى يضله ذلك عن
الطريق وان لم يكن بين الباطن وحركة معنوية في الملكوت فلا يغنيه الاوراد المتواصلة
والصلوات المتعاقبة بل يحتاج معها الى تكليف الحضور لقلبه بالافكار المعنوية فان الفكر
بالباطن هو الذي يستغرق القلب بجمع الفكر دون الاوراد الظاهرة وربما يلم مع ذلك
من الآفات الشاغلة في بعض الاوقات عن الفكر والذكر مرة بعد مرة كانت او عجز مرة اخرى
كمرض وخوف وابتلاء من مخاصم او طغيان من مخالط فمرة في المعيشة واشتغال بطعم
وملبس مما يحوجه الى الشغل بتولاه بنفسه فان يسر له قطع هذه العلائق بسبب لم اكثر الاوقات
فيصفو قلبه ويتيسر فكره في عالم الملكوت وينكشف له من اسرار الله ما لا يقدر على شيء
قليل منه جملة الاذكياء المشتغلين بقلوبهم بالعبادة على الاجتهاد وهذا اقصى المقامات
التي لاختيار العبد مدخلية فيها لانها من الاكتساب المجهد فاما مقادير ما ينكشف
له من فضل الله ومطالع ما يرد عليه من رحمته فهو خارج عن اختياره واقتداره فانه
يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق والطالع الاسماء الذي هو طالع طالعه السماوي
فقد يقل المجهد ويجل الصيد وقد يطول المجهد ويقصر الحظ فالمعول بعد ذلك على جذبة
من جذبات الحق التي توازي عمل الثقلين وليس ذلك باختيار العبد وان كان له
اختيار في ان يتعرض لتلك الجذبة بالاكتساب من الرياضات الفكرية والعملية واليه الاشارة
بقوله ان لربكم في ايام دهركم نفحات والجذبات ارزاق معنوية بمنزلة الرزق الصوري
فلها اسباب سماوية رحمانية كما ان للرزق الصوري اسباب سماوية جسمانية اذ قال وفي
السماء رزقكم وما توعدون فان هذه الاسماء الجسمانية مثال وظل المبدء رحمانية نعم
المنبعثة منها الارزاق الصورية المعنوية كلها ولهذا وقعت الاشارة بقوله الرحمن على العرش
استوى وهذا الذي ... كلاما فيه اجل من اسباب الرزق المعنوي فهو ايضا من اسباب سماوية
قدسية والامور السماوية غائبة عنا فلا بد من ... باسباب الرزق فما علينا الا
تفريغ محل القلب والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض

للزرع

للزرع وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر بان يصفي ارض القلب عن دنايا الصفات ثم
ينتظر الخوارق الالهية وكما ان لا ينفعه الا نزول المطر ولا يدري متى يقدر الله
اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله وسنته في ان لا يخلي الارض سنة عن مطر فكذلك ما يخلو
المريد الصادق في شهر او يوم عن جذبة من جذبات الحق فبالجملة فقد علم ان تطهير القلب
عن خبائث الشهوات والتشبه فيه بسبب الايمان بالله ورسله وملكوته وجعله عرضة للاهبات
فضل الله مما للاختيار للعبد فيه مدخل فيها الا ان يكون في غاية المجهود والقسارة لسبق
الفكر المتمادي او الشوق المتراكم كالمجاهدين من اهل الكتاب فاما نزول امطار الفضل وهبوب
رياح الرحمة فلا اختيار للعبد فيه بل كل ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فقوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا
يقدرون على شيء من فضل الله ينعى عليهم ابعاد وبيل الجهد حيث لا يمكنهم تطهير الباطن وتصفيته
عن الرذائل الاستعداد لرحمة الله وفضله وذلك لجمود قرائحهم الجاسية وشدة قلوبهم القاسية
كما قيل ويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله خاتمة هذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون اية
وقيل ثمان وعشرون والاختلاف في قوله من قبله العذاب وانبياء الانجيل وعدد كلماتها
خمسمائة وثلث وسبعون وحروفها الفان واربعمائة وستون وانتظام خاتمة الواقعة بافتتاحها
ايضا في التسبيح وانتظام السورتين ان تلك السورة في ذكر السابقين واصحاب اليمين والمكذبين الضالين
وهذه السورة في كيفية الارتقاء الى درجة السابقين واصحاب اليمين بالمعارف الحقة والاعمال
الصالحة وفي حث الفائزين بالوصول الى درجة المقربين في المعاد بسبب الايمان على تقوية
وتوسيع اوامره وتكثير نوافله ودفع المتصفين لانوار المجاهدين لاثارة من الكفرة الفجرة
وترغيب المؤمنين في مجاهدة الكافرين والانفاق على المجاهدين فافتتح السورة بتقديس
الله نفسه عن النقائص وصفات الممكنات وسمات الحادثات بلسان كل من في السموات عالم
الملكوت وما في الارض عالم الملك وبذكر ان جميع ما وقع عليه اسم الموجود ملكه وتحت تسخيره
جار عليه سلطانه نافذ فيه حكمه يتصرف فيه امره بمعرفة كيف يشاء بالاحياء والاماتة ثم ذكر
ان منشئ ملكة السموات والارض وما بينهما مع تمادي ازمنة بقائهما واتساع امكنتهما وضهادة
سمائهما ما لا يغيب عنه زمان ولا يغيب عنه مكان بل جميع الازمنة والانمائيات

لاحاطته القيومية وان حكم ان واحد في الحضور لديه وكانت الامكنة والمكانيات لتماسية الالهية
في حكم نقطة واحدة في المول بين يديه من غير تطرق تجدد وتغير في ذاته واحتمال تعين وتكثر
في صفاته ولذلك لانه هو الاول في عين اخريته وهو الظاهر في عين باطنيته ولما كان هذا
مستلزما لشمول علمه بجميع الموجودات واحاطته شهوده بجملة الكائنات ذكر عقيبه وهو بكل شيء
عليم تنبيها الى ان علمه بكل شيء بنحو العلم باسباب ذلك الشيء وعلله الذي هو اجل مراتب العلم و
اوثقها واتقنها العليم ان عالميته بالاشياء باي نحو من ضروب العالمية وليعلم انه ليس لاجل انجبار
ولا انفعال ولا لاجل استكمال الكامل بالناقص وانفعال العالي عن السافل فذكر انه مبدع الخلق
وخالق الارض والسماء في اقل عدد كامل هو الستة اعني الستة ثم لما كان اسباب وجود الكائنا
وشرائط حفظها وبقائها من الارزاق والاجال نازلة من عنده بوساطة السموات وقواها
المحركة لها شوقا الى طاعة بارئها فنون الحركات وصنوف اختلاف الاوضاع والنسب التي ينشأ منها
الكائنات وينبعث منها الحيوان والنبات على ما جرت عليه سنة الله التي لا تبديل لها وجملة
المحركات السماوية والاكر الكوكبية في فلك واحد عظيم يشتمل على جميع اشمال الشخص الانساني
على اعضائه وجوارحه واركانه هو المحدد بجسميته للجهات والابعاد بمقدار حركته للازمنة
والحركات بهويته وعقله بتدبير الكل وشوق الجميع باذن مبدعه ومحركه وممده ومده و
موجل بعينه ويحركها تحريكا شوقيا بالحركات النفسانية والارادات والادكار القدسية و
الانتقالات العقلية والطاعات الملكية كل ذلك شوقا الى جنابه وتقربا الى طاعته وامتثا
لامره وتضرعا وابتهالا بحوله وتشفعا لديه لانجاح مقاصد المربوبين واستعانته عدلا
لاغاثة المحتاجين واصلاح احوال الخاطئين الى معدن الظلمات واعلاء مرتبة النازلين
في مهوى عالم الجهالات من اهل الاستعداد واصعادهم عن مرتبة السافلين الى الدرج العليين
بالهامهم معرفة المبدأ والمعاد وتوسط الحركة كبرى وحلا امرهم فاريد التنبيه على ان هذه الوسائط
مما لا مدخلية لها في الايجاد والاعطاء بل هي مظهر الرحمة ومستوى الرحمن وهو الذي استوى
على العرش لانتظام نظام الكون بتسبيك الاسباب وتخطيط الاشواق وانشاء الدواعي وتوسيط
القوى الفعالة ووضع القوابل المنفعلة كل ذلك على سبيل العناية بالسافلات ومن ثم

الجر الدائم

الجر الدائم على المنفعلات الكائنات بوساطة عالم الحركات الطالبات الصادرة بامره نتقدم عن
الملائكة المدبرات وعبادة الساجدات الراكعات كما اخبر عنهم بقوله غلاظ شداد لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم عاد الى بيان علمه بالجزئيات بزيادة استيضاح على هذا
الوجه المذكور من سبيل الجزئي فاشار الى ان من هو شانه هكذا لا بد وان لا يعزب عنه
علمه ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم ما يلج في الارض من اسباب قابلية الوجود للكائنات
كالبذور والنطف وغيرهما من المقادير والكيفيات الاستعدادية والخارج منها كاجساد
المواليد الثلث وابدانها من الجماد والنبات والحيوان والنازل من السماء كقواها وصورها
ونفوسها وما يحصل ويتقوى بها عظامها واجمالها كالامطار والثلوج وغيرهما والعارج منها
من العقول الصاعدة الانسانية التي صارت بطور اسمى من طارة البهائم الى افق الابدان
بجناحي العلم والعمل بخلاف النفوس المتعلقة المقيدة بشهوات هذا العالم التي تكون ابدانهم
بالقياس الى نفوسهم البهيمية اسطبل الدواب لا اقفاص الطيور فليس لهم قوة الارتقاء الى
ملكوت السماء ولا لهم سبيل الى عالم القدس والمعنى ثم لما تقدم انه سبحانه مما لا يتقيد
عليه شيء بالغيبة والحضور والوجود والعدم ولا يفوته شيء من الاشياء بل الماضي والمستقبل
كالان في الحضور ومع ذلك هو القائم على كل شيء باكتساب بهر الاستيلاء على سر وجود
الحوادث والكائنات واستقل الرب بالافاضة والايجاد من غير تاثير لغيره الا في الاعداد فظهر
ان لا واسطة بينه وبين كل موجود ولا تعاقب له بوجود على وجود بل هو موجد به
مقدم ذات الجميع وعن ذاتيته معتبر ماهية الكل اثبت معيته لنا اينما كنا ومن كنا غائبين
او غافلين ساهين او لاهين فاذا كان كذلك كان علمه حضوريا شهوديا اثريا
نوريا فعبر عن ذلك بانه بما تعملون بصير ولما علم مما ذكر سابقا كونه مبدأ فاعليا للجميع اراد
التنبيه على انه مبدأ غائي ايضا للكل وحيث كان الاول كاشفا عن الثاني مستلزما له ذكر
رجوع الامور اليه عقيب ما افاد وذكر نسبة ملك السموات والارض اليه ليعلم ان الغاية
القصوى للكل كما انه المبدأ الفاعلي للجميع بتوسط الصانع والغايات والفاعلية السماوية
لكن المركبات العنصرية اراد ان يشير الى ان تاثير الاسباب الغالبة في القوابل السافلة موقف

على الحركة المتجددة ليقرب المعلول الى علته فان الامور موصوفة باوقاتها الحاصلة من حركات
اسبابها وتغير اوقاتها باختلاف الحركات والاوقات لاختلاف الحوادث والكائنات كما نبا هذه
الفصول الموجبة لتخالف الليالي والايام المستلزم لاختلاف احوال الخلايق والانام عبر
عن تفاوت الليل والنهار على الوجه المشاهد المستلزم لاعتدال الكائنات بولوج كل منهما
في صاحبه موجبا الى المنافع والغايات المترتبة على تفاوتهما في المقدار واختلافهما في الاثار
وبين ان الجاعل لهما على هذا الوجه المقرر والمولج لكل منهما في الاخر هو سبحانه لتدبير الكائنات
ومصلحة الموجودات فانه سبحانه لو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركة مشتركة واخرى بطيئة
مختصة ولم يجعل دواير الحركات البطيئة مائلة عن دايرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحي
شمالا وجنوبا فلم تنتشر منافعها على بقاع الارض ولولا ان حركة الشمس خصوصا على هذا المنوال
من تخالف سمتها الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي يتم بها الكون والفساد
ويصلح بها امزجة البقاع والبلاد ولما كان القمر نايبا للشمس خليفة لها في افعالها التحليل و
الاصلاح والتعديل اذا كان في ترى النور جعل مجراه يخالف مجراها الشمس تكون في الشتاء
جنوبية والقمر شمالية لئلا ينعقد البين وفي الصيف بعكس ذلك لئلا يجتمع السخنان و
لما كانت الشمس في ايام الصيف تطول لشمالية الحركة وفي ايام الشتاء تقصر جنوبيتها ولها
اوج وحضيض في الجنوب ليتحرر وقرب الجبل عن سمت الرؤس بعد المسافة لئلا يشتد التسخين
بالتنوير ويكسر بعد قربها لئلا تضعف القوة المسخنة عن تاثيرها كل ذلك لحكمة العليم القدير
الحاصلة من تخالف الليل والنهار وتفاوتهما في المقدار ولما كان بيد وجود الاسباب المودية
المخلفة الانسان بذاته قاصرة ومع كان غلها سعادة الظاهرة البدنية وملكاته
الباطنة النفسانية مع ذكر انه عليم بذات الصدور ليعلم انه تعالى بصير لا يخفى عليه قليل ولا
كثير فيجازي على كل عمل قليل كما يجازي على كل حركة بدنية ولما تبين انه سبحانه متصف
بغاية العظمة والجلالة نعوت بكونه مبدء الاعلى وغاية للكل ليتوضح لذوي البصيرة ان
الكل محتاجون اليه في الوجود وخصوصا المعلول الذي تضاعف فيه وجوه الحاجة وكثرت
عنده جهات الامكانات الذاتية والاستعدادية والانية فان من هو موصوف بغاية

الفقر

نهاية الفقر والفاقة من شانه التشبث بمن هو منعوت بالكرم والافضال ومن دابه التضرع و
الابتهال وطلب التخلص عن القصور والوبال ممن هو على غاية التمام والكمال واستدعاء الا
ستعداد والاستكمال ممن هو في نهاية العظمة والجلال المبري بالذات عن النقص والعدم و
الزوال كما نبا بذاته الازلية الاحدية منبع كل صورة وكمال ومنشا كل خير وجمال فلا يخفى
ان كل ناقص يتوجه له الاستكمال ممن هو في ذروة الكمال بطريق خاص ومنهج معين
في الترقي الى اوج الترفع والاقبال فللاجسام بما هي اجسام الحصول في مطلق الحيز والفضاء
وللعناصر الحركة نحو المكان الاسفل او الاعلى وللنبات في الاغتذاء والنماء وللعجم من الحيوان
في حيوة الدنيا ومدبرة باحساسه وحركته بارادته والتماسه وما من دابة فادونها الا ومن
شانه البلوغ الى منتهى ما لها في ذاتها فالمرتقى منها غاية ولنوع الانسان كما لا يخصه وهو الايمان
بالله والافعال القربية بحسب جزئيته العملي والتجرد عن الدنيا واللذات البهيمية بحسب جزئيته
العلمي والتجرد عن الدنيا ولهذا دفع له الامر بالايمان بالله ورسوله والانفاق ثم زاد على ذلك في
بيانه الكوني ثم بين سبحانه مطامح الانسان الذي سلك مسالك المعرفة والتجرد بقوله
لهم اجر كبير لانه لهذه الامر يقرب من الملكوت ويتخلص عن الناسوت ثم اظهر سبحانه
الاستنكار والتعجب ممن لم يتحقق بالمعرفة بالله عند تحقق الرسول المعلم البشري وكيفية ار
تقائه الى مرتبة الرسالة ودرجة التبليغ وهو انه يكون متنزلا بالله سبحانه على عبده المتجمع
للفضايل والملكات البشرية والايات البينة والمعارف الحقة لتنور ذاته بالانوار القدوسية
ويستنير عقله المنفعل بالاضواء الاحدية ويستضيء نفسه التي كادت زيتها يضيء ولو لم تمسه
نار الاشراقات الصمدانية ويصير عند ما مسته نار الانوار والشعلات الجبروتية نور على نور
ليتنور بنوره المستضيئة بانوار الله المنكبين في دياجير الجهل والظلمات الهابطين الى
مهوى الغفلة والشهوات والمتزحزحين لضعف الاحداق عن عالم الاشراق ويخرجهم من
ظلمات عالم الاجسام الى نور عالم الارواح ويرجع نفوس السعداء والكرام ولما كان ارسال
الرسول وانزال الوحي وتنزيل الايات الى قلبه منه تعالى على وجه لطيف حيث صار موجبا لنظم
امور الدنيا ويعيش الانسان على ابلغ نظام مع تحصيل الاهبة في سفر الاخرة له واخذ

الزاد وربح التجارة في المعاد والفوز بارفع مقام ومراد فقد كان فيه نفع العاجل مشفوعا
بسعادة الآجل اشار الى هذا التلطف في الهداية والتكميل بالاخبار عن تعلق صفتي الرافة
والرحمة بالعباد لتربيتهم في الوجود والبقاء من جهتي المعاش والمعاد ولما امر اولا بالايمان
والانفاق اللذين هما خلاصتا الكمال العلمي والعملي ثم مثل شبه المتعجب المستفهم عن التاركين
للايمان في تركهم اياه مع دعوة الرسول واخذ الميثاق اي وجود المعلم وقابلية التعلم و
تاييده سبحانه هذا المعلم بصنوف اسباب الهداية والتعليم عاد ثانيا شبه المتعجب المستفهم
عن التاركين للانفاق في تركهم اياه محتجا عليهم في استقباح هذا البخل والامساك منهم بان
ما في ملككم ليس بباقيا لهم بل في معرض الزوال لهوعنهم ورجوعه الى الجميع بالحقيقة ملكه
يعود اليه ولم يرا ان كل نحو سوا المال ودعي للمال ثم ذكر تفاضل المنفقين والمجاهدين
قبل الفتح وبعده وتفاوتهم في درجة الجزاء والثواب بان افضل الاعمال احمزها ووعد الجميع
بالحسنى لاشتراكهم في اصل الفعل الحسن وذكر انه خبير باسباب الاخلاص في العمل وحسن النيات
كما انه خبير بظواهر الاعمال ودواعي الافعال ثم وعد الاجر الكبير مع المضاعفة في مقدار
الثواب لمن يقرض الله قرضا حسنا ثم بين المواضع الذي يتحقق فيه المجازاة على الاعمال و
يتبين فيه الله تجاذب الاحوال ويتميز فيه السعداء عن الاشقياء فذكر شيئا من احوال المومنين
وشيئا من احوال المنافقين في ذلك اليوم وذكر تخلف المنافقين عن المومنين في سلوكهم
طريق النجاة بنور المعرفة والسعادة وعجزهم الاقتباس عن نور معرفة المومنين مع استحالة
ذلك لبطلان استعدادهم الفطري وزوال قابليتهم الجبلي وذكر رد المومنين ملتمسهم في
مقترحهم بالتنبيه على فقدان القبول لهذا الاقتباس والاستفادة بما يوجب الخذلان و
الياس ثم ذكر انه وضع عند ذلك حاجز ذو باب باطنه يلي عالم القدس والرحمة والنعمة
وظاهره يلي عالم الظلمة والغضب والنقمة ثم اشار الى نداء اهل الجحيم لاهل النعيم وسوالهم اياهم
بسبب علو رتبتهم وانحطاط رتبة هولاء مع الاتفاق بينهم في ظواهر الاعمال البدنية والتشارك
في مزاولة العلوم الدينية وبطلان ترجيح احد المتساويين على الاخر لا لمرجح فحكى الجواب عن
هذه الشبهة الواهية التي هي اوهن من بيت العنكبوت من قبل الناصحين في العلم من افاضل

المومنين

المومنين ان ملاك التقرب الى الله تعالى والصعود الى معارج القدس انما هو بالاخلاص في النيات
والبر المعنوي في الملكوت والتفكر في بدايع الفطرة مع صدق الطويات وانتم سلكتم سبل
الاماني والشهوات والاغترار بالدنيا واللذات بتسلط الغار المغوي فتمكنت وحصلت عليكم
وارادة الشيطان بكم الباطل في صورة الحق حتى تربصت بكم دوايم الصفات وتركت في قلوبكم
ديون المعاصي والشهوات فلم ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ولا يسمع منكم معذرة ولا يوخذ منكم
فدية ولا من الكفار النار هي ماويكم والجحيم مولاكم اذ كل شي يصير الى اصله فكل مرتهن بيد وجه
بعاقبة مبدءه وهي مولاكم وبئس المولى وبئس المصير ثم لما ذكر حسن احوال المخلصين وخاتمة
عاقبة المنافقين لاجل اغترارهم بالدنيا عاتب المومنين المشتغلين باكتساب الدنيا وقلة
التشوق الى الدار الاخرة حيث تطرقت فيهم قساوة القلوب لتطاول الامد كما في بني اسرائيل و
نهاهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلب ثم تداركهم باللطف بعد هذا التوبيخ بان قلوبكم
وان قست وفترت عما كان في سابق الاسلام وماتت ببنيان المعرفة وقلة تلاوة
الايات والذكر الحكيم لكن الله يحييها بنور المعرفة والتلاوة والذكر لبقاء قابليتها بثبوت
اصل الايمان فيها كما يحيي الارض بعد موتها لبقاء جوهرها وان عدمت عنها الطراوة التي
هي بمنزلة تذكر الايات في الانسان والقلوب التي لم يبق فيها اصل الاعتقاد بمنزلة الارض
التي فسدت ذاتها وارضيتها وانقلبت سبخة ورمادا اوملحا لا يمكن احياؤها بانوار المعارف
الحقة وضياء الاعمال الصالحة كما لا يصلح المملحة للعشب باضواء الشمس وماء المطر ثم رجع الى
الترغيب والحث للانسان على اكتساب العلم والعمل محاكيا بقضا الغافلين والعاملين بذكر الوعد
للذين تصدقوا واقرضوا قرضا حسنا بتضعيف جزائهم وكرامة اجرهم وبذكر الفضيلة للمومنين
بالله ورسله ايمانا حقيقيا بانهم هم الصديقون والشهداء عند ربهم والوعد لهم باجر ونور
مخصوصين بهم لرفعة رتبتهم ومنزلتهم عند الله لكمال المعرفة اليقينية والعمل المنبعث عن محض
الرحمة والاخلاص الذي لا يوجد مثله في غيرهم اما الاجر فهو بمقابلة اعمالهم الخالصة واما
النور فمن لوازم معرفتهم المحضة بلا شوب عرض ورياء في الاول ولا تطرق شبهة وريب في
الثانية ثم ذكر لتوضيح هذه المنزلة في الاعتقاد والعمل شرافة ما يكن ضدها فيهما وهو الكفر

الكفر الذي هو اشد مراتب الجهل بازاء الفضيلة المعرفية بالله والتكذيب بآيات الله الذي هو
اقبح القبائح العملية بازاء فضيلة العمل الصالح وذلك لان الاشياء تعرف باضدادها
واخبر بانهم اصحاب الجحيم بحسب غرائزهم الاصلية لما انهم من اهل هذه الدنيا بحسب طبيعتهم الفطرية
اذ الجحيم من سنخ هذه الدار الفانية الى الكثرة الباطلة ولهذا وقع الاشتراك بينهما في الجفاء بعد
والاحوال الامارية شان كل منهما الاحالة والتحليل ودابهما الامانة والتبديل اشخاصهما
ابدا في الذوبان والانتقال واجسامهما ابدا في الحركة والارتحال الساكنين في الدنيا نظير
ما حكى الله تعالى عن حال سكان الجحيم بقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب فانهم كما في الاستحالة والذوبان وكذا حال اهل الدنيا في تضاد عناصرهم
في الكيفيات المحسوسة وتباغض نفوسهم في الاعراض الحسية النفسانية والدواعي
الشهوية الدنية وتخالف مذاهبهم الناشئة عن المخاصمة والعناد والمنافسة في الحسد و
اللداد كحال اصحاب الجحيم فيما ذكره سبحانه بقوله كلما دخلت امة لعنت اختها وبقوله ان
ذلك لحق تخاصم اهل النار الى غير ذلك من الخصائص الجامعة للدنيا والجحيم والصفات
المشتركة بينهما التي تدل على ان الدنيا بعينها صورة الجحيم والجحيم بعينها حقيقة الدنيا وعلى
هذا الراي شواهد عقلية واشارات قرانية ورموزات نبوية ونصوص الهامية و
براهين حدسية يعرفها من يعرفها وينكرها من ينكرها واذا ثبتت جهة الاتحاد بين
الجحيم والدنيا وان اصحاب الجحيم هم باعيانهم اصحاب الدنيا اشار سبحانه الى بيان ماهية
الدنيا ليعلم كيفية استتباعها للنار واستلزام التلذذ بشهواتها للتعذب بعقوبات
الجحيم فان من عرف ماهيتها وخصائصها وحقيقة زهراتها ولذاتها بكونها لعب ولهو وما
ينبعث منهما كالتفاخر في الامور الحسية والتكاثر فيها وهي امور باطلة وهمية لا حقيقة
لها كما لا حقيقة للنار الا كونها قطاعة نزاعة مفرقة للاتصال المعدية للكون و
الحيوة وجميع ما ذكرناه امور عدمية لا حقيقة لها وهي الاشتراك والاضداد والتلون
التي يراها من هذه الدنيا ويرتب داخلها في حقيقة نارها الا انها ليست نارا محرقة بل
نار مخلوطة بنور وظاهرية في الكون والتحصيل واما النار المحرقة الاخروية فهي ليست

الا اهلا كان ابداها الا ما والذلك تحيل هذه النار الدنيا وقد غلت سبعين عند مراتبها
الى هذه الدنيا ليمكن الانتفاع بها رحمة من الله تعالى والنار الاخروية مخلوقة من عين غضبه
تعالى على من يستحقه ثم ذكر ما الامثال بالله تعالى [illegible] والهام اشار الى ان المتوغلين
فيها المطمئنين اليها مالهم الى الجحيم حيث عقب التمثيل دفعا لها وصادا [illegible] اصحاب الكفار
بزينتها بقوله وفي الاخرة عذاب شديد ولما كان من عادة القران انه لا يجرد ذكر
الغضب والعذاب عن ذكر الرحمة والمغفرة عطف عليه قوله ومغفرة من الله ورضوان
ثم رجع الى تاكيد ذم الحيوة الدنيا بانها متاع الغرور ثم اكتفى ببيان الاجتناب عن الدنيا
بان امر بالمسارعة في ابتاعها للوصول الى المغفرة والجنة كمسارعة المسابقين
في المضمار وذكر تشويقا للعباد في هذه المسارعة بوصف عظم الجنة وسعة ملكها
بما يستصور من البسطة والسعة وانها معدة للعارفين بالله ورسله وانها من فضل
الله ودرجات بجملته على الافعال والاثار ومنطوية بالاطوار وذكر انه ذو الفضل العظيم
فان جميع الصور والذوات من فضائل ذاته المتعالية عن الشبه والنظير ومن رشحات
فيضه المتعالي عن القصور والتغير وهذه الفضائل الافعالية زائدة على شؤونات ذاته
وتجليات وجهه في شيونه التي لا يحيط بها العدد والاحصاء ولا يمكن لها النعت
والثناء ثم لما ذكر عقيبه ان كل ما يوجد في هذا العالم سواء كانت امورا خارجية او ذهنية
افاقية او انفسية ومنها ما كانت قبل خلقها في كتاب من علمه تعالى الذي هو من مراتب
شؤونه الصفاتية مفصلا او الذاتية اجمالا ذكر ان من نتائج هذه المعرفة عدم
الاساس على الفائت وعدم الفرح على الاتي ومن نتائج الجهل بها الخيلاء والفخر
المبغوضان لله تعالى [illegible] وينبعث عنها كثير من الصفات الذميمة والاخلاق
الردية كالبخل وحمل الناس عليه وجميع ذلك مما يورث البعد عن الحق والتولي عنه
الى الامور الباطلة [illegible] معاد الشخص من غير نقصان في سلطانه تعالى وملكه فلذا عقب
قوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد [illegible] وحيث يمكن ان يختلج لاحد في قلبه
ان صفة الغنا المطلق ينافي طلب الصدقات والطاعات وسائر حقوق الله عن العباد

بالسنة الرسل والكتب اشار الى دفع هذا الوهم بان الغاية في ارسال الرسل بالمعجزات و
انزال الكتب قانون العدالة في الافعال والصفات لنيل الاستقامة الناس واصلاح نفوسهم
ملكة العدالة وحصول المعاملة بينهم بالقسط والانصاف من غير تعدّ وجور وتفريط
وتقصير لعدم معيشتهم الدنيوية مؤدية الى سعاداتهم الاخروية وكما ان في خلق الاسباب
الجسمانية من ادوات الحروب وغيرها لنيل المقصود الا منفعة العباد لا غيرها ولذلك
عقبه ذكر المقصود من الاولى بذكر المقصود من انزال ما هو من قبيل الثانية وذكر ان
في انزال الحديد وخلق آلات الحروب والآلات الصنائع فيه لنيل الدواعي الا ما يرجع الى
الخلائق اذ الغاية فيه باس شديد ومنافع للناس ولان في استعمال الاسلحة المتخذة
منه تبيين وتمييز حال المجاهدين في سبيل الله الناصرين له ولرسله حين الغيبة عنهم لا لحاجته
تعالى عن ذلك الناصر لرفع هلاك الشاعر لان الله تعالى ان اراد اهلاكهم تعالى عن ذلك عن غير لا
نقص في قدرته ولا قصور في عزته وللاشعار بان المقصود من ايجاد الممكنات وهدايتهم طريق
الحق بارسال الرسل ونصب الحجج وانزال الايات ليس غرضا يعود اليه بل انما هو مجرد عناية
بالقياس اليهم وفيض رحمة عليهم على سبيل الترشح ونظم الامور وترتيب الاسباب مؤداة
الى المسببات مترتبة عليها الغايات الجزئية ومصالح للعباد من غير التفات من جانبه العالي
الى السافل الجزئي سبحانه انه قد خلق الانبياء وارسلهم ودعوتهم الى الخلق مع تأييد اياهم
بجنود لم تروها من الملائكة وتنوير قلوبهم بالوحي والكتاب والحال انهم مع ذلك لم
ينفع الاهتداء بهم الا من بعض الناس دون بعض وكثير منهم فاسقون ولو كان لم نعم ارادة
جزافية واغراض جزئية ومقاصد سفلية كما يتصوره العامة لم يتصور ذلك وكما كانت
اولياء الله واحباؤه ممتحنة بيد الاعادي مقهورة بقهر الكفرة الفجرة ممنوعة عن ارشاد الخلق
معوقة عن هدايتهم مدة مديدة بسبب كيد المنافقين وافساد الظلمة ثم اكد هذا المعنى بالاخبار
عن اتصال سلسلة الرسل والمصطفين الاخيار على ما هو مقتضى الحكمة البالغة من عدم عطلة
العالم عمن يوحده ويمجده ويعظمه ويعرفه ويصفه بصفات العظمة والجلال ويثني بنعوت
الكبرياء والجلال من الانبياء والعرفاء الامثل فالامثل الى ان بلغت نوبة الاجارة والاصطفا

الى

الى الاولى والاوائل من غير تعلق قصد بوجود هذا القسم الا على سبيل الاستطراد والاستتباع
كما ان الصانع الحاذق والنجار الحداد اذا قصد صنعة من موضع معين لها كالخشب مثلا للسرير
او الباب يبقى من الموضوع شيء لا يصلح حتى قابليته هذه الفضالة بل يصنع منه ما هو دون
منزلته من الاول وهكذا الى ان يكون الخلال الى ان لا يبقى شيء من الموضوع الجسماني وكذا الباري
تعالى وهو اشرف الصانعين يفيض من صنعه وجوده الاشرف فالاشرف من الاحسن فالاحسن
حتى ينتهي الى وجود الاشرار والفسقة والكفرة وكان الغرض المقدم في ايجاد المكونات خلقة
اشرف نوع الانسان فخلق من فضالته سائر الاكوان لئلا يبقى شيء من فيض حقه ولا
يمنع عن القابل مستحقه فكل ذلك على سبيل الحكمة والعناية الخالية عن النقص والبخل و
ذكر انه عقب الرسل بالرسل وقفى بعضهم على اثر بعض مؤيدا بالايات من لدن نوح وابراهيم
الى عيسى بن مريم وكان في كل امة الغلبة للساقطين والنجاة للمهتدين وهم الاقلون عددا من الموقنين
الى الكثير وكذا في امة عيسى كان بعضهم من امنوا به واتبعوه وكان في قلوبهم رافة ورحمة فاوتوا
اجرهم وكثير منهم فاسقون الى الان الاخير ولما اخبر تعالى عن ارسال الانبياء متصلين الى عيسى
وذكر حال قومه الغابرين شرع في ذكر نبينا وحال قومه الحاضرين فخاطبا اياهم امرا لهم بالتقوى و
الايمان واعدلهم كفلين من رحمته وتضعيفين من فضله وجوده لشرافتهم وتفضيلهم على سائر
الامم بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس عاجلا لهم نورا يمشون به نور القلب وهو نور المعرفة
جزاء ايمانهم بالرسول وجزاء ايقانهم المغفرة لذنوبهم السابقة لان العلم شرف وتحلية والعمل نجاة
وتخلية وهذه المقامات السنية لهم فوق سائر الامم لاجل استحقاقهم الذاتي وصفاء فطرتهم الفطرية
فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة بعضهم اصفى وبعضهم اكدر ولهذا اشار سبحانه
تنبيها على تفاوت طبقات الخلق في الكمال بحسب الجواهر والاستعدادات بقوله لئلا يعلم اهل
الكتاب الا يقدرون على شيء لخسة جوهرهم ونقصان قابليتهم والفاعل الفياض والاركان
متشابها في فيضه وجوده ولهذا اشار بقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم لكن يختلف اثاره باختلاف القابليات فيضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اما بيان ان الحقيقة
واحدة في نظم من جانبه متشابه لكن يختلف اثاره بحسب اختلاف القابليات لا اثر لها في وزن وهم

الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون والشمس واحد وفعلها الخاص بها الاسخان والاشراق ومع
ذلك الفعل الواحد اثران متضادان كتبيض ثوب القصار وتسويد وجهه فهذا ما خطر ببالي الكسير وخطر في
ذهني الفاتر القاصر من النكات المتعلقة بهذه الكريمة مع ضيق المجال وتفرق البال وهجوم داء الجهل والوبا في
الاطراف والاكناف وترفع حال الجهلة والاراذل وتقعدهم عن الاخيار والاشراف وخلو البقاع و
البلاد عمن يعرف قدر المعارف والاسرار الفايضة على قلوب العباد من حبا باعلوم المبدء والمعاد والى الله
المشتكى من زمان شاع فيه الجهل والعناد وكثر فيه الحسد واللداد وانسد طريق المعرفة والسداد واستنكر
الناس من تعلم الحق بسبب ما حصلوه بالوسواس وصمموا على المذهب لتوصلهم الى مراجعة الخلايق اليهم [illegible]
ولله الشكر بما اخرجنا الله بيمن مضايق ظلمات الابحاث الجدلية والكلامية الى فسحة انوار الالهية القرانية
ولرسوله الهادي الى طريق التوحيد باسرار كلماته ورموز اياته محمد واله الصلوة والدعاة كفاء ارشاده هو
للخلق وافضل الخروج [illegible] هدايتهم للناس وكاملهم [illegible] تمت الرسالة الشريفة المسماة بالتفسير لسورة الحمد
من كلام الله المجيد للصدر المتاله والحبر النحرير بيد اقل الراجي من رحمة ربه احمد الكرجي من اهل الطور [illegible]
ولقائه [illegible] سلطان الحكماء زين الفضلاء [illegible] الحكمة [illegible]

وقد وقع الفراغ [illegible] ١٢٧٨